وقائع ندوة

الاحتشام و السلوك العام

وأثره في المجتمع

٦-٧ شعبان ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٣-٢٤ أكتوبر ٢٠٠١م

النشر العلمي

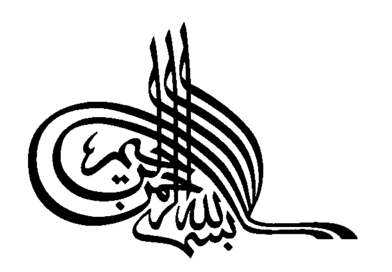
١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م



تنظيم
كلية الشريعة و الدراسات الاسلامية
جامعة الشارقة

بالتعاون مع
مجلة الشقائق

جامعة الشارقة
ص.ب ٢٧٢٧٢ ـ الشارقة
الإمارات العربية المتحدة
هاتف: ٩٧١-٦-٥٠٥٠٥٥١+
فاكس: ٩٧١-٦-٥٠٥٠٥٥٢+
E-mail: research@sharjah.ac.ae
www.sharjah.ac.ae


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي
عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وجمله بالحياء واللباس والأحتشام، والصلاة والسلام على رسول الله، المبعوث رحمة للعالمين، القائل «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق، أو مكارم الأخلاق».

وبعد:

فحرصا من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة على المشاركة في خدمة المجتمع ، والتفاعل مع القرارات السديدة التي تخدم المجتمع والأمة والدين، وبمناسبة صدور القرار الحكيم عن الأحتشام من صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للأتحاد، حاكم الشارقة، الرئيس الأعلى لجامعة الشارقة، فقد عقدت الكلية العزم على عقد ندوة بعنوان «الاحتشام والسلوك العام، وأثره في المجتمع» بالتعاون مع «مجلة الشقائق» بالشارقة.

وعقدت الندوة تحت رعاية سموه بتاريخ ٦-٧ شعبان ١٤٢٢هـ الموافق ٢٣-٢٤ أكتوبر ٢٠٠١ م. وحضرها عدد من العلماء والمفكرين والباحثين، وقدموا في الندوة ثلاثا وثلاثين بحثا وورقة عمل، وألقى أصحابها فكرة عنها، وتم مناقشتها، وتقديم المداخلات عنها، واختارت اللجنة العلمية للندوة اثني عشر بحثا كنماذج عن محاور الندوة، لطباعتها.

وتم توزيع مطوية قبل الندوة تتضمن ما يلي:

١- المقدمة:

فقد دعت جميع الشرائع السماوية إلى مكارم الأخلاق، وإلى حميد الخصال، واجتناب ذميمها، والأحتشام هو الحياء، الأستحياء حسن الأدب في السلوك والحديث واللباس والتعامل، والمظهر، والأحتشام يدعو إلى الرفق والخير وإلى ترك كل قبيح، ويمنع من التقصير

في حق كل ذي حق، وهو صورة من صور التحضر والتقدم والرقي، ومظهر الأناقة واللطف، والسلامة من كل ما يستقبحه الإنسان في تصرفاته الخاصة، وسلوكه الشخصي، وتصرفه مع غيره في أداء الواجبات، والأخذ والعطاء، في أوساط الأسرة والمدرسة والمجتمع بجميع مؤسساته.. لتحقيق غاياتها النبيله، وأداء دورها على أحسن وجه..

والحياء من خصائص الإنسان المتزن، فمن لا يتمتع بالحياء ينسلخ عن إنسانيته، ولولا الحياء لم يؤد حق، ولم يوف بوعد، ولا ترد أمانة، ولا يحترم كبير، ولا يرحم صغير.

لكل هذا، وشعورا من جامعة الشارقة بدورها وبمسؤلياتها تدعو إلى عقد ندوة الأحتشام والسلوك العام وأثره في المجتمع.

٢- أهداف الندوة:

تهدف هذه الندوة إلى تحقيق جملة من الغايات أبرزها:

١- بيان أهمية الأخلاق في حياة الأمة.
٢- بيان مفهوم الأحتشام وهو الحياء، والتأدب بما تدعو إليه الشرائع، والفطرة والعقل.
٣- بيان مظاهر الأحتشام في السلوك العام وفي اللباس وما يلحق به.
٤- تعاون الرعاة والرعية في بناء الأخلاق، وتقويم السلوك.
٥- توضيح أثر الأحتشام في حياة الفرد والمجتمع.
٦- بيان طرق ترسيخ الأحتشام، وأصوله الأخلاقية في الفرد والمجتمع.
٧- بيان درو المؤسسات المتخصصة، في المحافظة على الأحتشام والآداب العامة.
٨- توضيح أهمية صدور قرار صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الرئيس الأعلى للجامعة في هذه الفترة التي تحف بأمتنا تحديات مادية وأخلاقية عن الأحتشام والسلوك العام.

٣- محاور الندوة:

١- مفهوم الأحتشام ومظاهره (اللباس الشرعي ومواصفاته وحدوده)
٢- مسؤولية الراعي في تطبيق الأحتشام.
٣- أثر الأحتشام في المجتمع.
٤- دور المؤسسات المتخصصة في تطبيق الأحتشام.

٤- الجهات المشاركة:

- كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

- مجلة الشقائق.
- المجلس التنفيذي.
- شرطة الشارقة.
- منطقة الشارقة التعليمية.
- دائرة الأوقاف بالشارقة.
- تلفزيون الشارقة.
- دائرة الثقافة والإعلام.
- المجلس الأعلى للأسرة.

ونسأل الله أن تحقق هذه الندوة أهدافها، وأن تساهم في إقامة المجتمع الفاضل، وأن تنير الطريق القويم للأمة لتطبيق شرع الله ودينه، ليحظى الناس بسعادة الدنيا والأخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة اللجنة التنظيمية

الأستاذ الدكتور محمد الزحيلي
عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
رئيس اللجنة التنظيمية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، المبعوث رحمة للعالمين، والقائل «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق، أو مكارم الأخلاق».

صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى للأتحاد حاكم الشارقة، الرئيس الأعلى لجامعة الشارقة.

سعادة الأستاذ الدكتور عصام زعبلاوي مدير الجامعة.

الأخوة العمداء، الأخوة الزملاء، الأخوة المشاركون والمشاركات، الأخوة الزملاء والحضور:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد عشنا في الشارقة المشرقة مع صاحب السمو في الأشهر القليلة الماضية، وهو يبني صرح الدولة، ويشيد بناءها، ويرسخ أركانها على الأسس الإسلامية الخالدة، وأصدر عدة قرارات أساسية أثلجت الصدر، أهمها ثلاثة:

الأول: إنشاء مؤسسة القرآن الكريم في مجالاتها المتعددة التي نحرص على المساهمة فيها.

الثاني: تحويل بنك الشارقة الوطني إلى بنك إسلامي ولذلك قررنا عقد ندوة علمية عن المصارف الإسلامية في الفصل القادم إنشاء الله تعالى.

الثالث: الحرص على الاحتشام والسلوك العام الذي يربط هذه الأمة بدينها، وعقيدتها، وشريعتها، وقيمها، وأخلاقها، وسلوكها، وذلك بأسلوب عصري، ومنهج إسلامي حكيم وتعاون بين سائر الجهات، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وتسعد كلية الشريعة والدراسات والإسلامية بالتعاون مع مجلة الشقائق بعقد هذه الندوة للإشادة بهذا القرار الأخير. لبيان مقاصده وأهدافه، وتحديد المسؤولية في تطبيق وتعزيز السبل والوسائل لتفعيله، وعرض أثره الطيب المبارك على المجتمع، وترشيد دور المؤسسات المتخصصة في تنفيذه، لتأكيد مشاركة جامعة الشارقة في خدمة المجتمع، وتفاعلها مع قضايا الأمة، وتوعية الشباب والطلاب وسائر الناس لما يعود عليهم بالخير والنفع، والسؤدد والفضيلة والكرامة، بالتنسيق مع مركز البحوث والدراسات في الجامعة ويشارك في الندوة والأوراق والبحوث أكثر أعضاء هيئة التدريس في الكلية، وبعض الزملاء من كليات جامعة الشارقة، وممثلون عن المجلس التنفيذي، وقيادة الشرطة، والمنطقة التعليمية في الشارقة، ودائرة الأوقاف، والأمانة العامة للأوقاف، وتلفزيون الشارقة، ودائرة الثقافة الإعلام، ولجنة الأسرة، مع بعض الضيوف الأكارم من كلية الدراسات الإسلامية والعربية، ومركز البحوث والدراسات الإسلامية في دبي، وأوقاف دبي، وجامعة الإمارات العربية المتحدة بالعين، وجامعة عجمان، وممثلي مجلة الشقائق، وجامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية بالرياض.

أيها السادة الحضور: لقد كتبت ورقة عمل بعنوان (الاحتشام لبنة في بناء المجتمع) سألقيها في المحور الثالث من هذه الندوة لأؤكد أن هذه القيم تساهم في بناء المجتمع، وتحمي الأمة، وتذود عن حياضها، وتصون القيم لأردد مع شاعر النيل حكمته الرائدة

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ونسأل الله تعالى أن يقر عين صاحب السمو في تفعيل هذا القرار وتنفيذه والتعاون على تطبيقه. امتثالا لقوله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) وقوله تعالى: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) وقوله: (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وقوله تعالى: (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره).

سدد الله خطاكم، والله من وراء القصد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الثلاثاء في : ٦ شعبان ١٤٢٢هـ

الموافق: ٢٠٠١/١٠/٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الاحتشام: حقيقته، أهميته، فضله وآثاره

د. محمد عجاج الخطيب
أستاذ الحديث وعلومه، وأساليب الدعوة والإرشاد
ونظام الإسلام، جـــامعة الشارقة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له.والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المرسلين، وخاتم النبيين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد فيسرني أن أشارك في ندوة الاحتشام والسلوك العام وأثره في المجتمع، التي تعقدها كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في الفترة ٧و٨ شعبان ١٤٢٢هـ الموافق ٢٣و٢٤ أكتوبر ٢٠٠١م في رحاب جامعة الشارقة بموضوع: الاحتشام (حقيقته، أهميته، فضله وآثاره، دور الأسرة والمدرسة والمجتمع فيه).

وبنيته على عشرة مباحث مختصرة:

١ ـ بين يدي الموضوع.
٢ ـ الاحتشام في اللغة.
٣ ـ الاحتشام في الشرع وميادينه.
٤ ـ الاحتشام (الحياء) في نظر العلماء.
٥ ـ تربية الاحتشام.
٦ ـ دور الأسرة في الاحتشام.
٧ ـ دور ذوي القربى في الاحتشام.

٨ ـ دور المدرسة في الاحتشام.
٩ ـ دور المجتمع في الاحتشام.
١٠ـ الوسطية والاعتدال في رعاية الآداب والأخلاق العامة.
١١ ـ أهم خصائص الاحتشام وفوائده.
الخاتمة، وفيها أهم نتائج الموضوع والتوصيات.

سائلا الله العلي العظيم أن يكون موضوعي هذا خالصا له، وأن يحقق الغاية المرجوة منه، وأن يحفظ على الأمة دينها وأخلاقها، إنه خير مسؤول وبالإجابة جدير، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، إنه ولي الرشاد والسداد والتوفيق..

الاحتشام: حقيقته، أهميته، فضله وآثاره

١ـ بين يدي الموضوع: شعب الإمارات العربية، شعب أصيل أبي، تسوده روح الأخوة والمحبة والإيثار، في السراء والضراء، في الشدة والرخاء، في العسر واليسر، يحب الخير للناس جميعاً، ويدعو إليه، وينهي عن الشر والسوء وينفر منه، شعب صافي السريرة، صادق اللهجة، يسعى إلى إحقاق الحق حيثما وجد، ويكره الباطل وأصحابه، ويحترم الإنسان لإنسانيته، ويقدر فيه عزته وكرامته، كافح بشجاعة وجرأة الحملات الاستعمارية التي طمعت في منطقته، وَصَدَّ الغزاة وأقلق مضاجعهم، فلم يدع لهم استقراراً في أرضه، ولا طمأنينة في ربوعه، حتى حرر البلاد من كل دخيل، وعرف طعم الحرية، وسعى إليها من أجل جميع الشعوب على اختلاف نزعاتها، وبذل أهل الإمارات ما في وسعهم من جهود مادية وأدبية في سبيل بناء نهضتهم وحضارتهم، رعاةً ورعية، وتحملوا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين شظف العيش، وقسوة المناخ وظروفه، في سبيل البناء الثقافي، الذي شق لهم سبيل الحضارة، فكانت لهم حضارة أصيلة معاصرة، تستند أصالتها إلى إيمانهم وقيمهم الأخلاقية السامية، واحترام أعرافهم وتقاليدهم، وتتجلى معاصرتها بطموحاتهم وتطلعاتهم إلى تحقيق مزيد من التقدم، ومواكبة الأمم المتقدمة في ميادين الصناعة والزراعة والتقنيات... وقد تحقق للإمارات جُلُّ ما صبت إليه بفضل الإيمان والعمل والإخلاص، والتفاف الرعية حول رعاتها شيوخها وحكامها، وقَلَّ أن نرى في هذا العصر أمة تحب قادتها وزعماءها حب أبناء الإمارات لقادتهم... وقد تألقت الإمارات السبعة بمنجزات لا تغيب عنها الشمس، وتألق بدر الشارقة في ميادين الثقافة والحضارة بين كواكب الإمارات، تألق القمر ليلة النصف وانتظم عقد الإمارات في الأمم المتقدمة، ساعية إلى تحقيق المزيد من هذا في جميع ميادين الحياة.

وإن استمرار هذه الحضارة ورقيها مرتبط بحسن المحافظة عليها مادياً وأدبياً، والاهتمام بها ورعايتها وصيانتها من كل ما ينال منها، بأن يؤدي كل منا دوره في هذا البناء.

وقد فتحت الإمارات أبوابها وقلبها للناس جميعهم، ورحبت بكل من يستطيع أن يدلي بدلوه في ميادين الحياة، وقدمت إلى كل من على أرضها ما يحفظ له كرامته الإنسانية وحقوقه وحريته- وفق دستورها وقوانينها، في ظلال احترام قيمها الأخلاقية الإنسانية، وأعرافها وتقاليدها الاجتماعية - وبالتالي فإنها تحرص على المحافظة على قيمها الرفيعة، ومكارم أخلاقها ، وأعرافها وتقاليدها وعلى كيانها الاجتماعي، وتماسكها الأسري، وعلى الآداب الخاصة والعامة، من أي أمر دخيل يشوبها أو يمس كيانها باطناً وظاهراً. أشد من محافظتها وحرصهاعلى مكتسباتها المادية الحضارية، لأن استمرار تقدمها الحضاري مرتبط بعقيدتها وقيمها وشخصيتها.

ولهذا أصدر صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة الرئيس الأعلى للجامعة- مرسوم الاحتشام والسلوك العام، حفاظا على هوية أمتنا، وشخصيتها المتميزة، وليستمر بناؤها الاجتماعي قويا شامخا، أمام أمواج العولمة العاتية، وتيارات الغزو الفكري المتنوعة، محققا التلاحم الأمثل بين الراعي والرعية، مؤكدا قول أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (إن الله يزع بالسلطان ما لا يـزع بالقرآن)، ذلك لأن سلوك كل مجتمع مرتبطٌ بقيمه الأخلاقية وطموحاته، وجده واجتهاده، وهو مرآة صادقة لمفاهيم أبنائه العقدية والأخلاقية والتربوية. وصدق الشاعر إذ يقول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيـت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

٢ـ الاحتشام في اللغة: من حشم يحتشم احتشاما، والحشمة الحياء والانقباض، والاستحياء، والاستحياء مبالغة في الحياء، مثل الاستجابة مبالغة في الإجابة، وأطلق الله تعالى الاستحياء على المبالغة في الاحتشام في قوله سبحانه: (فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا)[1] وتقول: حشمته وأحشمته أي أخجلته[2].

قال كثير في الاحتشام بمعنى الحياء:

إني متى لم يكن عطاؤهما ... عنـدي بمـا قد فعلتْ أحتشمُ

---

(١) الآية ٢٥ من سورة القصص، (على) للاستعلاء المجازي مستعارة للتمكن من الوصف. والمعنى :أنها مستحيية في مشيها، أي تمشي غير متبخترة ولا متثنية ولا مظهرة زينة. تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٣/٢٠، وانظر المصحف الميسر للشيخ عبد الجليل عيسى ٥١٠.

(٢) لسان العرب والقاموس المحيط، وتاج العروس مادة (حشم).

وقال عنترة العبسي :

وأرى المطاعمَ لوأشاءُ حويتها فيصدني عنـها كثيرُ تحشُمي

وقال ساعدة الهذلي :

إن الشباب رداءٌ من يَزِنْ تَرَهُ يُكسى جَمالا ويُفنِد غيرَ مُحْتَشِمِ[1]

وقال علي رضي الله عنه في السارق للمرة الثالثة: لا أقطع إن قطعت يده فبأي شيء يأكل، وبأي شيء يستنجي ؟ وإن قطعت رجله فبأي شيء يمشي ؟ إني لَأَحتَشِمُ (لأستحي) من الله أن لا أدع له يدا[2].

ويقال: فلان يحتشم المحارم أي يتوقاها.

وصار مألوفا في العربية أن يقال لمن يكشف من بدنه مالا يليق كشفه، ولمن لا يوقر من هو أكبر منه، أو يرفع صوته فوق المألوف، أو يسيء التصرف بإشارة أو عبارة أو فعل ونحو هذا — (احتشم)، بل وشاع هذا في عامة الناس وخاصتهم.

٣ـ الاحتشام في الشرع: يقوم مفهوم الاحتشام في الشرع على معناه اللغوي بأوسع دلالاته، وأوضح صوره، وعموم شموله، من خلال دعوته إلى الحياء، والالتزام بمكارم الأخلاق والحث عليها، والترغيب فيها، وبيان فضائلها وآثارها، ومنازل أصحابها وأجورهم في الدنيا والآخرة... والترهيب من مساوئ الأخلاق والزجر عنها، وبيان آثارها الوخيمة، وأحوال أهلها في الدنيا، وعاقبتهم في الآخرة. ودعوة الإسلام إلى مكارم الأخلاق عامة، وإلى الحياء خاصة تشمل جميع جوانب الإسلام، وتعم ميادين الحياة على كثرة محاورها. وفيما يلي بيان هذا :

آ — في جانب العقيدة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وستون شعبة،والحياء شعبة من الإيمان"[3] وفي رواية: "الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[4].

---

(١) لسان العرب مادة (حشم)

(٢) انظر تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد السايس٢/ ١٩١ ولسان العرب (حشم) وتفسير قوله تعالى (والسارق والسارقة فاقطعوا أيدهما..) المائدة ٣٨و٣٩فتح القدير٢/٣٩ .

(٣) أخرجه البخاري الإيمان باب ٧. قال العلماء: (الحياء خلق يبعث على ترك القبح ويمنع من التقصير في حق ذي حق) رياض الصالحين ٢٤٥.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان ٥١.

وما أبلغ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم – حين مر برجل من الأنصار يعظ أخاه في الحياء، كأنه يعاتبه يقول له إنك لتستحي... قد أضر بك. – "دعه فإن الحياء من الإيمان"[1].

ب – في العبادة :يقول عز من قائل :(واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين)[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون عليكم السكينة،فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا"[3].

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنا إذا أشرفنا على واد هللنا وكبرنا ارتفعت أصواتنا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إنه معكم، إنه قريب تبارك اسمه، وتعالى جده"[4].

ج – في السلوك: عرض الإسلام للحياء في السلوك الخاص (الشخصي) والسلوك العام أي السلوك في المجتمع، ومعلوم أن السلوك مظهر من مظاهر العقيدة والالتزام بالقيم.

١ـ ففي ميدان السلوك الشخصي حسبنا ما ورد من آيات كريمة في تقوى الله تعالى وحسن مراقبته، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم:"اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"[5].

وحسبنا في هذا المقام حديث معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه، قال:" قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟؟ قال احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك. فقال: الرجل يكون مع الرجل ؟ قال: إن استطعت ألا يراها أحد فافعل.

قلت: والرجل يكون خاليا ؟ قال: الله أحق أن يستحيى منه"[6].

٢ـ وفي ميدان السلوك في المجتمع: حسبنا في هذا المقام ما بينه الرسول صلى الله عليه وسلم، مما جاءت به الشرائع السماوية قوله: (مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت)[7].

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأدب حديث ٥٦٥٣.

(٢) سورة الأعراف: ٢٠٥.

(٣) أخرجه البخاري كتاب الجمعة٨٥٧ ومسلم حديث ٩٤٤، وأبو داود حديث ٤٨٦، والنسائي حديث ٨٥٢ وغيرهم

(٤) صحيح البخاري الجهاد والسير، حديث٠ ٢٧٧، والتوحيد حديث ٦٨٣٨،والدعاء ٥٩٠. (اربعوا) بسكون الراء وفتح الباء: أي اخفضوا أصواتكم.

(٥) متفق عليه صحيح البخاري كتاب الإيمان وصحيح مسلم كتاب الإيمان. هذا تابع هامش الصفحة السابقة.

(٦) أخرجه الترمذي كتاب الأدب حديث ٢٦٩٣و٢٧١٨ وأبو داود كتاب الحمام حديث ٣٥٠١ وابن ماجه كتاب النكاح حديث ١٩١٠ والإمام أحمد في المسند حديث ١٩١٨١.

(٧) أخرجه الإمام أحمد في المسند حديث ٢١٣١٣وأبو داود في السنن كتاب الأدب ٤١٦٤

إنه دعوة صريحة للالتزام بالحياء. وهذا الحديث ناظم للإنسان السوي في سلوكه وجميع تصرفاته، الظاهرة منها والباطنة، الخاصة والعامة، ذلك لأن الحياء من الإيمان كما سبق ذكره. فسلوك المسلم في جميع أحواله على كمال الاتزان والاستقامة، ووصية الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل تزيد هذا الأمر وضوحا وبيانا، قال معاذ رضي الله عنه: "يا رسول الله أوصني. قال اتق الله حيثما كنت. قال: زدني. قال: أتبع السيئة الحسنة تمحها. قال: زدني. قال: خالق الناس بخلق حسن"[1].

وما أبلغ قول الله عز وجل، وشمول دلالاته (ولا تصعر خدك للناس، ولا تمشِ في الأرض مرحا إن الله لا يحبُ كل مختال ِفخور. واقصِد في مشيك واغضض من صوتك. إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)[2].

وقوله عز من قائل: (ولا تمش في مرحا إنك لن تخرق الأرض َولن تبلغ الجبال طولا. كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها)[3].

وليكن مسك الختام في موضوع السلوك العام، ما انطلق من مشكاة النبوة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إياكم والجلوس في الطرقات. فقالوا: ما لنا بد، إنما هي مجالسنا نتحدث فيها. قال: فإذا أبيتم: فأعطوا الطريق حقها. قالوا: وما حق الطريق قال: غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمرٌ بالمعروف، ونهيٌ عن المنكر"[4].

وفي الحكمة (إن من الحياء وقارا، وإن من الحياء سكينة)[5].

في كل ما سبق ألوان من رفيع الأخلاق ومكارمها، ومحاسن الخصال، وجميل الآداب، وكل ذلك خير للإنسان والمجتمع، وجماع ذلك الحياء الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الحياء لا يأتي إلا بخير"[6] نفي وإثبات في عموم السياق فيكون عاما. إنه نص صريح واضح في وجوب الالتزام بالحياء، والاستحياء من الله ومن عباد الله... ويعني هذا بمفهومه المخالف أن كل ما يتنافى مع الحياء، ويخالف الاستحياء، من وقاحة وسوء أدب، وانحراف في السلوك إنما هو باب من أبواب الشر، سواء أكان في القول أو الفعل أو المظهر،.... فالحياء

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند حديث ٢١٠٤٧ .

(٢) سورة لقمان الآية ١٨و١٩ .

(٣) سورة الإسراء ٣٧ و٣٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم حديث ٢٢٨٥وكتاب الإستئذان حديث ٥٧٦١ .

(٥) صحيح البخاري كتاب الأدب حديث ٥٦٥٢.وفي بدء الوحي باب ٦.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأدب حديث ٥٦٥٢ .

رأس الخصال الحميدة، يحمل صاحبه على ترك كل قبيح، ويمنع من التقصير في القيام بالواجبات، وأداء الحقوق... وفي هذا من جلب المصالح ودفع المفاسد ما لا يخفى. فالحياء يمنع الإنسان من الوقوع في السوء، وإذا عدم الحياء انزلق المرء إلى مهاوي الردى، وهو الباعث على ترك كل قبيح، والمانع من التقصير في حق كل ذي حق، قريباً كان أو بعيداً، كبيراً أو صغيراً، ذكراً أو أنثى... والاحتشام والحياء صورة من صور التحضر والتقدم والرقي، ومظهر للأناقة واللطف، والسلامة من كل ما يستقبحه الإنسان في المأكل والمشرب والملبس، وتصرف الإنسان ذاته في أموره وسلوكه، وتصرفه مع غيره حديثاً وبيعاً وشراءً، أخذاً وعطاءً، رئيساً أو مرؤوساً.. يتجلى هذا في الحياة اليومية في الأسرة، والمدرسة والمجتمع بجميع مؤسساته... في غايتها النبيلة، ووسائلها الحميدة...

٤- الاحتشام (الحياء) في نظر أهل العلم:

١. قالت السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما: (مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدقُ اللسان. وأداءُ الأمانة، وصلةُ الرحم، والمكافأة بالصنيع، وبذلُ المعروف، وحفظ الذمام للجار، وحفظ الذمام للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء)[(١)].

وقال علي رضي الله عنه: (من كسا بالحياء ثوبَهُ لم يَرَ الناسُ عيبه)[(٢)].

وقال عمر رضي الله عنه: (مَنْ قلَّ حياؤه قَلَّ ورعُهُ، ومن قلَّ ورعُهُ مات قلبه)[(٣)].

والحشمة حياء النفوس الشريفة العزيزة من أن ترضى بنقص يشينَها، أو تقنع بما لا يليق بمكانتها الرفيعة، فالحياء يدفع عزيز النفس كريمها إلى معالي الأمور، ومكارم الأخلاق، والترفع عن سفاسفها.

قال الجاحظ: (الحياءُ من قبيل الوقار، وهو غَضُّ الطرفِ، والانقباض عن الكلام حشمةَ للمستحيا منه، وهو عادة محمودة ما لم تكن عن عي، ولا عجز)[(٤)].

وقال بعضهم: (الحياء من الفضائل التي تدخل تحت العفة، بل هو أولها)[(٥)].

وقال آخر: (ما كان الحياء في شيء إلا زانه، وما كان الفحش قط في شيء إلا شانه)[(٦)].

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ٦٢٤/٢

(٢) المرجع السابق

(٣) نضرة النعيم ١٨٠٩/٥ عن مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ٢٠ .

(٤) المرجع السابق ١٧٩٧/٥عن تهذيب الأخلاق للجاحظ ٢٣ .

(٥) تهذيب مدارج السالكين ٦٢٠/٢وما بعدها .

(٦) المرج السابق.

والحياء من مميزات الإنسان وخصائصه، كله خير. بل وأصل كلُ خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه. وله دور عظيم الخطر، جليل الأثر. في انتظام أمور الحياة وأداء الحقوق والقيام بالواجبات. قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: (وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدراً، وأكثرها نفعاً، بل هو خاصةُ الإنسانية، فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحمُ والدمُ وصورتهما الظاهرة. كما أنه ليس معه من الخير شيء ولولا هذا الخلق لم يُقّرَ الضيفُ، ولم يوفَ بالوعدِ، ولم تؤدَّ أمانةٌ، ولم تقض لأحدٍ حاجةٌ. ولا تحرَّى الرجلُ الجميل فآثره والقبيح فتجنبهُ. ولا سترَ له عورة، ولا امتنع من فاحشة، وكثيرٌ من الناس لولا الحياء الذي فيه لم يُؤدِ شيئاً من الأمور المفترضة عليه، ولم يَرْعَ لمخلوق حقاً، ولم يصل له رحماً، ولا بَرَّ له والداً)[1].

فكأن الحياء عصب الحياة ومحركٌ الإنسان نحو أداء الواجبات، والقيام بالخيرات والمكرمات، وما أبلغ قول الشاعر وما أبعد دلالاته:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فاصنع ما تشاءُ
فلا والله ما في العيش خيرٌ ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياءُ
يعيشُ المرءُ ما استحيا بخير ... ويبقى العودُ ما بقي اللحاءُ[2]

فالإنسان يعيش بخير وطمأنينة ما دام الحياءُ رداءه، كالشجرة الصغيرة تستمر حياتها ونموها ما دامت قشرتها تحيط بها وتحفظها وتقيها من كل سوء، فإن نزعت عنها كان حتفها في نزعها.

٥ـ تربية الاحتشام (الحياء): الحياءُ فطري ومكتسب. فالفطري ما كان في جبلة الإنسان وسجيته وفطرته. وفي النفوس كلها قاسم مشترك من الحياء... كالحياء من كشف العورة، كما يمكن اكتساب الحياء بمجالسة من يُستحيى منه، ومصاحبة من عرف بكمال الحياء والاحتشام، كالعلم يكون بالتعلم، والأدب بالتأدب، ويكون كسبُ الحياء بالاستحياء. فإن قويت خصلة الاحتشام في الإنسان تدرج في سبيل الأخلاق الكريمة، وسلك معارج الكمال، وإن ضعفت هذه الخصلة انحدر من سيء إلى أسوأ، ومن قبيح إلى أقبح، ويظن أنه يحسن صنعاً... وصنيعه قبيح مذموم فطرة وعقلاً، لأن الوازع النفسي. وواعظ الله في قلب المسلم لم ينمُ فيه، أو أنه مفقودٌ لبعده عن التربية الإسلامية فتخلف عن أداء وظيفته، فلم يشعره بسوء ما يتصرف، وقبح ما يصنع... وما أبلغ قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (ضرب الله مثلا صراطا مستقيما. وعلى جنبتي الصراط

(١) نضرة النعيم ١٨٠٢/٥ مختصر من مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢٩٩. السعادة
(٢) المرجع السابق١٨١١/٥ .

سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستورٌ مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ يقول: أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تتفرجوا – أي لا تتفرقوا-. وداعٍ يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه. والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل. والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم[1]. إن صلاح القلوب يصلح الأعمال، التي هي مسالك الإنسان في الحياة، وصلاحها بمزيد تعهدها، وهي محل الإيمان ومعينه، وفيها قال الرسول صلى الله عليه وسلم :(ألا إن في الجسد مضغة إذا صَلَحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله،ألا وهي القلب). متفق عليه.

والتربية بالقدوة والنصح بالتي هي أحسن، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والرفقة الصالحة سبيل ممتاز إلى علاج هذا القصور، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[2].

٦ـ دور الأسرة في الاحتشام (الحياء): وللأسرة دور كبير في بناء شخصية أفرادها، فأول مجتمع صغير تتفتح عليه عيون المولود أسرته، التي ينهل منها حميد الخصال، مع نموه وتقدم سنه. ويبرز الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي هذا الدور الهام بقوله: (الصبي أمانة عند والديه. وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خاليةٌ من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمَهُ ونشأ عليه، سعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّدَ الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والولي له، وقد قال عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً)[3]. ومهما كان الأب يصونه عن نار الدنيا، فبأن يصونه عن نار الآخرة أولى، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه، ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من القرناء السوء... وينبغي أن يراقبه من أول أمره)[4]. وتقع المسؤولية التربوية في الأسرة على الأبوين مباشرة، وهي مسؤولية عظيمة تتناول بناء شخصية الأولاد بناءً قوياً من جميع الوجوه. فيجب أن يكون الأبوان قدوة طيبة لجميع أولادهم في جميع شؤونهم وأحوالهم، لأن الصغير يحاكي الكبير في جميع أموره ويقلده، لذا وجب على الأبوين ملاحظة هذا في الحديث والمأكل والمشرب والدخول والخروج، والاستئذان وكمال التعاون

---

(١) مسند الإمام أحمد حديث ١٦٩٧٦. وسنن الترمذي حديث ٢٧٨٦ .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب الزهد حديث ٢٣٠٠ وأبو داود كتاب الأدب ٤١٩٣، ومسند أحمد ٧٦٨٥ .

(٣) التحريم ٦ .

(٤) إحياء علوم الدين ٧١/٣ وما بعدها حتى ٧٩، ومختصر منهاج القاصدين ١٥٩– ١٦١ وانظر إحياء علوم الدين ١٥٧/٢–١٥٩.

والاحترام بين أفراد الأسرة، والالتزام بالآداب والوفاء بالعهود والتقيد بالنظام... والعدل بين الأولاد، واحترام حريات الآخرين... فمن شب على شيء شاب عليه، فأولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا[1]، وهم ذخر لنا ولأمتنا وفيهم قال حِطان بن المعلى الشاعر الإسلامي:

وإنما أولادنا حولنا ... أكبادنا تمشي على الأرض

إن هبت الريح على بعضهم ... تمتنع العين عن الغمض

٧- ويتسع مجتمع الأسرة بذوي القربى والجوار، وللقرابات حقوق وواجبات، وحسن لقاء وآداب، وصلات الرحم... وتكافل وتراحم، وتقدير واحترام، ومودة ومحبة واحتشام، بما يكفل للقرابة استمرار التواصل ودوام التعاون بوسطية واعتدال.

وللجوار حقوق كثيرة يجب أن يعرفها أبناؤنا ويوفوا بها، ويراعوها، فالإحسان إلى الجار، واحترامه، وترك كل ما يؤذيه أو يزعجه من رفع صوت أو إقلاق راحة... والحرص على التواصل مع الجوار، وغض البصر وحفظ اللسان. وما أبلغ قول الشاعر:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتـى يواري جـارتي مـأواها

٨- وللمدرسة دور عظيم في بناء شخصية أبناء الأمة، وحسن تربيتها تربية قويمة أصيلة، تكفل لقافلتها المضي في معارج الكمال، وتحقيق الآمال، فالناشئة محط أنظارنا، ومعقد آمالنا، ففي المدرسة صانعو الرجال والأبطال والمفكرين، والقادة والعلماء والمجتهدين. فيها المعلمون القدوة في كل شيء، يتأسى بهم طلابهم الذين يعيشون معهم معظم ساعات نهارهم، وسنوات طويلة من أعمارهم، وقد أدرك سلف أمتنا أهمية المعلمين والمؤدبين وضمنوها وصاياهم، ومن ذلك قول عمرو بن عتبة لمعلم ولده: (ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبحُ عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله، ولا تملهم فيه فيتركوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، ورَوِّهم من الحديث أشرَفَه، ومن الشعر أعفّه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه... وعلمهم سنة الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتوكل على عذرٍ مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك)[2]، ففي المدرسة الأسرة الكبيرة، يحترم فيها

---

(١) قال الأحنف بن قيس أحد حكماء العرب ودهاتها، وقد أسلم وحسن إسلامه: (الأولاد ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا).

(٢) العقد الفريد ٢/١١٧، والمقصود بتجنيب محادثة الأولاد النساء، النساء الأجنبيات، لما في هذا من مظنة الفتنة. وسدا لذريعة التخلق بأخلاقهن، ولتشبه بهن. مما يتنافى مع ما يجب أن يكون عليه رجل الغد، من قوة ورجولة وفروسية، ونجدة وحمية للحق. وكذلك تجنب البنات الحديث مع الرجال والصبية الأجانب، سدا للذرائع، وكيلا تتشبهن بالرجال أو يتخلقن بأخلاقهم الخاصة بهم.... فكل ميسر لما خلق له.

الصغير الكبير، ويوقر الطلبة فيها المدرسين، وينهلون من معين العلم والأدب والاحتشام، في المدرسة وخارجها، ويلتزمون بمكارم الأخلاق حيثما وجدوا، ويشاركون في المحافظة على الحضارة ووقايتها، ويسعون في تقدمها، بعلمهم وعملهم وخلقهم الكريم.

وإنّ مسؤولية الهيئة التعليمية والإدارية في جميع مراحل التدريس مسؤولية عظيمة، لأنها مسؤولية بناء الإنسان، والإنسان أغلى ما في الوجود، وعليه مدار الحياة العزيزة الكريمة المستقيمة، وهو قوامها ولا يخفى ما للتعاون بين الأسرة والمدرسة من أثر عظيم في التزام بالاحتشام في مدارسهم، ومع زملائهم ومعلميهم، وتخلفهم بحميد الأخلاق، وتميزهم بكريم الخصال مع أفراد أسرهم وإخوانهم وجيرانهم... من خفض صوت، وحب وتعاون وجدٍ واجتهاد، وغض بصر، وعفة نفس، وتحمل مسؤولية، واحترام الوقت، والاستفادة منه، وعدم التجمع في الشوارع والطرقات، والمحافظة على الآداب العامة، في جميع ميادينها، مما يشق لهم سبل التقدم والنجاح، ويتيح لغيرهم التأسي بهم، والسير على منوالهم، فلا نجد في الحدائق العامة، والمقاصف والمنتزهات، من يقتل وقته بالتحرش بالآخرين، أو الإساءة إليهم، وما أجمل أولادنا في مراعاة شعور الآخرين والمحافظة على القيم المثالية، وإعطاء كل موقف حقه، وكل ميدان ما يتناسب معه ويلائمه، وما أبدع شباب أمتنا وقد وعوا مسؤولياتهم فقاموا بها على أحسن وجه، وبهذا ينالون احترام غيرهم وتقديرهم، ولا يدعون لأحد أن يخرم قيمنا وأعرافنا وتقاليدنا أو ينال منها، وأكرم بفتياتنا المحتشمات، حيثما حللن، يترفعن عن الدنايا، ولا يقعن في شراك التغريب والتقليد، وقد عرفن دورهن في قادمات أيامهن، وأدركن مهماتهن خير إدراك... فعلى أيديهن تنشئة أجيال المستقبل، وبناء شخصياتهم القوية ليستطيعوا حمل الأمانة وأداء الرسالة، ومواصلة ركب حضارتنا، وتسطير أمجاد أمتنا...

٩- دور المجتمع في التربية: ثم يأتي دور المجتمع الكبير بتضامنه وتعاونه وتناصحه، ومحافظته على قيمه وآدابه من جميع أفراده، مجتمع الطمأنينة والاحترام، مجتمع الخلق والاحتشام، فلا يخرج على آدابه زائر أو عابر، مهما يكن منزعه ومشربه، إذ يدرك أنه لامحل في مجتمع الإمارات لسفاسف الأمور وقبائح الأعمال، وذميم الصفات، أو لسلوك منحرف، أو خلق شائن، فيحمله احتشامه على احترام قيمنا وعاداتنا وأعرافنا، فلا يخرج عليها.

١٠- وإن رعاية الآداب والأخلاق والاحتشام في المجتمع، والالتزام بجميع مظاهره ليس فيه إفراط ولا تفريط، بل هو الوسطية والاعتدال، الذي يحفظ جميع الحريات، ويقدر للإنسان كرامته، ولا يخضع هذا لموازين مختلفة أو أمزجة متفاوتة أو مفاهيم متغايرة، بل للاحتشام

ضوابطه الشرعية والفطرية والعقلية والعرفية والأخلاقية، التي أجمعت عليها الديانات السماوية. ودعا إليها المربون والاجتماعيون المعتدلون والحكام المخلصون وأهل المروءات والشهامة في كل زمان ومكان.. وأمر ذلك كله منوط بالجهات الأمنية المختصة، التي تعرف ضوابط ذلك كله، وتحسن التصرف مع جميع الظواهر، برفق وإحسان، وحكمة واتزان، وما علينا إلا الالتزام بآدابنا، والتعاون مع الجهات المختصة. فإذا صادفنا ما يخدش الحياء أو ما ينافي الاحتشام فإنّ سبل إعلام السلطات أمر ميسور،واستجابتها على جناح السرعة معهود.. وبهذا نحافظ على قيمنا، ونقي صرح أخلاقنا مما يشينه، ونسهم في حسن البناء...

١١ـ أهم خصائص الاحتشام وفوائده:

١- إن جميع الأديان السماوية دعت إليه ورغبت فيه، فهو محبب إلى الخالق العظيم وإلى عباده الصالحين.
٢- الالتزام بالاحتشام والحرص عليه عبادة وطاعة للخالق عند جميع اتباع الأديان السماوية. يؤجر فاعله، ويأثم تاركه.
٣- الاحتشام والاستحياء من خصال الفطرة، وكل ما وافق الفطرة تتقبله النفس بيسر وسهولة وتنفر من مخالفته.
٤- يدفع الاحتشام المرء إلى معالي الأمور والترفع عن محقراتها.
٥- يكسب المرء ثقة بنفسه ووقاراً، ويزيد في عزته وكرامته، فيجانب كل ما يخل بالمروءة، أو يخدش الحياء.
٦- يحصن الفرد بدرع الفضيلة.
٧- يحصن المجتمع من أسباب التحلل والتفسخ والانهيار.
٨- الاحتشام يحول بين المرء وما يهيج الغرائز ويثير الشهوات، ويورث الطمأنينة للأفراد والمجتمع.
٩- بالاحتشام والحياء لا ينشغل صاحب الواجب عن واجبه، فلا تضيع حقوق العباد.
١٠- وبناء على الخاصة السابقة فإن المردود الفعلي بين المحتشمين أكبر منه عند غيرهم، لحرصهم على الوقت وعلى أداء الواجب، وفي هذا تتحقق أكثر المصالح الاجتماعية. وتتطهر المؤسسات الخاصة والعامة من اللهو والعبث، ومن مظاهر اللامبالاة، وعدم تحمل المسؤولية.
١١- الاحتشام والاستحياء من خلق الأنبياء والمرسلين، والصالحين والمخلصين.

١٢- الاحتشام من أقوى وسائل الحب والاحترام والتقدير والتعاون بين أبناء المجتمع.
١٣- والدعوة إليه دعوة إلى الخير وإلى فضائل الأعمال وإلى مكارم الأخلاق.
سائلين الله تعالى العون والتوفيق والسداد والرشاد.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين،

وبعد، فقد تبين لنا عقب هذا العرض الموجز معنى الاحتشام في اللغة والشرع، ومدى اهتمام الإسلام الحنيف بالقيم الأخلاقية السامية، التي تشمل جميع جوانب العقيدة والعبادات والمعاملات والسلوك، في مختلف محاور الحياة، مؤيدا بالأدلة من القرآن الكريم، والسنة الشريفة، وأقوال العلماء، كما وقفنا على أهمية إصدار صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى للاتحاد حاكم الشارقة، الرئيس الأعلى للجامعة — مرسوم الاحتشام والسلوك العام ودوره في المحافظة على قيمنا الأخلاقية، وعلى شخصيتنا الإسلامية. في خضم أمواج العولمة العاتية، وتيارات الغزو الفكري المتعددة، بوسائلها المتنوعة، كما وقفنا على دور الأسرة في تربية أفرادها على الاحتشام، ودور ذوي القربى والمدرسة والمجتمع في بناء الشخصية الإسلامية، ودورها في الاحتشام، وانتهينا إلى وجوب الاعتدال في رعاية الآداب والأخلاق العامة، وسبيلنا إلى الالتزام بها - الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، في وعاء من الرفق والتبشير، من غير إفراط ولا تفريط، كما وقفنا على أهم خصائص الاحتشام وفضائله وآثاره. ويسرني أن أضع بين أيديكم بعض التوصيات:

١- التأكيد على أن الاحتشام لا يتنافى مع حرية الاختيار عند الأطفال المميزين طالما توفرت الشروط المشروعة فيما يختارونه.
٢- الحرص على تنمية حب الاحتشام في الصغار بدافع ذاتي، لا نتيجة ضغط أو مؤثر خارجي.
٣- السعي إلى تربية روح الاحتشام الجماعية في الأسرة في جميع أحوالها، وسبيلها التعاون والتناصح بالحكمة والموعظة الحسنة، وبخاصة في لقاءاتها اليومية الجماعية.
٤- الحرص على تخول ذوي القربى بالمتابعة الرفيقة، والتذكير بما يناسب الأحوال، عملا بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (ما وضع الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه).

٥- الإفادة من الدور الكبير الهام، الذي يقوم به الزملاء المدرسون في جميع مراحل التعليم من خلال التربية بالقدوة.

٦- حبذا لو تعلق لوحات مناسبة حول الاحتشام في المدرسة.

٧- حبذا لو تخصص في كل مدرسة لوحة شرف خاصة للمتميزين في السلوك العام، كغيرها من لوحات التفوق الدراسي.

٨- مضاعفة التواصل بين المؤسسات التربوية التعليمية والجمعيات النسائية، والنوادي الثقافية والرياضية والاجتماعية، لمزيد التوعية في هذا الميدان، والتحذير من كل دخيل يتعارض مع عقيدتنا وقيمنا الأخلاقية وآدابنا العامة والخاصة، تحت أسماء مغرية. قد تفضي إلى النيل من شخصيتنا، وتسهم في التحلل الاجتماعي.

٩- تفعيل دور كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في خدمة المجتمع، عن طريق التعاون بينها وبين الكليات الجامعية ووزارة العدل والأوقاف والشؤون الإسلامية، لعقد ندوات ومؤتمرات ومحاضرات، في إمارات الدولة. لمزيد التوعية السلوكية، مع معارض متنوعة جذابة، مرافقة لتلك الأنشطة.

سائلا الله تعالى أن تثمر جهودنا جميعا، ويسدد الخطى إلى ما فيه خير أمتنا وخير الإنسانية.

والحمد لله رب العالمين.

أهم المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ إحياء علوم الدين: لحجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي، بإشراف الشيخ عبد العزيز السيروان. دار القلم بيروت لبنان ط ٣.

٣ـ الأدب المفرد: للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، بعناية محب الدين الخطيب القاهرة.

٤ـ تاج العروس :للزبيدي طبع الكويت.

٥ـ تفسير آيات الأحكام: للشيخ محمد السايس. المكتبة الأزهرية القاهرة.

٦ـ تفسير التحرير والتنوير: لسماحة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور. دار سحنون للنشر والتوزيع تونس.

٧ـ تهذيب مدارج السالكين ـ لابن قيم الجوزية، تهذيب عبد المنعم صالح العلي العربي مؤسسة الرسالة بيروت.

٨- رياض الصالحين: للإمام النووي بتقديم د. محمد جميل غازي. دار الجيل بيروت.
٩- سنن الترمذي: للإمام أبي عيسى الترمذي القاهرة.
١٠- سنن أبي داود: للإمام أبي داودالسجستاني تعليق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد. المكتبة التجارية، القاهرة.
١١- سنن ابن ماجه :للحافظ محمد بن يزيد(ماجه) القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.
١٢- سنن النسائي: للحافظ أبي عبد الرحمن النَسائي، بحاشية السندي. القاهرة.
١٣- صحيح البخاري: لأمير المؤمنين في الحديث الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بتحقيق د مصطفى البغا دمشق.
١٤- صحيح مسلم: للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي. القاهرة.
١٥- العقد الفريد: للكاتب الأديب ابن عبد ربه، بعناية محمد سعيد العريان، المكتبة التجارية. القاهرة.
١٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري: لشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني. القاهرة.
١٧- فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية من علم التفسير: للإمام محمد بن علي الشوكاني، ط مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
١٨- القاموس المحيط للفيروزابادي. القاهرة.
١٩- لسان العرب لابن منظور الإفريقي، القاهرة.
٢٠- مختصر منهاج القاصدين: لابن قدامة المقدسي. تعليق شعيب وعبد القادر الأرنؤوط ط دار القادسية بالاسكندرية.
٢١- مسند الإمام أحمد: للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، ط بيروت.
٢٢- المصحف الميسر: للشيخ عبد الجليل عيسى، ط مصر.
٢٣- موسوعة الحديث الشريف الألكترونية الكتب التسعة صخر. الإصدار الأول.
٢٤- نضرة النعيم مكارم أخلاق الرسول الكريم :إعداد لجنة من المتخصصين برئاسة صالح بن عبد الله بن حميد ط دار الوسيلة جـــدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

الاحتشام والسلوك: رسالة عالمية وعطاء حضاري

د. ماجد عرسان الكيلاني
جامعة الشارقة

١. مقدمة

التوجيه الذي أرسله صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشارقة، الرئيس الأعلى للجامعة، تحت عنوان – السلوك والاحتشام، إلى المجتمع الشارقي، بمؤسساته وأهله والمقيمين فيه والقادمين لزيارته، لا تقف أهميته عند الحفاظ على الخصوصية الحضارية للإمارة وقيمها الثقافية والاجتماعية، وإنما تمتد وتتسع لتصبح رسالة عالمية وعطاءً حضاريا يُسهمان في تقديم نموذج الحياة للمجتمعات المعاصرة الباحثة عن الاستقرار والاستمتاع بنعم الله في العلم والتكنولوجيا بأمن وسلام.

٢. أهمية الاحتشام والسلوك

وللوقوف على أهمية هذا التوجيه وثماره المؤملة لابد من الوقوف على أمرين هما : الأول الإحاطة بأهمية الاحتشام والسلوك في المنابع الأصلية لقيم هذه الأمة ، والثاني التعرف على ما آلت إليه ممارسات عدم الاحتشام في المجتمعات المعاصرة، لأن منهج البحث الذي يوجهنا القرآن لاستعماله ونحن نحلل المواقف والأوضاع الاجتماعية هو أن ننظر أولا في توجيهات الله تعالى لنتبين مدى استجابة هذه المواقف والأوضاع لهذه التوجيهات ، ثم ننظر بعد ذلك في نتائج التطبيق وعواقب الممارسات الإنسانية لنتبين الحال الذي آلت إليه السياسات والأوضاع المذكورة.

وهذا منهج في البحث يوجه إليه قوله تعالى: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" (فصلت –٥٣) . أي سنريهم صدق آياتنا التي في الكتاب في آفاق الكون الطبيعي وفي عواقب الممارسات الاجتماعية والحضارية التي يمارسونها أنفسهم.

٣. ثقافة الاحتشام والسلوك في المنابع الأصلية للقيم الإسلامية

أما عن الأمر الأول وهو الوقوف على أهمية "الاحتشام والسلوك" في المنابع الأصلية للقيم الإسلامية، فإن تدبر ما جاء من آيات حول "ثقافة الاحتشام" وما يقابلها من "ثقافة السوء والعُري" يرينا أن أول فضيلة استهدفها الشيطان في أبوي البشر آدم وحواء عليهما السلام هي فضيلة الاحتشام، وأن أول مضاعفات نسيان آدم لتذكير الله في مطعوماته ومأكله كان العري وعدم الاحتشام.

أ. استمرار جدلية الصراع بين "ثقافة الاحتشام"، و"ثقافة السوء والعُري":

والقرآن الكريم لا يعرض قصة آدم باعتبارها حادثة فردية تخص آدم وزوجه وإنما يستمر السياق القرآني ليذكر ذريتهما بأن حوادث القصة عدوان شيطاني وضعف إنساني سوف تتكرر كلما غفل الناس عن "ثقافة الاحتشام" وشاعت بينهما "ثقافة السوء" وما ينتج عنها من تطبيقات تقوض الحضارات وتنتهي إلى تدمير المجتمعات . والاحتشام الذي يذكر به القرآن هو احتشام فكري، واحتشام نفسي، واحتشام جسدي، كما أن "ثقافة السوء" التي يحذر منها القرآن هي "سوء فكري، وسوء نفسي، وسوء جسدي لأن السلوك الذي ينبع من ثقافة الاحتشام يولد نتيجة التزاوج في داخل الإنسان بين فكرة المحتشم ونفسه المحتشمة، والسلوك الذي ينبع من "ثقافة السوء" يولد نتيجة السفاح الذي يعقده الشيطان في داخل الإنسان بين فكره الضال وإرادته المولعة بالشهوات المحرمة . قال تعالى:

"قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين. قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون. يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون. يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون " (الأعراف ٢٤-٢٧).

وتستمر الآيات التي تتلو مباشرة لتروي أنه حين يشيع عدم الاحتشام ويعتاد الناس على ثقافة السوء وتتنزل هذه الثقافة من جيل إلى جيل فإن المجتمعات الإنسانية تدرجها في عداد معتقداتها الدينية، وأخلاقها الاجتماعية ، وممارساتها السياسية والإدارية وموروثاتها الثقافية والفنية والأدبية.

"وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمر بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون. قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه

مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون. فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون" (الأعراف -٢٨-٣٠).

ب. آثار ثقافة "السوء والعُري" في الحضارات والمجتمعات:

والحقيقة أن تاريخ الإنسان وحاضره على الأرض يبرهنان صحة هذا التوجيه وصدقه. ففي فترة ما نصبت المجتمعات البشرية أصناماً لما أسمته -إلهة الجمال - ونحتت لهذه الإلهة تماثيل عارية لنساء جميلات ، وفي فترة أخرى صنعت مجتمعات أخرى من "سوأة الإنسان" تماثيل مقدسة ، واليوم تعرض أجساد الفتيات عارية وتقام لها مسابقات الجمال. ومنذ سنوات بثت إحدى محطات التلفزة الأمريكية صورة وخبراً رأيته بنفسي لمذهب كنسي جديد يدعو أتباعه للصلاة وهم عراة تحت شعار أن الإنسان وُلد عاريا وعليه أن يعبد الله عاريا كما ولد. كذلك أثبت تاريخ الإنسانية أنه حين تغيب هذه المعبودات والضلالات غير المحتشمة فإن بيئة الاحتشام تشيع وأنبل مشاعر الحب والمودة تولد، ويشيع الزواج النظيف، والأدب الرفيع، والفن الرفيع والأذواق الرفيعة والسياسات الرفعية، والإدارات الرفيعة ، والعلاقات الإنسانية الرفيعة. أما حين يشيع -العري- وينتفي الاحتشام فإن السوء والفاحشة يوجهان سلوك الإنسان ويسقط الرجل والمرأة ضحية الشهوات الهابطة المؤدية إلى الشذوذ والانحراف المفضيان إلى امتهان إنسانية الإنسان وانتشار تجارات الرقيق الأبيض، والأدب الرخيص ، والفن الرخيص والسياسات والإدارات غير المحتشمة والعلاقات الإنسانية الهابطة.

وتمضي الآيات القرآنية لتفصل تفصيلا دقيقا عن تطبيقات "ثقافة السوء وعدم الاحتشام" وما جلبته على المجتمعات التي مارستها في حياتها السياسية والإدارية والاجتماعية والثقافية والفنية. وتورد القصص لهذه التطبيقات الخاطئة من أمثال قوم لوط وقوم عاد وقوم شعيب وبني إسرائيل وغيرهم. وكيف انتهت بهم "ثقافات عدم الاحتشام" بأن حقت عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم بما كانوا يفسقون. ولقد أوجز صلى الله عليه وسلم الآثار السيئة لثقافة السوء وعدم الاحتشام عند قوله: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما شئت[1].

كذلك تتكرر الدعوة في القرآن الكريم للسير في الأرض والتنقيب في آثار الحضارات والمجتمعات التي مضت لنتبين عاقبة الذين ظلموا أنفسهم ، وكيف أن "ثقافات عدم الاحتشام" انتهت بهم إلى مصارعهم التي لم يحل دونها أنهم كانوا أشد قوة وأنهم عمروا الأرض أكثر مما عمرناها فما أغنت عنهم حضاراتهم ولا منعت المصير الذي انتهوا إليه.

---

(١) البخاري (كتاب الأنبياء-كتاب الأدب)، ابن ماجه (الزهد)، سنن أبي داوود (الأدب).

جـ. ثقافة العري"سمة" المجتمعات الظالمة":

والسبب الذي يحيل -ثقافة العري- وعدم الاحتشام عاملا من عوامل انهيار المجتمعات وسقوط الحضارات ، هو أن ثقافة العري والسياسات الظالمة توأمان متلازمان. فأينما انتشرت سياسات الظلم صاحبتها -ثقافة العري وعدم الاحتشام- ومن هنا ندرك مغزى قوله صلى الله عليه وسلم :

"صنفان من أهل النار لم أرهما: رجال يضربون الناس بسياط كأذناب البقر، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات ، على رؤوسهن كأسنمة البخت ، لا يدخلن الجنة ولا يشممن رائحتها، وإن رائحتها على بعد كذا وكذا" والأسنمة جمع سنام وهو الارتفاع البارز في ظهر الجمل. والبخت نوع من الجمال أسنمتها كثيفة الشعر.

والسؤال الذي نطرحه : ما الحكمة التي جعلت الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر الرجال الذين يضربون الناس بالسياط إلى جانب النساء الكاسيات العاريات اللاتي يكشفن رؤوسهن، ويمشطن شعورهن بتسريحات تبدو كأسنمة البخت ؟ لماذا لم يذكر إلى جانب الضاربين بالسياط رجال يغشون الناس، أو يعتدون عليهم، أو يخونون أماناتهم؟

الجواب ، هو أن كلا من الفريقين المشار إليهما في الحديث النبوي الشريف أداة من أدوات الأنظمة الظالمة والدكتاتوريات التي تتسلط على المجتمعات وتنتهي بها إلى الخراب والسقوط. فالمجتمعات التي تقع فريسة للظلم ينقسم الناس فيها إلى ثلاثة أقسام : الأول ، أقلية واعية تعي خطورة الظلم وتنكر سياساته وتدعو لمعارضته، وتستعصي على إغراءات الظالمين الذين يعمدون إلى اعتقال المعارضين وتسليمهم إلى القساة من الشرطة والعساكر ليسجنوهم بالزنازن، ويجلدوهم بالسياط التي تشبه -فعلا- أذناب البقر. والقسم الثالث أكثرية غافلة عما ينزل بها من مظالم، لاهية بشهواتها، تتبع كل ناعق، وترقص لكل عازف، وتستجيب لأية فتنة. هذه الأكثرية تعمد الأنظمة الظالمة إلى إغراقها بـ"ثقافة العري" التي تجند النساء الكاسيات العاريات المائلات للطيش والهوى ، المميلات للشباب بالتبرج والإثارة، وللشابات بالأسوة السيئة تحت أسماء براقة مثل : نجمة الشاشة، راقصة الباليه ، عارضة الأزياء، ملكة الجمال، مهرجانات الرقص الشعبي. فرق الدبكة إلى ما هنالك من عناوين ظاهرها الشهرة والرفعة والغنى وباطنها الفساد والانحطاط وتجارة الرقيق الأبيض، وتشيع أجواء الفاحشة تحت يافطات جذابة مثل : حقوق المرأة ، التحرر، التقدمية، بينما يكون الهدف الحقيقي هو إلهاء الأكثرية عن المظالم التي ترزح تحتها، والتحديات والأخطار التي تحيق بها.

٤. معنى السلوك وحلقاته

أما "السلوك" فإن الاستعمالات اليومية لهذا المصطلح قد ضيقت معناه حتى انحسر في الحلقة الأخيرة من حلقاته وهي حلقة الممارسة الظاهرية التي يقوم بها الفرد في شئونه الخاصة المألوفة. غير أن النظر في "آيات الكتاب" وفي "آيات الأنفس" التي كشفت ومازالت تكشف عنها الدراسات الإنسانية والنفسية والتربوية تقدم محتوى أشمل وأوسع لمصطلح "السلوك" هذا، ذلك أن النظر العميق والبحث الدقيق في سلوك الإنسان يكشفان عن أن السلوك يتكون من خمس حلقات هي: حلقة الخاطرة التي تولد من تزاوج الطبيعة الإنسانية مع مؤثرات البيئة المحيطة، ثم يتلقف العقل هذه الخاطرة لينجب منها في ضوء معقولاته العقدية والثقافية الحلقة الثانية: حلقة الفكرة، ثم تتحرك الدوافع النفسية في ضوء منمياتها العاطفية لتنجب من تزاوجها مع الفكرة الحلقة الثالثة: حلقة الإرادة، ثم تقوم أدوات الصياغة اللغوية في ضوء مهاراتها لتصنع منها الحلقة الرابعة: حلقة التعبير، ثم تتحرك الأعضاء في ضوء مهاراتها الجسدية لتنجب الحلقة الخامسة: حلقة الممارسة العملية. والقرآن الكريم يجمع هذه الحلقات الخمس. في قوله تعالى: "يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون" (الأنعام – ٣). فالسر هو جزء السلوك الذي يتم داخل النفس الإنسانية ويشمل حلقات الخاطرة والفكرة والإرادة. والجهر هو الصياغة اللغوية لهذا السلوك والمشتملة على الحلقة الرابعة، والكسب هو الممارسة العملية أو الحلقة الخامسة التي تقوم بها أعضاء الإنسان الخارجية. ومن هذا التوضيح القرآني والتطبيق النبوي الكامل لمصطلح السلوك وتحديد مساراته الداخلية والخارجية تأول صلى الله عليه وسلم توجيهه القائل: "إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب"[١].

ومنه كذلك استلهم العلماء المسلمون تعاريفهم لمصطلح السلوك وتحديد ميادينه ومناهجهم في تهذيبه وتزكيته. من ذلك ما كتبه المحاسبي في كتاب – الرعاية لحقوق الله– ، وما كتبه أبو حامد الغزالي في إحيائه، وما كتبه ابن تيميه في المجلد العاشر الذي يحمل عنوان – السلوك – من فتاويه الكبرى، وما كتبه ابن قيم الجوزية في – مدارج السالكين – وأمثالهم كثير.

وليكون السلوك محتشماً تحتاج مؤسسات المجتمع كافة أن تتكامل في نشاطاتها للعمل على تزكية الحلقات الخمس المكونة للسلوك وتزكية البيئة المحيطة بها. وهذا يتطلب تكامل المؤسسات الدينية والتربوية والاجتماعية والفنية والإدارية والعسكرية والشرطية لان في تكاملها جميعاً بروز " ثقافة الاحتشام " و " السلوك المحتشم ".

---

(١) رواه البخاري (الإيمان)، مسلم (المساقاة).

٥. تزاوج المبدأ الأخلاقي مع الذوق الجمالي في السلوك المحتشم

والسلوك المحتشم في القرآن الكريم هو السلوك الذي يتزاوج فيه المبدأ الأخلاقي مع الذوق الجمالي. ومثال ذلك قوله تعالى: "فاصفحِ الصفح الجميل". (الحجر – ٨٥)، وقوله: "فاصبر صبراً جميلا" (المعارج – ٥)، وقوله أيضاً "واهجرهم هجراً جميلا" (المزمل – ١٠). فالصفح والصبر والهجر صفات تجسد المبدأ الأخلاقي بينما تجسد صفة " الجميل " الذوق الجمالي. ويذكر ابن تيميه أن الصفح الجميل صفح بلا عتاب، والصبر الجميل صبر بلا شكوى، والهجر الجميل هجر بلا أذى[١].

والواقع أن الأزمة التي تعاني منها المجتمعات الإنسانية في الوقت الحاضر هي الفصام بين مؤسسات المبدأ الأخلاقي المتمثلة في دور العبادة ومعاهد التعليم والمساجد والمطبوعات والمنشورات الدينية والأخلاقية وبين مؤسسات الذوق الجمالي المتمثلة في معاهد الفنون والتمثيل السينمائي والآداب والنحت وغيرها حيث تكتفي الأولى بالتركيز على المبدأ الأخلاقي وتغفل عن الذوق الجمالي، وعن هذه الغفلة تنتج صور التعصب والتزمت ومضاعفاتها السلبية، وتكتفي الثانية بالتركيز على الذوق الجمالي وتطبيقاته الفنية وتنسى مزاوجته مع المبدأ الأخلاقي، وعن هذا النسيان تنتج صور الانفلات والانحلال وثقافة عدم الاحتشام.

والحقيقة أنه لا مفر من تكامل مؤسسات المبدأ الأخلاقي مع مؤسسات الذوق الجمالي إذا أردنا شيوع سلوك الاحتشام في الفكر والعاطفة والممارسة. والسبب أن السلوك هو محصلة التفاعل بين الفرد والبيئة المحيطة في لحظة معينة. وهذا أمر يوجب على القائمين على ثقافة السلوك والاحتشام مراعاة أمور ثلاثة هي: الفرد، البيئة، اللحظة الزمنية التي يحدث فيها التفاعل بين الفرد والبيئة المحيطة. وهذا يعني خطأ المقولة التي تقول: إذا صلح الفرد صلح المجتمع، وإنما لا بد من صلاح الفرد وصلاح شبكة العلاقات القائمة في البيئة المحيطة ومؤسساتها، ومن تزاوج الاثنين يولد السلوك الصالح والثقافة الصالحة والحضارة الصالحة، أو نقول لا بد من احتشام الفرد واحتشام البيئة ومن تزاوج الاثنين يولد السلوك المحتشم والحضارة المحتشمة والثقافة المحتشمة.

٦. عدم الاحتشام في المجتمعات المعاصرة وأزماته

وأما عن الأمر الثاني وهو الوقوف على ما آلت إليه ممارسة عدم الاحتشام في المجتمعات المعاصرة فإن أبرز ما يميز البنية السكانية للمجتمعات المعاصرة هو انهيار الحدود بين

---

(١) ابن تيميه، الفتاوى، علم لسلوك، المجلد العاشر، ص ٤٠.

الثقافات، وتسارع وسائل الاتصال والمواصلات، ودخول البشرية في طور جديد تتصف الحياة فيه بالإقامة الموقوتة، والجوار الموقوت، وانقلب التجانس الثقافي والاجتماعي في المدينة الواحدة والبناية الواحدة إلى "خليط " مضطرب من الثقافات والأعراف والتقاليد والقيم، ووجد الإنسان المعاصر نفسه بين أكداس بشرية عارية من الهوية والانتماء والروابط إلا ما كان من روابط المصالح المتذبذبة الموقوتة والشهوات الملتهبة. الأمر الذي أحال المدينة الحديثة – كما يقول عالم البيئة رينه دوبوا– إلى حديقة حيوانات بشرية أقفاصها الشقق السكنية.

لقد أفرزت هذه التغيرات المضطربة في غالب مجتمعات العالم أزمات ثلاث: الأولى اغتراب الإنسان عن ذاته ،والثانية انحسار مفهوم الثقافة في ما يعرف باسم ثقافة الإنتاج والاستهلاك، والثالثة اتصاف السلوك الفردي والجماعي بالشذوذ وردود الفعل التلقائية[١].

أما عن الأزمة الأولى فإن الفلسفات والعلوم النفسية والتربوية التي قامت عليها الحضارة الحديثة تنكرت – لهوية الإنسان – التي فطره الله عليها والتي تقرر أن الإنسان خيّر بالفطرة وأنه قابل للتسامي حتى منزلة أحسن تقويم، وقابل للهبوط حتى الارتكاس في عالم

الحيوان أو درك أسفل سافلين. وفي المقابل طرحت هذه الفلسفات –هوية بديلة– خلاصتها أن الصراع من أجل البقاء هو الغاية الكبرى للحياة ، وأن الإنسان هو ثمرة نجاح الحيوانات الأقوى في هذا الصراع الدائر بين سلسلة الحيوانات التي تصارعت وتطورت كما تقول الدارونية الاجتماعية Social Darwinism ، وعلى أن الإنسان مجموعة من الشهوات والرغبات كما تقول– الفرويدية Fruedism–.

لقد كانت النتيجة التربوية لهذه الفلسفات أنها أفرزت نظريات بررت عمليات الاحتكار والجريمة والاستغلال بين الأفراد والطبقات داخل المجتمعات وعمليات الغزو والنهب والاستعمار والحروب التي شنتها – وما زالت تشنها – المجتمعات الغربية ضد المجتمعات الأخرى، كذلك أفرزت نظريات سياسية ونظم اجتماعية وتربوية بررت جميع أشكال الانحلال والفاحشة وأقامت لها المؤسسات والمباريات والنشاطات، وعملت على إشاعتها في المجتمعات الأخرى تحت شعارات وعناوين من أمثال: مجتمع الرفاهية، حرية الإنسان، وحقوق المرأة،وحقوق الطفل[٢].

وأما عن الأزمة الثانية، وهي انحسار مفهوم الثقافة في ما يعرف باسم – ثقافة الإنتاج والاستهلاك – فقد كانت نتيجة طبيعية للأزمة الأولى، حيث انحسر مفهوم الثقافية في الإنتاج المادي واستهلاك المنتوجات . واعتبر التقدم الإنساني هو زيادة نمو هذا الإنتاج والاستهلاك ، وهو

---

(١) Alvin Toffler, Future Shock,(New York, Bantam Co. ١٩٨١

(٢) Hoftader, Richard, Social Darwinism (Boston: AHA, ١٩٥٥

ما يطلق عليه شعار التنمية. كان لانتشار هذه الثقافة مضاعفات سلبية في البيئات الاجتماعية والثقافية والفنية والطبيعية والسياسية، حيث ضرب التلوث هذه البيئات كلها، الأمر الذي جعل عالماً شهيراً من مؤسسي علم البيئة هو رينيه دوبوا يركز جهوده في كتبه المختلفة على التحذير من انحسار مفهوم الثقافة في حاجات الإنسان الجسدية وإهمال حاجاته النفسية والعقلية. ومن أقواله في هذا المجال: " في كل مكان لا نستعمل الأرض مأوى وحاضنة للثقافة الإنسانية وإنما كمصدر للاستغلال وسوقاً للبيع والشراء... إن جميع المجتمعات التي تتأثر بحضارة الغرب تلتزم في الوقت الحاضر – توراة التنمية – وتترنح في دائرة تشبه – حلقات الدراويش – ونشيد هذه الدائرة:

انتجوا أكثر

لكي تستهلكوا أكثر!

ثم لكي تستهلكوا أكثر!

والإنسان لا يحتاج أن يكون عالم اجتماع لكي يدرك أن هذه فلسفة مختلة مجنونة[1].

وأما عن الأزمة الثالثة فهي أيضا بعض إفرازات قيام العلاقات الإنسانية على فرضية الصراع وحصر إبداعات الإنسان في الإنتاج والاستهلاك فقد صار الإنسان المعاصر في المدينة الحديثة التي تقيم في وسطها بنوك الاحتكارات وأسواق الصراعات المالية بدل المساجد والمؤسسات الثقافية، ويتكدس فيها ملايين البشر الذين يديرون الصراع والتنافس في هذه المؤسسات بدل المؤمنين الذين يوثقون الروابط ويرتقون بالعلاقات، يعاني مما يسميه علماء الاجتماع وعلماء النفس الإحساس بالوحدة والعزلة النفسية – Loneliness والإحساس بالإحباط وخيبة الأمل Frustration، والإحساس بالعجز Powerlessness، والمعاناة من عدم الانسجام، ومن مظاهر الشذوذ في الحياة والسلوك[2] Normlessness.

وكانت المحصلة النهائية لهذه الأزمات الثلاث هي " عُري " إنسان العصر عرياً أبدى له سوأته في التصورات الفكرية والإرادات النفسية والممارسات الجسدية، وسوء استعمال التكنولوجيا المتقدمة التي أفرزها العلم الحديث[3]. وهذه ظواهر جعلت عشرات المفكرين – منذ أواخر القرن العشرين وحتى السنوات الأولى من القرن الحالي – يطلقون صيحات الإنذار بالخطر القادم الذي يحمل في جعبته انتقاص إنسانية الإنسان وانعدام الأمن وشيوع الفوضى في العلاقات الإنسانية. من ذلك ما كتبه أبراهام ماسلو ورينه دوبوا وتيودور روزاك ودنيال بل

---

(١) Rene Dabos, So Human An Animal, PP. ١٣٩ - ١٤٠

(٢) ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، ص ٢٢٤

(٣) Abraham Maslow, Education in A Dynamic Society, ١٩٧٢, PP. ٦٠ - ٦٤

وفرتز شوماخر وبولوفريز ونعوم تشومسكي وديفيد بربل وستيفن كوفي وغيرهم. غير أن أصوات هؤلاء العلماء والمفكرين لا تلبث أن تتبخر وسط الضجيج الإعلامي والثقافي والفني الذي تديره مؤسسات الرأسمالية وتسخره لمزيد من إشاعة– ثقافة الإنتاج والاستهلاك – خاصة بعد انفرادها بالهيمنة العالمية وتبنيها سياسات العولمة التي لا تلتزم بشريعة ربانية ولا قيم إنسانية.

٧. الأهمية الحضارية لرسالة صاحب السمو في الاحتشام والسلوك

وبعد هذا الاستعراض لأهمية الاحتشام ومكانته في القرآن والسنة، ولخطورة فقدان هذه الفضيلة في مجتمعات الحضارة الحديثة، يتبين لنا أهمية التوجيه الذي أرسله صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي والقائل: أن المتع النظيفة والعلاقات السليمة الآمنة بين ممثلي الثقافات والأجناس المختلفة إنما تولد في البيئات التي تسترشد بتسامي الإنسان وفضائله التي أرسى دعائمها الأنبياء والرسل وجسدها المرشدون المصلحون.

لقد استوعب سموه بحكم ثقافته المستنيرة وخبراته الواسعة. معنى الاحتشام وآثاره بالمعنى القرآني الواسع المؤصل لهذا الاصطلاح ، وأحاط ببنية المجتمعات المعاصرة بإيجابياتها وسلبياتها، ثم راح يستلهم التوجيهات الإلهية والسنن التاريخية والقوانين الاجتماعية والنفسية والتربوية وهو يوجه مجتمع الشارقة للاستفادة من افضل معطيات العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة، في الوقت الذي رفع لواء الاحتشام ليكون رسالة يرفعها المواطن والمقيم، وعطاءً حضارياً ينتفع به الوافد الزائر.

ولم يقف سموه عند التوجيهات النظرية والمراسيم الرسمية وإنما أقام للاحتشام الجميل مؤسسات التعليم الجامعي ومؤسسات رعاية الطفولة، ومؤسسات رعاية الأسرة، ومؤسسات إرشاد الرأي العام، ثم وجه إلى هذه المؤسسات رسالته في الاحتشام والسلوك لتكون دستوراً يشحذ الهمم ويوحد الاهداف وينسق بين الجهود والنشاطات ، ثم يكون من ثمار أعمال هذه المؤسسات بروز الفرد المحتشم، والأسرة المحتشمة، والمدرسة المحتشمة، والجامعة المحتشمة. والإعلام المحتشم، والشرطة المحتشمة، والسوق المحتشم، والشارع المحتشم، والمنتزه المحتشم. والمسابح المحتشمة. والأمل كبير أن تستلهم هذه المؤسسات هذه المسؤولية فترفعها رسالة عالمية وتقدم ثمارها عطاءً حضارياً.

٨. الفتاة المسلمة وريادة الاحتشام والسلوك

ولابد للفتاة المسلمة أن تكون في الصف الأول الذي يرفع هذه الرسالة وأن تقدم نموذج المرأة القوية – الفاضلة الذي جسده النساء الصحابيات من أمثال فاطمة بنت الخطاب، وأم

حبيبة بنت أبي سفيان، وأسماء بنت أبي بكر، وأم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، ودرة بنت أبي لهب، وسعدى بنت كريز، والشفاء بنت عبد الله، وأم سلمة الأنصارية اللاتي سابقن الرجال المؤمنين في الهجرة والجهاد في الوقت الذي حافظن فيه -كل المحافظة- على سلامة الأسرة ، وتسامي الاحتشام ورفعة السلوك. والسمات المميزة لهذا النموذج -نموذج القوية الفاضلة- ثلاث هي : الإحاطة بعلوم غايات الحياة ووسائلها . التزام المبدأ والتضحية في سبيله. تعشق الاحتشام والفضيلة.

ولتحمل الفتاة المسلمة المعاصرة هذه الرسالة الحضارية فإنها تحتاج إلى وقوف الرجل المسلم إلى جانبها لتجاهد -فكريا واجتماعيا وثقافيا- من أجل القضاء على نموذج المرأة الفاضلة- الضعيفة التي أفرزتها مجتمعاتنا في بيئات الجمود والأمية والعصبيات المتزمتة. وهذا النموذج يتصف بصفات ثلاث هي : الجهل أو جزئية العلم بغايات الحياة ووسائلها. التقليد والاحتكام إلى ما يقوله الناس. أثر البيئة في الاحتشام أو عدمه. ولتتصدى لنموذج المرأة القوية - غير الفاضلة الذي صدرته الحضارة الغربية ومازالت تصدره. وهذا نموذج يتصف بصفات ثلاث هي : العلم بوسائل الحياة دون غاياتها . مشايعة الاتجاهات الدنيوية وتطبيقاتها. عدم الاحتشام وحصر الفضائل بالمتع الحسية.

وتزداد أهمية هذا الدور المقترح للفتاة المسلمة المعاصرة حين نرى الهجمة الكاسحة التي تشنها العولمة الحاضرة لتحويل المرأة في العالم كله إلى سلعة تسويقية وترفيهية في مراكز التجارة الدولية وأسواق الإنتاج والاستهلاك .

والأمل كبير أن تكون بشائر هذه الطليعة النسوية المحتشمة - عقليا ونفسيا وجسديا- قد أشرقت في آفاق الشارقة من خلال الجهود والنشاطات المباركة الجارية في أندية الفتيات والمجلس الأعلى لرعاية الأسرة وغيرهما من المؤسسات النسائية العاملة تحت إشراف سمو الشيخة الفاضلة حرم صاحب السمو الحاكم حفظهما الله بحفظه وتولاهما بولايته.

ودعاؤنا إلى الله العلي القدير أن يتم نعمته على سموه وأن يمد في عمره ويقر عينيه بثمار مشروعاته وأن يجعل مآله أن يظله بظله يوم يظل السبعة الذين وعدهم بظله وأولهم " إمام عادل " اتخذ من الاحتشام بيئة ومن العدل منهاجاً.

مصادر البحث

١. القرآن الكريم.

٢. الحديث الشريف.

٣. خطاب سمو الحاكم في الاحتشام والسلوك، سبتمبر ٢٠٠١م.
٤. ابن تيمية، أحمد، الفتاوى الكبرى، كتاب علم السلوك، جـ١٠، الرياض، ١٣٩٨هـ.
٥. ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين.
٦. المحاسبي، الحارث بن أسد، الرعاية لحقوق الله، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٠م.
٧. الغزالي، أبو حامد (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين.
٨. الكيلاني، ماجد عرسان، أهداف التربية الإسلامية، بيروت: مؤسسة الريان، ١٩٩٧م.
٩. Dubos, Rene, So Haman An Animal, New york : Charles Scriber's Sons, ١٩٦٨
١٠. Hoftstard, Richard, Social Darwinism, Boston : The Am. Hist. Assoc. ,١٩٥٥
١١. Maslow , Abraham, "The Unnoticed Revolution" in Dynamic Society, ed. By D.W. Gibson, ١٩٧٢
١٢. Toffler, Alvin. Future Schock , New York : Bantam co. ١٩٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم الاحتشام ومظاهره

د. أحمد بن عبد الله الباتلي
الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
الرياض ـ المملكة العربية السعودية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أكرم الأنبياء وأشرف المرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فقد تعرضت الأمة الإسلامية لموجة شرسة من الأعداء للتأثير على أبناءها وبناتها في أخلاقهم الإسلامية. فتأثر البعض بذلك فوقعوا في عدد من المخالفات الشرعية والمحاذير السلوكية، وانتشرت في المجتمع بعض الظواهر السيئة التي يتطلب الأمر دراستها وبيان الحلول المناسبة لها.

وبمبادرة كريمة من [مجلة الشقائق] بالتعاون مع كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة.

تلقيت دعوة للمشاركة في ندوة [الاحتشام والسلوك العام، وأثره في المجتمع]، وهذه ندوة قيمة تعالج موضوعاً مهماً في حياة المسلمين اليوم، ألا وهو لزوم الاحتشام.

وكان من محاور الندوة: المحور الأول "مفهوم الاحتشام، ومظاهره"، فرغبت الكتابة في هذا الموضوع والمشاركة في بحث يتناول "مفهوم الاحتشام في اللغة والاصطلاح، وصلته بالحياء والحجاب. مع التوسع في بيان مظاهر عدم الاحتشام عند الرجال والنساء إذ بضدها تتبين الأشياء، ويعرف الدواء عند تشخيص الداء".

وحرصت أن يكون البحث ملتزماً بقواعد البحث العلمي في الندوات العلمية أسأل الله التوفيق، والسداد في أعمالنا العلمية والعملية.

وأعتذر عما فيه من ملحوظات نظراً لقِصر الفترة التي كتبتُه فيها؛ لقرب موعد الندوة، وحرصاً على وصوله في الموعد المحدد — إن شاء الله — .

وبارك الله في جهود القائمين على هذه الندوة في مجلة الشقائق وجامعة الشارقة وأرجو الله تعالى لهذه الندوة النجاح، وآمل أن تحقق أهدافها النبيلة على الفرد والمجتمع.

والله الموفق...

تعريف الاحتشام في اللغة

هو من: حَشَمَ[1]: يَحشِم، ويحشمُ حَشْماً.

الحِشمةَ ـ بالكسر ـ: الحياء والانقباض، وقد احتشم عنه ومنه. يُقال للمنقبض عن الطعام: ما الذي حَشَمك وأَحْشَمك؟ .

والحُشمة ـ بضم الحاء وكسرها ـ: أن يجلس إليك رجل فتؤذيه وتُسمعه ما يَكرَهُ.

وحَشَمتُه: أخجلتُه.

والحِشمة: الاستحياء، وهو يتحشم المحارم، أي يتوقاها .

ومما يدل على استعماله بمعنى الحياء قول علي بن أبي طالب — رضي الله عنه —: «إني لأحتشم أن لا أدعَ له يداً يبطش بها»[2]، أي أستحي وأنقبض مع قطع يد من سَرَق مرة أخرى بعد أن قطعت يده في المرة الأولى لئلا يبقى بلا يد، ينتفع بها.

وحَشَمُ الرجل: عيالُهُ وقرابته، وقيل: هم خدم الرجل.

سموا بذلك لأنَهم يغضبون له، ويغضب لهم. وللتوسع: يراجع المغني لابن قدامة ١٢/ ٤٤٧.

التعريف الاصطلاحي للاحتشام

من خلال التعريف اللغوي للاحتشام يتبين أنه في الاصطلاح يطلق على: الحياء من فعل ما لا يليق بالمسلم أو المسلمة ؛ من الأقوال والأفعال.

وبعبارة أُخرى: هو توقي المكروهات، والبعد عن المحرمات فهو من معاني ومستلزمات الحياء، الذي هو خُلقٌ يبعث على ترك القبائح، ويمنعُ من التفريط في حَق صاحب الحق[3].

فضل الحياء

والحياء خيرٌ كله. وقد وردت فيه أحاديث كثيرة أقتصر على الصحيح منها:

---

(١) يراجع: تهذيب اللغة — حشم — ٤/ ١٩٤، وترتيب لسان العرب — حشم — ١/ ١٤٦، وتاج العروس — حشم — ٨/ ٢٤٨.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في " المصنف " ٧/ ١٨٦، وابن أبي شيبة في المصنف ٩/ ٥١٢، والبيهقي في سننه ٨/ ٢٧٥.

(٣) فتح الباري ١/ ٥٢.

- عن عبد الله بن عمر – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلاً يعظُ أخاهُ في الحياء فقال: (دعه فإن الحياء من الإيمان) متفق عليه[1].
- وعن عمران بن الحصين – رضي الله عنهما – قال: «إن الحياء لا يأتي إلا بخير» متفق عليه[2].
- وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الحياء شعبة من الإيمان) متفق عليه[3].
- وعن أبي مسعود الأنصاري – رضي الله عنه – قال: ((إن مما درك الناسُ من كلامِ النبوةِ الأُولى: (إذا لم تستحي فاصنع ما شئت) رواه البخاري))[4].
- قال البيهقي[5]: لفظُه لفظ أمر، ومعناه الخبر، تقول: إذا لم يكن لك حياءٌ يمنعكُ من القبيح صنعتَ ما شئتَ.

لما كان الحجاب الشرعي للنساء رافداً مهماً للاحتشام فمن المستحسن بيان تعريف حجاب المرأة لغةً وشرعاً:

الحجاب لغةً: مصدر يدور معناه على الستر والمنع[6]، يقال: حجبتهُ عن كذا، أي منعتهُ.

وحجاب المرأة شرعاً: هو ستر المرأة جميع بدنها وزينتها، بما يمنع الأجانب عنها من رؤية شيء من بدنها أو زينتها التي تتزين لها، ويكون استتارها باللباس وبالبيوت[7].

أما ستر البدن، فيشمل جَميعَه، ومنه الوجه والكفان.

وأما ستر زينتها: فهو ستر ما تتزين به المرأة، خارجاً عن أصل خلقتها، وهذا معنى الزينة في قوله تعالى:

(ولا يبدين زينتهن) [النور: ٣١]، ويسمى: ((الزينة المكتسبة))، والمستثنى في قوله تعالى: (إلا ما ظهر منها) الزينة المكتسبة الظاهرة، التي لا يستلزم النظر إليها شيء من بدنها كظاهر: ((الجلباب)): ((العباءة))، ويقال ((الملاءة))؛ فإنه يظهر اضطراراً، وكما لو أزاحت الريح العباءة عما تحتها من اللباس، وهذا معنى الاستثناء في قول الله تعالى: (إلا ما ظهر منها) أي: اضطراراً لا اختياراً، على حد قول الله تعلى لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان ١/ ٦٧، ومسلم في الإيمان، باب عدد شعب الإيمان ١/ ٦٣.
(٢) رواه البخاري في الأدب، باب الحياء (١٠/ ٥٢١)، ومسلم في الموضع السابق (١/ ٧٤).
(٣) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان ١/ ٦٧، ومسلم في الإيمان، باب عدد شعب الإيمان ١/ ٦٣.
(٤) رواه البخاري في الأدب، باب إذا لم تستحي فأصنع ما شئت (١٠/ ٥٢٣).
(٥) شعب الإيمان ٦/ ١٤٣.
(٦) معجم مقاييس اللغة، حجب ٢/ ١٤٣.
(٧) حراسة الفضيلة، لمعالي الشيخ بكر أبو زيد، ص: ٣١.

وإنما قلنا: التي لا يستلزم النظر إليها رؤية شيء من بدنها. احترازاً من الزينة التي تتزن بها المرأة، ويلزم منها رؤية شيء من بدنها، مثل: الكحل في العين فإنه يتضمن رؤية الوجه بعضه، والخضاب والخاتم فإن رؤيتها تستلزم رؤية اليد، وكالقُرْطِ والقلادة والسوار فإن رؤيتها تستلزم رؤية محله من البدن كما لا يخفي.

ويدل على أن معنى: "الزينة" في الآية: الزينة المكتسبة، لا بعض أجزاء البدن، أمران[1]:

الأول: أن هذا معنى الزينة في لسان العرب.

الثاني: أن لفظ الزينة في القرآن الكريم، يراد به الزينة الخارجة، أي المكتسبة، ولا يراد بها بعض أجزاء ذلك الأصل، فيكون معنى الزينة في آية سورة النور هذه على الجادة إضافة إلى تفسير الزينة بالمكتسبة التي لا يلزم منها رؤية شيء من البدن المزين بها، أنه هو الذي به يتحقق مقصد الشرع من فرض الحجاب من الستر والعفاف.

وللحجاب فوائد عظيمة[2]، وفضائل محمودة، وغايات وصالح كبيرة، منها:

١- **حفظ العِرض:** الحجاب حراسة شرعية لحفظ الأعراض،ودفع أسباب الريبة والفتنة والفساد.

٢- **طهارة القلوب:** الحجاب داعية إلى طهارة قلوب المؤمنين والمؤمنات، وعمارتها بالتقوى، وتعظيم الحرمات. وصدق الله - سبحانه -: (ذلكم أطهر لقلوبكم ولقلوبهن).

٣- **مكارم الأخلاق:** الحجاب داعية إلى توفير مكارم الأخلاق من العفة والاحتشام والحياة والغيرة، والحجب لمساويها من التلوث بالشائنات كالتبذل والتهتك والسفالة والفساد .

٤- **علامة على العفيفات:** الحجاب علامة شرعية على الحرائر العفيفات في عفتهن وشرفهن، وبعدهن عن دنس الريبة والشك: (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين)، وصلاح الظاهر دليل على صلاح الباطن، وإن العفاف تاج المرأة، وما رفرفت العفة على دار إلا أكسبتها الهناء. ومما يستطرف ذكره هنا، أن النميري لما أنشد عند الحجاج قوله:

يخمرن أطراف البنان من التقى ويخرجن جنح الليل معتجرات

قال الحجاج: وهكذا المرأة الحرة المسلمة.

---

(١) للتوسع يراجع القول الرائد في أن الحجاب الشرعي من الفرائض، للشيخ حسن الشيخ، ص: ١٢.

(٢) حراسة الفضيلة، ص: ٨٥.

٥- **قطع الأطماع والخواطر الشيطانية:** الحجاب وقاية اجتماعية من الأذى، وأمراض قلوب الرجال والنساء، فيقطع الأطماع الفاجرة، ويكف الأعين الخائنة، ويدفع أذى الرجال عن المرأة في عرضها ومحارمها، ووقاية من رمي المحصنات بالفواحش. وفي تحقيق أجرته مجلة (الدعوة)[1] السعودية مع عدد من التائبات من التبرج ذكرت أنهن يشعرن بطمأنينة عند ارتداء العباءة المحتشمة، وصار الشباب يهابون التعرض لهن، والباعة يتأدبون في الحديث معهن. ويغضون عنهن الأبصار.

٦- **حفظ الحياء:** مأخوذ من الحياة، فلا حياة بدونه، وهو خلق يودعه الله في النفوس التي أراد — سبحانه — تكريمها، فيبعث على الفضائل، ويدفع في وجوه الرذائل.

مظاهر عدم الاحتشام عند الرجال

١ ـ **التساهل:** بارتداء القصير (الشورت) الذي يكشف الفخذين. أو شبه التعري عند السباحة ونحوها، وقد ورد النهي عن ذلك لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك، فقيل يا رسول الله إذا كان القوم بعضهم في بعض قال: إن استطعت أن لا يرينها أحد فلا يرينها، قيل: يا رسول الله إذا كان أحدنا خاليا ؟ قال صلى الله عليه وسلم: (فالله أحق أن يستحى منه من الناس)[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة)[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: (غط فخذك فإن الفخذ عورة)[4].

فليتأمل هذه الأحاديث أولئك الرجال الذين تساهلوا بكشف عوراتهم أمام الناس. فعليهم أن يستحوا من الله تعالى، قال أبوا بكر الصديق وهو يخطب الناس: (يا معشر المسلمين استحوا من الله، فوالذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعا[5] بثوبي استحياء من الله عز وجل)[6].

---

(١) العدد (١٨١٠) في ٣ رجب ١٤٢٢ هـ.
(٢) رواه أبو داود (٤٠١٧)، والترمذي (٢٧٦٩و ٢٧٩٤)، وقال حديث حسن.
(٣) رواه مسلم (٣٣٨).
(٤) رواه أحمد (٥/٢٩٠) بسند حسن.
(٥) متقنعا: متغطيا بثوبي.
(٦) رواه البيهقي في "شعب الإيمان " ١٤٢/٦.

ثم ليستحوا من الملكين اللذين مع كل إنسان روي في الحديث: (ألم أنهكم عن التعري، ليستحي أحدكم من ملكيه اللذين معه...)[1].

٢ ـ لبس الشهرة من الملابس غير اللائق لبسها لأنها تحمل صور بعض الفنانين أو اللاعبين وقد يكونون من الكفار!!.

وتكون تلك الملابس لافتة للأنظار في ألوانها وموديلاتها الغريبة، وقد ورد عن النبي عن لبس الشهرة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة، ثم يلهب فيه النار)[2].

٣ ـ المجاهرة بالحرمات أمام الناس: كرفع أصوات الأغاني، أو التدخين أمام الناس، لا سيما عند أولاده فيربيهم على عدم القدوة، ووضع صور النساء على زجاج السيارات، وكتابة بعض عبارات الحب عليها.

٤ ـ التشبه بالنساء في ارتداء بعض الملابس الخاصة بهن، أو لبس بعض السلاسل، أو التمايل في المشي أو تقليد أصواتهن أو حركاتهن بميوعة. وقد ثبت في الحديث: (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء)[3].

٥ ـ المبالغة في استعمال الهاتف الجوال أمام الناس ورفع الصوت عند الكلام، والمبالغة في المزاح، وكثرة الضحك بصوت فاحش، والسخرية من الآخرين.

٦ ـ السرعة في المشي دون حاجة، وكثرة الالتفات، وعدم احترام آداب الطريق ومراعاة حرمة المارة، وجاء في الحديث: (التأني من الله، والعجلة من الشيطان)[4].

٧ ـ إطلاق البصر وعدم غضه: فترى بعض الرجال يبالغ كثيرا في النظر إلى النساء وتتبعهن ومحاولة التحدث معهن لا سيما في الأماكن التي يجتمع فيها الرجال مع النساء كالمستشفيات والمطارات والأسواق التجارية، فترى البائع في السوق لا يدع المرأة إلا وقد نظر إليها إلا من رحم الله، وكذلك النساء تجد إحداهن تنظر إلى الرجال وتمعن النظر فيهم بطريقة غريبة وعجيبة تستحي منها أتقياء الرجال، ولا تستحي منها أولئك النساء!!.

وقد أمر الله عز وجل المؤمنين والمؤمنات بغض البصر فقال تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون–٣٠– وقل للمؤمنات

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٠٠).

(٢) رواه أبو داود ٣١٤/٤، ١٣٩/٢.

(٣) رواه البخاري في كتاب اللباس، باب المتشبهون بالنساء رقم (٥٨٨٥).

(٤) رواه أبو يعلي في مسنده (٤٢٥٦) وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن.....). - النور ٣١ - ولما كان غض البصر أصلا لحفظ الفرج بدأ بذكره .

وقد جعل الله عز وجل العين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق القلب شهوته، وفي " الصحيح" أن الفضل بن عباس رضي الله عنهما كان رديف رسول الله يوم النحر من مزدلفة إلى منى، فمرت ظعن يجرين فطفق ينظر إليهن فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه إلى الشق الآخر[1]، وهذا منع وإنكار بالفعل، فلو كان النظر جائزا لأقره عليه .

وفي "الصحيح"[2] عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فالعين تزني وزناها النظر، واللسان يزني وزناه النطق، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) .

فبدأ بزنا العين لأنه أصل زنا اليد والرجل والقلب والفرج، ونبه بزنا اللسان بالكلام على زنا الفم بالكلام، وجعل الفرج مصدقا لذلك إن حقق الفعل أو مكذبا له إن لم يتحقق.

وهذا الحديث من أبين الأدلة على أن العين تعصي بالنظر، وأن ذلك زناها، ففيه رد على من أباح النظر مطلقا[3].

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (يا علي لا تتبع النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية)[4].

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية، فإن لم تقتل جرحته، وهي بمنزلة الشرارة من النار في الحشيش اليابس فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه[5].

ورحم الله من قال:

كل الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها ... في أعين الغير موقوف على خطر
يسر مقلته ما ضر مهجته ... لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨)، والظعن: جمع ظعينة، والمراد به النساء.
(٢) أخرجه البخاري في "الصحيح" رقم (٦٣٤٣).
(٣) حكم النظر للنساء، ص ٣-٤ لابن القيم.
(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣٥١/٥، ٣٥٣، ٣٥٧)، وأبو داود في السنن رقم (٢١٤٩) والترمذي في السنن رقم (٢٧٧٨)، والحاكم في المستدرك (١٩٤/٢).
(٥) حكم نظر النساء، ص: ٩.

مظاهر عدم الاحتشام عند النساء

١ ـ التبرج والسفور

إن من أعظم المحن التي ابتلي بها المسلمون في هذا الزمان فتنة العري والسفور، حيث خرجت نساء المسلمين إلى الأسواق والشوارع كاسيات عاريات. فإذا ما أرادت المرأة الخروج إلى السوق أو غيره لبست أفضح الثياب، وتزينت وتعطرت حتى تصبح مثيرة لأنظار كثير من الناس، فيصدق فيها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها النساء، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا)[١].

قال النووي[٢]: (فهذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان، وفيه هذان الصنفان) .

قيل: معناه: كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها .

وقيل: معناه: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا بحالها ونحوه .

وقيل: معناه: تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها .

وأما مائلات:

فقيل: معناه: عن طاعة الله وما يلزمن حفظه .

مميلات: أي: يملن غيرهن بفعلهن المذموم .

وقيل: مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن .

وقيل: مائلات يمشطن المشطة المائلة وهي مشطة البغايا .

مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة، ومعنى رؤوسهن كأسنمة البخت: أن يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها[٣].

ومن هنا حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وسد بابها: قال تعالى: (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) – الإسراء: ٣٢ –، وفي النهي عن قربان الزنا نهي عن وسائله والخطوات التي تؤدي إليه، وذلك لأن الزنا لا يقع فجأة وإنما كما يقال: نظرة، فابتسامة، فموعد، فلقاء .

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح (١٤/١٠٩– ١١٠– مع شرح النووي).

(٢) المرجع السابق.

(٣) شرح صحيح مسلم (١٤/١٠)، والبخت: الإبل.

ولذا قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر). – النور: ٢١ –، وقال تعالى: (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) – البقرة: ٢٦٨–

فسد الله كل الأبواب وكل الطرق المفضية إلى الاتصال بين الرجل والمرأة إلا طريقا واحدا وهو الزواج .

ومن هنا فإن على المسلمين أن يبذلوا كل ما في وسعهم للقضاء على كل ما يثير شهوة الرجال وعلى كل محرك يحرك قلوب الرجال، حتى لا تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وحتى يظل المجتمع المسلم مجتمع الفضيلة، والعفة والشرف .

ولنعلم أن من أكبر المثيرات التي تثير الشباب هذا العري الذي ظهرت به بعض نسائنا وبناتنا في الشوارع والأسواق والمدارس والجامعات بلبس البنطال أو القصير الذي يغري الرجال ويثير الغريزة الجنسية في النفس، فإذا لم يقض على ما يثيرها ويحركها، ولم يكن لهذا الإنسان سبيل لقضاء هذه الشهوة في الحلال الطيب، سعى لقضائها عن طريق التسلل من الأبواب المغلقة والطرق المسدودة التي تفضي إلى الحرام.

وإليك صورة من صور حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على نساء أصحابه من ارتداء الملابس الخفيفة، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه: (كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية[1] كثيفة كانت مما أهداها دحية الكلبي فكسوتها امرأتي، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مالك لم تلبس القبطية؟) قلت: يا رسول الله كسوتها امرأتي، فقال لي الرسول صلى الله عليه وسلم: (مرها فلتجعل تحتها غلالة[2]، إني أخاف أن تصف حجم عظامها)[3].

ألستم معي أن تبرج الجاهلية بالنسبة لجاهلية القرن العشرين يعد حشمة ووقارا؟! لقد كانت المرأة في الجاهلية يبدو صدرها وعنقها، أما المرأة الآن في بعض المجتمعات فقد بدا منها كل شيء ! فإلى الله المشتكى من ذهاب الحياء من النساء، وضياع الغيرة من الرجال، وعدم المبالاة بالشرف والكرامة اللذين هما أغلى ما يملك الإنسان في هذا الوجود بعد الإيمان .

لقد كان التبرج موجودا في الجاهلية الأولى فلما جاء الإسلام نهى عنه فقال تعالى: (ولا تتبرجن تبرج الجاهلية الأولى)، ثم علمهن كيف يستترن فقال: (وليضربن بخمرهن على جيوبهن).

أترى عزيزي القارئ كم من امرأة تخلفت عن تنفيذ الحكم؟. كم من امرأة قالت إني شابة، إني في مستهل عمري، فكيف أغطي جسمي ولا أبدي زينتي؟. كم من امرأة ضربت

---

(١) قبطية: بضم القاف ثوب من كتان رقيق، يصنع بمصر، نسبة إلى القبط. الفتح الرباني ٣٠١/١٧.

(٢) الغلالة: بكسر الغين شعار يلبس تحت الثوب. المرجع السابق.

(٣) رواه أحمد في مسنده ٢٠٥/٥.

بهـذا عـرض الحـائط ؟. ورحـم الله النسـاء المؤمـنات في الجيل الأول الفريد، جيل الصحابة، كيف كان حالهن استجابة لأمر الله سبحانه:

روى الإمـام الـبخاري في صـحيحه[1] عـن عائشة رضي الله عنها قالت: (يرحم الله نساء المهاجـرات، لما أنزل الله تعالى (وليضربن بخمرهن على جيوبهن)، قمن إلى مروطهن فشققنها ثم اختمـرن بهـا)، قـال الحـافظ في الفتح[2]: (قوله مروطهن جمع مرط وهو الإزار، فاختمرن أي: غطين وجوههن).

هكـذا يجـب أن تكون نساء اليوم، مسرعات إلى تنفيذ أمر الله سبحانه، وهكذا يجب أن تعلم أنها أمة الله، لا ينبغي لها أن ترد أمر سيدها، مهما بدا الأمر ثقيلا عليها .

مظاهر التبرج

يكـون التـبرج بخلـع الحجاب، وإظهار المرأة شيئا من بدنها أمام الرجال الأجانب عنها بلبس القصير أو المفتوح بأن تبدي المرأة شيئا من زينتها.

ويكون التبرج بتثني المرأة في مشيتها وتبخترها وترفلها وتكسرها أمام الرجال.

ويكـون التـبرج بالضـرب بالأرجل، ليعلم ما تخفي من زينتها، وهو أشد تحريكا للشهوة من النظر إلى الزينة.

ويكون التبرج بالخضوع بالقول والملاينة بالكلام لا سيما عند التحدث بالهاتف مع الرجال .

ويكون التبرج بالاختلاط بالرجال وملامسة أبدانهن أبدان الرجال، بالمصافحة والتزاحم في المراكب والممرات الضيقة ونحوها.

والنسـوة المتـبرجات هـن: (المترجـلات)، و (المتشـبهات) بالـرجال أو النساء الكافرات، نسأل أن يحفظ نساء المسلمين من ذلك .

٢ ـ الاختلاط

مـن المنكـرات التي عمت البلاد الإسلامية ظاهرة الاختلاط في بعض الجامعات والأسواق، والناظر في أحوال الأسواق يراها تعج بالرجال والنساء[3].

وهذا الاختلاط جر المآسي والكوارث التي لا تخفي على أي واحد منا ممن له أدنى اطلاع علـى هـذا الأمـر، إن هـذا الاخـتلاط المسـتهتر بالـمرأة حرام في دين الله، وهو من عوامل الهدم لأخلاق أمتنا، ومدعاة غضب الله وعذابه .

---

(١) في كتاب التفسير، باب (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) ٨/٤٨٩.

(٢) فتح الباري (٨/٤٩٠).

(٣) منكرات الأسواق، للشيخ رائد صبري، ص: ٢٠و٢١.

قال تعالى: (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما) - الأحزاب: ٥٩ -.

وقال تعالى: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا-٣٢- وقرن في بيوتكن وتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة آتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا-٣٣- واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا) - الأحزاب: ٣٤، ٣٢ -.

فأمر الله أمهات المؤمنين - وجميع المسلمات والمؤمنات داخلات في ذلك- بالقرار في البيوت، لما في ذلك من صيانتهن وإبعادهن عن وسائل الفساد، لأن الخروج لغير حاجة قد يفضي إلى التبرج، كما يفضي إلى شرور أخرى، ثم أمرهن بالأعمال الصالحة التي تنهاهن عن الفحشاء والمنكر وذلك بإقامتهن الصلاة وإيتائهن الزكاة وطاعتهن لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم وجههن إلى ما يعود عليهن بالنفع في الدنيا والآخرة، وذلك بأن يكن على اتصال دائم بالقرآن والسنة النبوية المطهرة اللذين فيهما ما يجلو صدأ القلوب ويطهرها من الأرجاس والأجناس ويرشد إلى الحق والصواب[1].

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إياكم والدخول على النساء). فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو ؟، قال صلى الله عليه وسلم: (الحمو الموت)[2].

ومن أراد أن يعرف عن كثب ما جناه الاختلاط من المفاسد التي لا تحصى فلينظر إلى تلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم اختيارا أو اضطرارا بإنصاف من نفسه وتجرد للحق عما عداه، يجد التذمر على المستوى الفردي والجماعي والتحسر على انفلات المرأة بيتها وتفكك الأسر، وتجد ذلك واضحا على لسان الكثير من الكتاب بل في جميع وسائل الإعلام، وما ذلك إلا لأن هذا هدم للمجتمع وتقويض لبنائه.

والأدلة الصحيحة الصريحة الدالة على تحريم الخلوة بالأجنبية وتحريم النظر إليها وتحريم الوسائل الموصلة إلى الوقوع فيما حرم الله أدلة كثيرة قاضية بتحريم الاختلاط لأنه يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه[3] وما خلا رجل بامرأة إلا و كان الشيطان ثالثهما).

---

(١) خطر مشاركة المرأة الرجل في ميدان عمله، لسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله ـ ص: ٦.

(٢) أخرجه البخاري في: الصحيح، رقم (٥٢٣٢)، ومسلم في الصحيح رقم (٢١٧٢)، والحمو: الأقارب من جهة الزوج.

(٣) خطر مشاركة المرأة الرجل في ميدان عمله، لسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ رحمه الله ـ ص: ٣-٤.

وأخيرا: "ينبغي للنساء أن يتعلمن السنة في الخروج إن اضطرت إليه، لأن السنة وردت أن المرأة لا تخرج إلا لحاجة[١]، وبإذن وليها، ويعلمن السنة في مشيهن في الطريق، فقد روى أبو داود في سننه عن أبي أسيد قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد وقد اختلط الرجال من النساء في الطريق: (استأخرن، فليس لكن أن تضيقن الطريق عليكن بحافات الطريق)[٢]، فكانت المرأة تتلصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها.

وتخرج غير متعطرة لحديث: (أيما امرأة استعطرت فمرت بالرجال ليجدوا ريحها فهي كذا وكذا)[٣].

مع الالتزام بالحجاب الشرعي. ومما يؤسف له اليوم أن بعض النساء إذا أراد إحداهن الخروج تتعطرت وتزينت ونظرت إلى أحسن ما عندها من الثياب والحلي فلبسته وتخرج إلى الطريق كأنها عروس تمشي في وسط الطريق، وتزاحم الرجال.

كل هذا سببه عدم التزام السنة وقواعدها في خروج النساء وما مضى عليه سلف الأمة رضي الله عنهم.

ولا يفوتني أن أذكر هنا ما يروى[٤] عن علي أب طالب رضي الله عنه أنه قال: ألا تستحون أو تغارون؟! فأنه بلغني أن نسائكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج[٥].

٣ ـ خضوع النساء بالقول

ومن المنكرات خضوع النساء بالقول، فتجد بعض النساء يلين القول ويستعملن الألفاظ المريبة، والحركات المائلة الماجنة، وقد حرم الله عز وجل ذلك فقال: (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء أن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا) "الأحزاب: ٣٢"، أي: لا تلن القول عند مخاطبة الرجال، كما تفعله المريبات من النساء.

قال السدي وغيره: المراد بذلك ترقيق الكلام إذا خاطبن الرجال ولهذا قال: (فيطمع الذي في قلبه مرض) أي دغل من فجور ونفاق (وقلن قولا معروفا) قال ابن يزيد: قولا حسنا

---

(١) صحيح البخاري، باب خروج النساء ٣٠١/١.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن رقم (٥٢٧٢)، والبيهقي في الآداب (٩٧١)، وفي سندهما شداد بن أبي عمرو وهو مجهول وأبوه لم يوثقه غير ابن حبان. لكن يشهد له حديث أبي هريرة عند ابن حبان (٤١٦/١٢) رقم (٥٦/١) ولفظه: (ليس للنساء وسط الطريق).

(٣) أخرجه أحمد ٤/ ١٤، وأبو داود (٤١٧٣)، والترمذي (٢٧٨٦)، وقال: حسن صحيح.

(٤) رواه عبدالله بن الأمام أحمد في "زوائدة" على "المسند" ١٣٣/١٠)، بسند صححه الشيخ أحمد شاكر في شرح المسند (١١١٨)، مع أنه من رواية شريك عن أبي إسحاق، وهما ضعيفان، لكن مثل هذه الآثار تذكر للاستئناس والاستشهاد، ولا يمنع ذلك ضعيف أسانيدها أحيانا.

(٥) جمع (علج) وهو الشديد من الرجال.

جميلا معروفا في الخير، ومعنى هذا أنها تخاطب الأجانب بكلام ليس فيه ترخين، أي: لا تخاطب المرأة الأجانب كما تخاطب زوجها[1].

وقوله تعالى: (فلا تخضعن في القول فيطمع) منهن اللاتي يحذرهن الله هذا التحذير؟ إنهن أزواج النبي — صلى الله عليه وسلم — أمهات المؤمنين وفي أي عهد يكون هذه التحذير؟ في عهد النبي — صلى الله عليه وسلم— وعهد الصفوة المختارة، فكيف بالنساء في هذا العصر؟!!

إن في صوت المرأة حين تخضع بالقول، وتترقق في اللفظ ما يثير الطمع في القلوب، ويهيج الفتنة في الصدور، وإن القلوب المريضة التي تثار وتطمع موجودة في كل عهد وفي كل بيئة[2].

فعلى كل امرأة أن تتقي الله في نفسها وفي غيرها فربما تكلمت بكلمة أو تحركت بحركة مائلة توقع غيرها من الرجال في الإثم والمعصية.

ومن هذا أيضا استرسال المرأة في الكلام والمجادلة مع الرجال في الأسواق دون سبب شرعي، وهذا فيه مخالفة صريحة، فضلا عن تحدثها بالهاتف مع الرجال فيما يسمى (المعاكسات الهاتفية).

٤ ـ عمل النساء في الأسواق مع الرجال

ومن المنكرات ما نراه بعض البلدان من عمل المرأة مع الرجال في بعض الأسواق، فإذا ما ذهبت إلى محل للأزياء الخاصة بالرجال تجد أكثر الباعة نساءً!! وكذا العكس بالنسبة إلى محلات الأزياء الخاصة بالنساء وكانت هذه الظاهرة قبل قليلة ولكنها تزداد في كل يوم، فعلى التجار الحذر من ذلك، ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه.

وعمل المرأة في الأسواق ومشاركتها للرجال، فيه آفات كثيرة، أذكر فيما يلي كلمة لسماحة الشيخ: عبد العزيز بن باز — رحمه الله — في كتابه (خطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله)[3] قال – رحمه الله–: وإخراج المرأة من بيتها الذي هو مملكتها ومنطلقها الحيوي في هذه الحياة إخراج لها عما تقتضيه فطرتها وطبيعتها التي جبلها الله عليها.

فالدعوة إلى نزول المرأة في الميادين التي تخص الرجال أمر خطير على المجتمع الإسلامي، ومن أعظم آثاره الاختلاط الذي يعد من أعظم وسائل الزنى الذي يفتك بالمجتمع ويهدم قيمه وأخلاقه.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٦٤).

(٢) الظلال (٥/٢٨٥٩).

(٣) (ص: ٤–٥).

ومعلوم أن الله تبارك وتعالى جعل المرأة تركيبا خاصا يختلف تماما عن تركيب الرجل هيأها به للقيام بالأعمال التي في داخل بيتها والأعمال التي بين بنات جنسها.

ومعنى هذا: أن اقتحام المرأة لميدان الرجال الخاص بهم يعد إحراجا لها عن تركيبتها وطبيعتها.

وفي هذا جناية كبيرة على المرأة وقضاء على معنويتها وتحطيم لشخصيتها ويتعدى ذلك إلى أولاد الجيل من ذكور وإناث لأنهم يفتقدون التربية والحنان والعطف، وواقع المجتمعات التي تورطت في هذا أصدق شاهد على ما نقول، والإسلام الذي يقوم بهذا الدور وهو الأم فقد فصلت منه وعزلت تماما عن مملكتاه التي لا يمكن تجد الراحة والاستقرار والطمأنينة إلا فيها.

جعل لكل من الزوجين واجبات خاصة على كل واحد منهما أن يقوم بعمله ليكتمل بذلك بناء المجتمع في داخل البيت وخارجه.

فالرجل يقوم بالنفقة والاكتساب والمرأة تقوم بتربية الأولاد والعطف والحنان والرضاعة والحضانة والأعمال التي تناسبها كتعليم الصغار وإدارة مدارسهم والتطبيب والتمريض لهم، ونحو ذلك من الأعمال المختصة بالنساء، فترك واجبات البيت من لدن المرأة يعد ضياعا للبيت ويترتب عليه تفكيك الأسرة وإهمالها.

٥ ـ خلع المرأة ثيابها في المحلات (غرفة القياس)

ومن المنكرات أن تخلع المرأة ثيابها في السوق، فقد روى أبو داود والترمذي: (أن نساء من أهل حمص أو من أهل الشام دخلن على عائشة فقالت: أنتن اللاتي يدخلن نساؤكن الحمامات ؟ سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم يقول — (ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين ربها)[١].

فلا يجوز للمرأة بأي حال من الأحوال أن تخلع ثيابها في السوق أو في غيره[٢]، لأنها مأمورة بالتستر والتحفظ من أن يراها أجنبي.

أما ما يحصل في الأسواق في هذا العصر فإنه يندى له الجبين ويقشعر له البدن ويقف له شعر الرأس. فإذا ما أرادت المرأة أن تشتري ثوبا أو غير ذلك من الملابس ذهبت إلى محلات الأزياء فتختار ما تشاء من هذه الملابس سواء كانت داخلية أو خارجية وتدخل غرفة القياس لتقيس الثياب عليها... وما يدريك بعد ذلك ما يحصل في هذه الغرفة من عري كامل أحيانا والعياذ بالله؟!!.

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٤٠١٠)، والترمذي في الجامع رقم (٢٨٠٣)، وقال: حديث حسن، وابن ماجه في السنن رقم (٣٧٥٠).

(٢) يستثنى من ذلك ما كان للضرورة من مثل: الكشف عن الطبيبة للعلاج، أو نحوه مما تقتضيه الضرورة.

وهنا تنبيه وتحذير: تصمم غرفة القياس هذه في أغلب الأحيان من زجاج ومرايا وقد أستغل هذا التصميم أعداء الله في تصوير النساء في هذه الغرفة من غير أن يشعرن بذلك، وبعضهم يركب (آلة تصوير) خفية حيث لا يراها أحد فتدخل المرأة لتقيس الثياب فتخلع ما عليها من ملابس وآلة التصوير تصور والمرأة لا تدري !! وكم من المآسي حصلت بسبب ذلك!!.

وبعضهم يضع في تصميم هذه الغرفة الزجاج المصقول الذي هو من جهة مرآة ومن الجهة الأخرى زجاج عادي يرى من خلاله، فتدخل المرأة هذه الغرفة لتقيس الثياب، فتخلع ما عليها من الثياب ويكون خلف ذلك الزجاج المصقول رجل ينظر إلى هذه المرأة وهي عارية وهي لا تدري.

بل إن الأمر يكون أحيانا بصورة أيسر من ذلك وأسهل، وذلك بإيجاد ثقب خفي يكون منه ذلك التلصص الآثم!!.

إن هذه الأمور حقائق واقعية، ليست من نسج الخيال، فإنها والله حدثت وتكررت في بعض أسواقنا واشتهرت بين النساء .. وإلى الله المشتكى.

فلتحذر المرأة من هذا الفعل الخبيث الذي يوقع بها إلى الهلاك وهي لا تدري فلا تخلع ثيابها إلا في بيتها، وعلى الباعة التعاون في استبدال الملابس خلال يوم أو يومين.

وعلى ولاة الأمور أن يضعوا حدا لمثل هؤلاء الذين يتلاعبون بأعراض النساء، فردعهم والله مثوبة عظيمة تقرب للرب الغفور لما في ذلك من النهي عن المنكر.

قال تعالى: (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور). الحج: ٤١.

٦ ـ **الدعوة إلى مشاركة المرأة في الاجتماعات، واللجان، والمؤتمرات، والندوات، والاحتفالات والنوادي.**

وفي هذا دعوتها إلى الخضوع بالقول، والملاينة في الكلام، ودعوتها إلى مصافحة الرجل الأجنبي عنها في تلك الاجتماعات، والتصوير معه أحيانا.

٧ ـ **الدعوة إلى فتح مقاهي الإنترنت النسائية والمختلطة**، وقد يكون فيها تناول للمحرمات من شرب الدخان أو الشيشة، أو رؤية الصور المحرمة في المواقع المنوعة ونحو ذلك.

٨ ـ **الدعوة إلى سفر المرأة بلا محرم**، ومنه سفرها غربا وشرقا للتعلم بلا محرم أو سفرها مضيفة على إحدى الطائرات، أو للسياحة، أو لحضور ما يسمى بمؤتمرات رجالات الأعمال.

وقد قال الرسول ـصلى الله عليه وسلمـ :(لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم) متفق عليه[١].

---

(١) رواه البخاري في كتاب تقصير الصلاة، باب في كم يقصر الصلاة (٢/٥٦٦)، ومسلم في الحج، باب سفر المرأة مع محرم (٢/٩٧٧).

٩ ـ الدعوة إلى الخلوة بالأجنبية، ومنها خلوة الخاطب بمخطوبته ولما يعقد بينهما وخلوتها مع السائق وحدهما في السيارة.

١٠ ـ الدعوة إلى فتح أبواب الرياضة للمرأة، منه:

- المطالبة بإنشاء فريق قدم نسائي.
- والمطالبة بركوب النساء الخيل للسباق.
- ومشاركة النساء في سباقات الجري أو على الدراجات العادية والنارية.
- وفتح المسابح لهن في المراكز والنوادي وغيرها، وتعرضهن لكشف أجسامهن!!

وفي مجال الإعلام:

١١- تصوير المرأة في الصحف والمجلات بصور فاتنة لترويج المجلات الهابطة بنشر الصور الفاتنة على أغلفتها.

١٢- خروجها في التلفاز مغنية، أو ممثلة. أو عارضة أزياء، ودعوتها للمشاركة في مسابقات ملكة الجمال مما يخرج المرأة من حياءها وخلقها، وسفورها أما الرجال.

١٣- عرض برامج مباشرة تعتمد على المكالمات الخاضعة بالقول بين النساء والرجال في الإذاعة والتلفاز.

١٤- استخدام المرأة في الدعاية والإعلان.

١٥- الدعوة إلى الصداقة بين الجنسين من خلال ما يسمى خطوط الصداقة وبث برامج في أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة، وتبادل الهداية بالأغاني وغيرها من المحرمات.

وفي مجال التعليم:

١٦- الدعوة إلى التعليم المختلط والتدرج فيه بدءا بالصفوف الدنيا منه.

١٧- الدعوة إلى تدريس النساء وعكسه من غير ضرورة، والأحسن أن يكون عبر الدوائر التلفزيونية أو الصوتية، وخير للمرأة أن لا ترى الرجال، ولا يراها الرجال.

١٨- الدعوة إلى إدخال الرياضة في مدارس البنات.

وفي مجال العمل والتوظيف:

١٩- الدعوة إلى توظيف المرأة في مجالات الحياة كافة بلا استثناء كالرجال سواء، ومنه الدعوة إلى عملها في: المتاجر، الفنادق، والطائرات، والوزارات، والغرف التجارية، وغيرها كالشركات، والمؤسسات.

وفي مجال السياحة:

٢٠- الدعوة إلى إنشاء مكاتب نسائية للسفر والسياحة لجذب الجمهور إليها، وقيام النساء باستقبال الوفود السياحية ومرافقتهم في بعض الدول للمواقع السياحية.

خطر فتنة النساء

أخي المسلم أختي المسلمة: بعد ذكر هذه المظاهر ينبغي أن نعلم أن فتنة النساء ليس بعدها فتنة، وهي شر فتنة، هذا ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- فقد روى البخاري ومسلم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء)[١].

وروى مسلم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعلمون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)[٢].

ولذا فإن الإسلام يأمر النساء بالجلوس في بيوتهن، لا يخرجن إلا لحاجة لا غنى لهن عن الخروج لها.

فقال تعالى: (وقرن في بيوتكن) "الأحزاب: ٣٣": أي إلزمن بيوتكن ولا تخرجن إلا لحاجة لا تقضى إلا بخروجكن، أما إن كان هناك من يكفي المرأة مؤنتها فلا تخرج حينئذ، يرحم الله أم المؤمنين أم سلمة -رضي الله عنها- حجت واعتمرت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم- حجة الوداع ثم لزمت بيتها ولم تخرج لا لحج ولا لعمره، فقيل لها: يا أم المؤمنين لما لا تحجين ولا تعتمرين؟.

قالت: الحمد لله. قد حججت واعتمرت مع رسول الله، وقد أمرني ربي أن أقر في بيتي. فما خرجت -رضي الله عنها- إلا وهي محمولة على الأعناق إلى القبر[٣].

هذا ما تيسر ذكره، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المراجع

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حسان. لعلاء الدين الفارسي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام (١٤٠٨ هـ).

---

(١) البخاري (١٣٧/٩- فتح) رقم (٥٠٩٦)، ومسلم في الصحيح رقم (٢٧٤٠).
(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (٢٧٤٢).
(٣) الدر المنثور للسيوطي (٥٩٩/٦).

- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، مكتبة الحياة، بيروت (١٣٠٦ هـ).
- تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير، دار المعرفة، بيروت (١٤٠٧ هـ).
- تهذيب اللغة، للأزهري، الدار المصرية للتأليف، القاهرة، عام (١٣٨٧ هـ).
- حراسة الفضيلة، للشيخ بكر أبو زيد ،دار العاصمة، الرياض (١٤٢١ هـ).
- حكم النظر للنساء، للإمام ابن قيم الجوزية.
- خطر مشاركة المرأة الرجل في ميدان عمله، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز - رحمه الله -، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، (١٤٠٥ هـ).
- الدار المنثور في التفسير المأثور، للإمام السيوطي، دار المعرفة، بيروت.
- سنن ابن ماجة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة (١٣٩٢ هـ).
- سنن أبي داود، تعليق عزت عبيد دعاس، دار الحديث (١٣٨٨هـ) .
- سنن الترمذي، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، وطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة (١٣٩٨ هـ).
- السنن الكبرى للإمام البيهقي، دائرة المعارف العثمانية، الهند (١٣٤٤ هـ).
- شعب الإيمان للإمام البيهقي، تحقيق بسيوني بهلول، دار الكتب العلمية، بيروت.
- صحيح البخاري مع فتح الباري، ترقيم الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، (١٤٠٠ هـ).
- صحيح مسلم مع شرح النووي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٣٧٤ هـ).
- فتح الباري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، المطبعة السلفية، القاهرة (١٤٠٠ هـ).
- الفتح الرباني للشيخ أحمد البنا - رحمه الله -، دار الحديث، القاهرة (١٣٧٨ هـ).
- القول الرائد في أن الحجاب الشرعي من الفرائض، للشيخ: حسن الشيخ، دار طويق، الرياض، (١٤٢٢ هـ).
- لسان العرب لإبن منظور، ترتيب: يوسف خياط ونديم المرعشلي، بيروت.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، دار الكتب العربي، بيروت (١٤٠٢ هـ).
- المستدرك على الصحيحين للحاكم، دار الكتب العلمية، بيروت.
- مسنة أبي يعلي الموصلي، تحقيق د. حسين الأسد، دار المأمون للتراث، بيروت (١٤٠٧ هـ).
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت (١٤٠٣ هـ).

- المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، الدار السلفية، الهند (١٤٠٠ هـ).
- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق د. عبد السلام هارون، دار الفكر (١٣٩٩ هـ).
- المغني، لابن قدامة المقدسي، تحقيق أ. د. عبد الله التركي، و د. عبد الفتاح الحلو، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة (١٤٠٦ هـ).
- منكرات الأسواق، للشيخ: رائد صبري، دار عمار، الأردن، (١٤١٩ هـ).

بسم الله الرحمن الرحيم

مفهوم الاحتشام ومظاهره

أ.د. إبراهيم محمد السليقني

المقدمة

لا بد لي أن أقدم بمقدمة تتناول ثلاثة أمور: الأمر الأول: عناية الإسلام بالمرأة، والثاني: الشريعة الإسلامية من وضع رب العالمين، والثالث: غرس الإيمان ورقابة الله في القلب، يحققان لباس التقوى مع اللباس المادي.

الأمر الأول: عناية الإسلام بالمرأة: لقد عني الإسلام أتم العناية بإعداد المرأة الصالحة لمشاركة الرجل في بناء صرح المجتمع، على أساس من الدين والفضيلة، والخلق القويم، و في حدود خصائص الجنسين: الرجل والمرأة، فكوّن شخصيتها، ورفع شأنها، ثم ناط بها من شؤون الحياة ما يتلاءم مع طبيعتها، وما تحسنه، حتى إذا نهضت بأعبائها، أصبحت زوجة صالحة. وأماً مربية، ودعامة قوية في صرح المجتمع، إذا صلَحَت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسد المجتمع كله.

لقد اعتبر الإسلام المرأة كائناً إنسانياً مكرماً، لا فرق في ذلك بينها وبين الرجل، {ولقد كرمنا بني آدم}[1]. فحفظ عليها حريتها، وأجاز لها التصرف كما تشاء في أموالها. ضمن الدائرة المشروعة كالرجل، وجعل لها حقاً في الميراث، فقال تبارك وتعالى: {للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون. وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون}[2]، وجعل لها الحق في أن تملك، وتبيع وتشتري، وتهب وتقبل الهبة، وترهن، وتعقد باسمها العقود، دون حاجة إلى إذن زوجها أو وليّ أمرها؛ ولا يوزن الإسلام في ذلك بأي تشريع حديث، فإن المرأة في

(١) سورة الإسراء: ٧٠.
(٢) سورة النساء: ٧.

فرنسا مثلاً إلى الآن تحيا في حالة أشبه بحالة الرق المدني، فلا يجوز للمتزوجة مثلاً بيع ولا شراء، ولا هبة ولا رهن ولا عقد، إلا بإذن زوجها، وفي أكثر النظم المبتدعة تتخلى المرأة عن اسم أسرتها، وتنسب إلى أسرة زوجها، وهذا عنوان لفقدان الشخصية.

ولو أردت أن أعدد ما منحه الإسلام للمرأة، وما خصها به من مزايا، لطال بي المجال؛ وحسبنا أن نعلم أن المرأة قد تحررت في ظل الإسلام إلى درجة لم تبلغها، ولن تصل إليها في ظل أي فلسفة، أو نظام آخر، ويعرف كل مطلع ذلك، ولا ينكره إلا من خُتم على قلبه، فحجب عن رؤية الحق، والاعتراف به.

الأمر الثاني: التشريع الإسلامي من وضع رب العالمين، الذي خلق الرجل والمرأة، وهو العليم الخبير بما يصلح شأنهما من تشريعات، ولم يكن في تشريعه يميز طائفة على حساب أخرى، أو يميز جنساً أو لوناً على حساب جنس أو لون آخر، فالكل عنده سواء، لأنهم عبادُه: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}[1]، وفي كثير من الآيات يجمع بين الرجال والنساء، فيقول سبحانه: {إن المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، والقانتين والقانتات، والصادقين والصادقات، والصابرين والصابرات، والخاشعين والخاشعات، والمتصدقين والمتصدقات، والصائمين والصائمات، والحافظين فروجهم والحافظات، والذاكرين الله كثيراً، والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً}[2]، ويقول عز من قائل: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم}[3].

ويقول جل شأنه: {من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون}[4]، ويقول: {يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء، عسى أن يكن خيراً منهن}[5].

ويقول سبحانه: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم، ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن}[6].

فهذه الآيات الكريمة تخاطب الرجال والنساء على السواء، وتسوي بينهم في توجيه التكليف إليهم، وتعد هؤلاء وهؤلاء بالثواب على الامتثال، وعمل الخير.

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦.
(٢) سورة الأحزاب: ٣٥.
(٣) سورة الأحزاب: ٣٦.
(٤) سورة النحل: ٩٧.
(٥) سورة الحجرات: ١١.
(٦) سورة النور: ٣٠،٣١.

الأمر الثالث: غرس الإيمان ورقابة الله تعالى في القلب يحقق لباس التقوى مع اللباس المادي: إذا كان محور بحثنا مفهوم احتشام المرأة المسلمة ومظاهره، (اللباس الشرعي؛ مواصفاته وحدوده)، فإن الاحتشام من حَشِمَ: خجل، واحتشم: استحيا، وسلك في حياته مسلكاً وسطاً محموداً، وتحشم: استحيا[1] والذي يحقق ذلك: التربية الفاضلة، وغرس الإيمان والقيم والأخلاق الفاضلة في نفوس الناشئة من بنين وبنات، بدءاً من الأسرة، فالمدرسة فالجامعة، مع وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة.

وبهذا نفهم معنى قوله تعالى: {يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً، ولباس التقوى ذلك خير}[2].

فالتقوى خير لباس وهو قبل كل لباس كما قال الشاعر:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى ... تقلب عرياناً وإن كان كاسياً

وخير لباس المرء طاعة ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصياً

وتشير الآية الكريمة: إلى التلازم بين شرع الله تعالى اللباسَ لستر العورات، وبين التقوى، وأن التستر والحياء من التقوى، فعن شعور التقوى والحياء ينبعث الشعور باستقباح عري الجسد، والحياء سنة. وإن ستر البدن أمر فطري، فمنذ بدء الخليقة أسرع سيدنا آدم ؑ، وأمنا حواء رضي الله عنها، بمجرد أن نزع عنهما لباسهما بعد الأكل من الشجرة، فأخذا يجمعان عليهما من ورق أشجار الجنة، ليسترا أنفسهما، {فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة}[3]. ولما جاء الإسلام نزلت آيات كريمة تحث المرأة المسلمة على الحجاب وتنهى عن التبرج.

حدود اللباس الشرعي ومواصفاته

لقد ثبت تحديد اللباس الشرعي بالنصوص القطعية الصريحة والتي منها:

١ ـ يقول تعالى: {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين}[4].

---

(١) المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية بمصر، ص١٥٣.

(٢) سورة الأعراف: ٢٦.

(٣) سورة طه: ١٢١.

(٤) سورة الأحزاب: ٥٩. والجلباب ثوب واسع للمرأة دون الملحفة، أو ما تغطي به ثيابها من فوق كالملحفة، أو هو الخمار إهـ (القاموس المحيط)، والخمار كل ما ستر. ومنه خمار المرأة إهـ (المعجم الوسيط). قال ابن عباس: الوجه واليدان من الزينة الظاهرة، وهو قول طائفة من العلماء كالشافعي وغيره، وقال القرطبي في تفسيره (٢٢٩/١٢) الزينة على قسمين: خلقية ومكتسبة، والخلقية وجهها فإنه أصل الزينة وجمال الخلقة... إلخ.

وهو أمر صريح لجميع نساء المؤمنين وبناتهم بإرخاء الجلباب، ليستر جميع الجسم، حتى لا تعرف المرأة من هي؟ وما شكلها؟ وما هيئتها؟ وليبتعد عن إيذائها المرتاب، ومن في قلبه مرض، ولا يتحقق عدم معرفة المرأة إلا بالخمار، إذ بدونه تعرف المرأة.

ولقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب[١]. وتفسير الصحابي حجة، بل قال بعض العلماء إنه في حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ ـ يؤيد هذا المعنى قوله تعالى: {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن، ولايبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن، أو آبائهن...الآية}[٢]. تأمر هذه الآية الثانية بعدم إظهار الزينة، وأن تغطي المرأة رأسها بالخمار، وأن تضرب بفضوله على صدرها، ليستر فتحة ثوبها، ولا تبيح هذه الآية للمرأة أن تتخلى عن هذا الحجاب إلا بحضرة الذين لا تثيرهم مفاتنها، من المحارم أو الأطفال.

٣ ـ ويقول تعالى: {وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن}[٣].

٤ ـ ويقول سبحانه: {وقرن في بيوتكنَّ، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وأقمن الصلاة، وآتين الزكاة، وأطعن الله ورسوله}[٤].

فالحديث في هاتين الآيتين الأخيرتين موجه إلى نساء النبي، وهو يتضمن أمرهن أن يلزمن البيوت، كما تأمر المسلمين إن احتاجوا إلى طلب شيء من نساء الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون حديثهم إليهن من وراء ستار، يحجب كلا عن الآخر، وتعلل الآية ذلك بأنه أدعى إلى طهارة الطرفين، وأنه أبعد عن مظان الريبة، وأحوط في تجنب أسباب الفتنة، وليت شعري إذا كان ذلك هو الأحوط والأطهر لنساء النبي، وهن الطاهرات القانتات، فلا شك أن عامة المسلمين، وهن أبعد عن العصمة جداً أحوج إلى الأخذ به والتزامه، إذا كانت نساء النبي صلى الله عليه وسلم -وهن من هن، أمهات المؤمنين-، وصحابة رسول الله -وهم من هم- مأمورين بالسؤال من وراء الحجاب، فكيف لا نكون نحن عامة المسلمين مأمورين به من باب

---

(١) تفسير ابن كثير (٥١٨/٣).
(٢) سورة النور: ٣١.
(٣) سورة الأحزاب: ٥٣.
(٤) سورة الأحزاب: ٣٣.

أولى، وقد قال القرطبي: ويدخل في قوله تعالى: {وإذا سألتموهن متاعاً} جميع النساء بالمعنى، وبما تضمنته أصول الشريعة[1].

٥ ـ أخرج عبد الرزاق في مصنفه وغيره عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما نزلت آية الحجاب خرج نساء الأنصار كأنّ على رؤوسهن الغربان لسترهن وجوههن بفضول أكسيتهن.

٦ ـ روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: «لا تلثَم المرأة ولاتتبرقع»[2]، وما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: «لا تنتقب المرأة المحرمة»[3]، فنهى المرأة عن أن تتبرقع، أو تنتقب في أثناء الإحرام بالحج، دليل على أنها في عامة الأحوال الأخرى تتبرقع وتنتقب، وذلك يقضي ستر وجوههن، لأن الوجه يجمع كل المحاسن، وهو أكثر الأعضاء فتنة وإغراء.

٧ ـ حديث أم عطية رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخرج في الفطر والأضحى العواتق والحيَّض وذوات الخدور، أما الحيَّض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير، ودعوة المسلدين، قلت يا رسول الله: إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتلبسها أختها من جلبابها»[4].

٨ ـ قال العلامة ابن كثير في تفسير الآية الأولى آية (٥٩) من سورة الأحزاب[5]: «أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن». وفسر محمد بن سيرين هذه الآية عملياً بأن غطى رأسه ووجهه، وأظهر عينه. وقال العلامة الألوسي في تفسير الآية: يتقنعن فيسترن الرأس والوجه بجزء من الجلباب، مع إرخاء الباقي على بقية البدن.

٩ ـ ويقول العلامة النيسابوري في كتابه تفسير غرائب القرآن على حاشية ابن جرير الطبري[6]: «كانت النساء في أول الإسلام على عادتهن في الجاهلية متبذلات فأمرن بلبس الأردية، وستر الوجه والرأس».

١٠ ـ ويقول العلامة البيضاوي في تفسيره[7]: «أي يغطين وجوههن وأبدانهن بملاحفهن إذا خرجن». وقال القرطبي في تفسيره[8]: «قال ابن جرير وعطاء والأوزاعي: إن الزينة الواردة في الآية الكريمة {ولايبدين زينتهن} هي الوجه والثياب».

---

(١) القرطبي (٢٢٧/١٤).
(٢) صحيح البخاري (١٦٩/٢).
(٣) سنن أبي داود (٤١١/٢)، وسنن النسائي (١٣٣/٥).
(٤) صحيح البخاري (١٩٦/٢).
(٥) تفسير ابن كثير (٥١٨/٣).
(٦) ابن جرير الطبري (٣٢/٢٢).
(٧) تفسير البيضاوي (٦٨/٤).
(٨) القرطبي (٢٢٩/١٢).

١١ ـ وقال العلامة الألوسي في تفسيره[١]: «قال الليث: يقال تبرجت المرأة إذا أبدت محاسنها من وجهها وجسدها، فمعناها: ولا تكشفن وجوهكن وأجسادكن».

١٢ ـ وفي البداية والنهاية في حادثة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم: «أقبل أبو بكر من السنخ على دابته، حتى نزل بباب المسجد، وأقبل مكروباً حزيناً فاستأذن في بيت ابنته عائشة رضي الله عنها فأذنت له. فدخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي على الفراش، والنسوة حوله، فخمرن وجوههن، واستترن من أبي بكر »[٢].

١٣ ـ وإذا كانت المرأة منهية بالنص القرآني عن الضرب بالأرجل خوفاً من افتتان الرجل، فكيف يكشف الوجه.

هذه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الصحيحة تبين الحقيقة للذين يلزمون أنفسهم حدود الله، من المؤمنين الذين يحكمون الله ورسوله، لا الأهواء والتقاليد، مصداقاً لقوله تعالى: {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت، ويسلموا تسليماً}[٣].

وقوله سبحانه: {وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة }[٤]، وهذه الحقيقة هي أن الحجاب فريضة بشروط تحقق الغاية التي رمى إليها، والهدف الذي قصده:

الشرط الأول: أن يكون ساتراً لجميع البدن: قال صلى الله عليه وسلم: «المرأة عورة»[٥]، وقال صلى الله عليه وسلم: «من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة، فقالت أم سلمة: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: يرخينه شبراً. قالت: إذن تنكشف أقدامهن، قال يرخينه ذراعاً»[٦]. فوجوب ستر الوجه من باب أولى؛ لأن القدم أقل فتنة من الوجه.

الشرط الثاني: أن لا يكون الحجاب زينة في نفسه، ويشهد لهذا الشرط قوله تعالى: {ولا يبدين زينتهن}[٧].

الشرط الثالث: أن يكون فضفاضاً، لايصف جسمها، ويشهد لهذا الشرط: أمر الإسلام بلبس الجلباب أمراً جازماً بقوله تعالى: {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن

---

(١) تفسير الألوسي (٢٢/٢٨).
(٢) البداية والنهاية (٦/٢٤٣).
(٣) سورة النساء: ٦٥.
(٤) سورة الأحزاب: ٣٦.
(٥) رواه الترمذي. وقال: حديث حسن صحيح. والعورة كل ما يستر حياء.
(٦) رواه البخاري ومسلم.
(٧) سورة النور: ٣١.

من جلابيبهن}[1]. ويشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم فيما روته أم عطية رضي الله عنها قالت: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تخرج في الفطر والأضحى: العواتق والحيض وذوات الخدور، فأما الحيض فيعتزلن الصلاة ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين، قلت يا رسول الله: إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال صلى الله عليه وسلم: لتلبسها أختها من جلبابها»[2]. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبيح للمرأة الخروج إلا بالجلباب، فإن لم يكن لها جلباب فعليها أن تستعير. وقد سبق بيان معنى الجلباب، وهو الثوب الواسع.. الخ.

الشرط الرابع: أن لا يكون شفافاً، وفي ذلك يقول صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه: «صنفان من أهل النار لم أرهما بعد، نساء كاسيات عاريات، مائلات، مميلات، على رؤوسهن أمثال أسنمة البخت، لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها، ورجال معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس»[3].

فهؤلاء النساء الكاسيات العاريات، هن اللواتي يلبسن الشفاف من الثياب، يدعين الكسوة، والحقيقة أن هذه الكسوة لا تغني عنهن من الله شيئاً، فإنها تزيد في جمالهن، وتثير من فتنتهن، إنهن بالذات انصبت عليهن نقمة الله، ونقمة رسوله، فتوعدهن الله بالنار، وأيضاً دخلت حفصة بنت عبد الرحمن ابن أبي بكر على عائشة رضي الله عنها وعليها خمار رقيق يشف عن جبينها، فشقته، وقالت: أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار كثيف فكستها[4]. وسئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن الخمار الذي يجب أن تختمر به المرأة المسلمة فقالت: «إنما الخمار ما وارى البشرة والشعر».

الشرط الخامس: أن لا يكون معطراً ويدل على هذا قول صلى الله عليه وسلم: «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية»[5]. لأن في فواح العطر من النساء فتنة فكان أمره صلى الله عليه وسلم: «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً»[6].

الشرط السادس: أن لا يشبه لباس الرجال، يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: « لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»[7]،

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٩.

(٢) صحيح البخاري (٢: ١٩٢).

(٣) رواه مسلم في الصحيح في كتاب اللباس والزينة (٣: ١٦٨) رقم الحديث (٢١٢٨)، ورواه أيضاً في كتاب الجنة وصفة نعيمها (٤: ٢١٩٢). ورواه الإمام أحمد في المسند (٢: ٣٥٦).

(٤) رواه الإمام مالك في كتاب اللباس، باب مايكره لبسه من الثياب ص ٩١٣.

(٥) رواه النسائي وأبو داوود وأحمد والترمذي قال حديث حسن صحيح.

(٦) رواه مسلم في كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد (٢/٣٣-٣٤).

(٧) رواه ابو داود في كتاب اللباس (٤/٣٥٥)، رقم الحديث (٤٠٩٨). ورواه الإمام أحمد في المسند (٢/٣٢٥).

وأيضاً قوله صلى الله عليه وسلم: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»(١).

الشرط السابع: أن لا يشبه لباس الأجانب، لأن مسألة التشبه بالأجنبي مسألة مهمة جداً، إذ تدل على ضعف الشخصية المسلمة، حتى إنها من الضعف تتبع غيرها، لا في الأمور المهمة، وإنما في القشور والتوافه. ولولا أننا نعتقد فيه الكمال لما تبعناه، ومن الخطأ الجسيم أن نعتقد في الأجنبي والأجنبية الكمال، وفي أنفسنا وعاداتنا النقص، إن هذا معناه تلاشي الإيمان، واللجوء إلى التبعية التي نهانا الله ورسوله عنها، وقد ذكر العلامة ابن خلدون بحثاً قيماً في مقدمته. يبين فيه خطر التبعية، وتنبّأ بسقوط الأندلس لما رأى أهلها يقلدون الأجانب.

الشرط الثامن: أن لا يكون لباس شهرة، يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه النار»(٢).

ولا بد من الإشارة إلى أنه ليس ثمة لون معين يتحتم على المرأة أن تتقيد به في لباسها، بل لها أن تتخذ من الألوان ما شاءت، شريطة أن لا يكون جذاباً، أو زينة في نفسه، أو ملفتاً للنظر. ولكني أقول إن أجمل ما يليق بلباس المرأة الظاهر هو السواد. لأنه أستر، وأبعد عن دوافع الفتنة، وأستأنس بقول أم سلمة رضي الله عنها لما نزل قوله تعالى {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن}(٣): خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية، وفي رواية أخرى وعليهن أكسية سود يلبسنها.

هذا ولا خلاف أن السفور حالة بداوة وبداية في الإنسان، والاحتجاب طرأ عليه بعد تكامله بوازع ما، ولا خلاف أيضاً أن الأخلاق هي الدعامة الأولى، وأن ابتعاد المرأة عن الانزلاق والتردي بما أوتيت من خوف الله ورقابته هو الأساس، والحجاب هو وسام هذا الإباء، كيلا تحتاج إلى الإباء والرفض باللسان أو اليد، ففيه اتهام للرجال، وصون للمرأة عن أن تكون عرضة للأعين الخائنة، والنفوس المريضة.

وقد خص الاحتجاب بالمرأة دون الرجل، لاشتغاله خارج البيت، ولأن موقفه في المناسبات الجنسية موقف الطالب، وموقف المرأة موقف المطلوب، فيكون منه الطلب والإيجاب، ومنها القبول أو الإباء.

---

(١) رواه البخاري في كتاب اللباس (٧/٢٠٥). والترمذي في كتاب الأدب (٥/٩٨) وقال: حسن صحيح.

(٢) سنن ابن ماجه (٢/١١٩٣) رقم (٣٦٠٦) وفيض القدير (٦/٢١٨) رقم الحديث (٩٠٤٠)، ورواه أبو داود أيضاً (٤/٣١٤) رقم الحديث (٤٠٢٩) في باب لبس الشهرة.

(٣) سورة الأحزاب: ٥٩.

ونسمع بين حين وآخر أن ستر الوجه غير مطلوب، وأن الحجاب الشرعي لا يشمل الوجه، وكل هذه الدعاوي لا تستند إلى دليل تقوم به الحجة، بل في الشرع أدلة قوية تدل على وجوب ستره، وهي الأولى بالاتباع، والأقوى في الحجية، والأحق بالعمل، أذكر منها إضافة إلى ما ذكرته آنفاً:

١ ـ قوله سبحانه: {ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولايبدين زينتهن إلا لبعولتهن...الآية}[1].

فعن ابن مسعود: المستثنى من الزينة بالظهور الثياب، والمعنى كما قال ابن كثير في التفسير: لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا مالا يمكن إخفاؤه، وفسر بعضهم إلا ما ظهر منها: إلا ما دعت الضرورة لظهوره.

ومن العلماء من فسر ما ظهر منها بما كشفه الهواء من الزينة، فظهرت من غير قصد، ويعتضد هذا بآية الأحزاب: {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن}[2].

والجلباب هو الرداء الساتر من أعلى الرأس إلى القدم، وقد فسر عبيدة السلماني وارث علوم علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما، والذي كان يخضع لعلمه وفهمه مثل القاضي شريح الذي استمر على قضاء الكوفة ستين سنة، فسر إدناء الجلابيب فيما أخرجه ابن جرير في تفسيره، فقال: «حدثني يعقوب، قال: حدثنا ابن علية عن ابن عوف عن محمد عن عبيدة في قوله تعالى: {يدنين عليهن من جلابيبهن} فلبسها عندنا ابن عون، قال: ولبسها عندنا محمد، قال محمد: ولبسها عندي عبيدة، فتقنع بردائه، فغطى أنفه وعينه اليسرى، وأخرج عينه اليمنى، أدنى رداءه من فوق، حتى جعلها قريباً من حاجبه».

ورجال هذا السند جبال في الثقة والضبط، فابن جرير هو الحافظ المفسر المشهور، وشيخه يعقوب بن إبراهيم العبدي، وشيخه ابن علية، وشيخه ابن عون، وشيخه محمد بن سيرين، كلهم حفاظ ثقات اتفق الأئمة الستة على إخراج حديثهم، وبقول عبيدة السابق أخذ جمهور السلف، وعليه عوّل الإمام أبو بكر الرازي الجصاص في أحكام القرآن.

٢ ـ روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أمر الله تعالى نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن، ويبدين عيناً واحدة». وعند ابن كثير في تفسيره، والسيوطي في الدر المنثور، عن ابن سيرين قال:

---

(١) سورة النور: ٣١.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٩.

سـألت عبيدة السلماني عن قوله تعالى: {يدنين عليهن من جلابيبهن} فرفع ملحفة كانت عليه فتقنع بها، وغطى رأسه حتى بلغ حاجبيه، وأخرج عينه اليسرى.

٣ ـ روى البخاري في صحيحه عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل قول الله تعالى: {وليضربن بخمرهن على جيوبهن}: يرحم الله النساء المهاجرات شققن مروطهن فاختمرن بها، قال الحافظ في فتح الباري أي غطين وجوههن.

٤ ـ حديث عائشة رضي الله عنها الذي أخرجه أحمد في المسند وأبو داود في السنن، وابن ماجه والبيهقي، وهو حديث حسن بشواهده قالت: «كان ركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم محرمات، فإذا حاذونا أسدلت إحدانا جلبابها من رأسها ووجهها، وإذا جاوزونا كشفنا». ففيه دليل على وجوب ستر الوجه، لأن المشروع في الإحرام كشفه، فلولا وجود مانع قوي من كشفه لوجب بقاؤه مكشوفاً حتى عند محاذاة الركبان.

٥ ـ حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «كنا نغطي وجوهنا من الرجال وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام»[1].

٦ ـ في صحيح البخاري ومسلم ومسند الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه «أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصطفى صفية لنفسه من سبي خيبر قال الصحابة: ما ندري أتزوجها أم اتخذها أم ولد؟ فقالوا: إن حجبها فهي امرأته، وإن لم يحجبها فهي أم ولد، فلما أراد أن يركب حجبها وسترها».

٧ ـ وروي أبو داود في سننه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «لما نزلت: {يدنين عليهن من جلابيبهن} خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية» إسناده صحيح، قال شمس الحق أبو داود يعني يرخينها عليهن، ويغطين وجوههن وأبدانهن، وقال: إن السيوطي ذكر أن هذه الآية آية الحجاب في حق سائر النساء، ففيها ستر الرأس والوجه.

٨ ـ ما ذكرته آنفاً عن السيدة عائشة رضي الله عنها: «لا تلثم المرأة المحرمة ولا تتبرقع»[2].

٩ ـ وحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «لاتنتقب المرأة المحرمة»[3].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فهذا صريح في أن النساء كن يخمرن وجوههن في غير الإحرام.

١٠ ـ حديث السيدة عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك الذي رواه الشيخان. وفيه: « وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب علي، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي..... الخ».

---

(١) رواه الحاكم وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢) رواه البخاري (٢/١٦٩).

(٣) سنن أبي داود (٢/٤١١)، وسنن النسائي (٥/١٣٣).

فلننظر في قولها: فخمرت وجهي بجلبابي، وهي أدرى بمعنى قوله تعالى: {يدنين عليهن من جلابيبهن}، وأما ما يروى عن بعض العلماء من جواز كشف المرأة وجهها وكفيها فمقيد بعدم الخوف من الفتنة، وأين ذلك المجتمع المهذب الذي يأمن الإنسان فيه الفتنة؟ قال شمس الأئمة السرخسي[1]: «حرمة النظر لخوف الفتنة، وخوف الفتنة في النظر إلى وجهها، وعامة محاسنها في وجهها، أكثر منه إلى سائر الأعضاء، ثم ذكر ما يروى عن أبي حنيفة من إباحة النظر إلى الوجه والكفين، ثم قال: وهذا كله إن لم يكن النظر عن شهوة، فإن كان يعلم أنه إن نظر اشتهى لم يحل له النظر إلى شيء من ذلك، وكذلك إن كان أكبر رأيه أنه إن نظر اشتهى، لأن أكبر الرأي فيما لا يوقف على حقيقته كاليقين»، وعدم خوف الفتنة إنما يعلم في ناظر خاص، وأما بالنظر إلى جماهير الناس الذين تبرز المرأة أمامهم مكشوفة الوجه، فلا يتصور عدم خوف الفتنة منهم جميعاً، فيتحتم المنع من السفور أمامهم على هذا التعليل الواضح، وبهذا يظهر مذهب الإمام أبي حنيفة وأصحابه في المسألة.

وقال القرطبي في تفسيره[2] «قال ابن خويز منداد وهو من كبار أئمة المالكية: إن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك، وإن كانت عجوزاً، أو مقبحة، جاز أن تكشف وجهها وكفيها»، وهذا إيضاح منه لمذهب الإمام مالك في المسألة.

وأما عند الإمام الشافعي فورد في كفاية الأخيار[3]: «فيحرم النظر إلى وجهها وكفيها إن خاف الفتنة».

وأما مذهب الإمام أحمد في المسألة فكمذهب الإمام الشافعي.

هذه بعض الأدلة في وجوب ستر الوجه، ولا بد لي أن أعرض الأدلة التي استند إليها القائلون بجواز كشف الوجه وأجيب عنها:

١ ـ عن السيدة عائشة رضي الله عنها أن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب رقاق، فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: «يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى كفيه ووجهه»[4]. هذا الحديث ضعيف فيه علتان: الأولى الانقطاع فإن الراوي عن عائشة رضي الله عنها خالد بن دريك، وهو لم يدركها كما قال أبو داود عقب روايته لهذا الحديث، والعلة الثانية قالها المنذري في

---

(١) المبسوط (١٠/١٥٢).

(٢) القرطبي (١٢/٢٢٩).

(٣) كفاية الأخيار (٢/٢٣).

(٤) رواه أبو داود في السنن في كتاب اللباس، باب في ما تبدي المرأة من زينتها رقم (٤١٠٤).

مختصر السنن[1]: «في إسناده سعيد بن بشير الأزدي البصري نزيل دمشق، وقد تكلم غير واحد فيه، وتركه ابن مهدي. وضعفه أحمد، وابن معين، وقال فيه ليس بشيء»، وكل واحدة من هاتين العلتين تمنع من الاحتجاج به لو انفردت، فكيف وقد اجتمعتا فيه؟ ولو سلّم جدلاً بصحته، فهو محمول على ما قبل الأمر بالحجاب. لأن نصوص الحجاب ناقلة عن الأصل فتقدم عليه، كما هو عند علماء أصول الفقه.

٢ ـ حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه « قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئاً على بلال، فأمر بتقوى الله، وحث على طاعته، ووعظ الناس وذكّرهم، ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن، وذكرهن، ثم قال: تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم، فقامت امرأة سفعاء[2] الخدين فقالت: ولم يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم لأنكن تكثرن الشكاة، وتكفرن العشير، قال: فجعلن يتصدقن من حليهن يلقين في ثوب بلال من أقراطهن وخواتمهن» رواه البخاري ومسلم وغيرهما. وحجتهم في هذا الحديث أن المرأة السفعاء الخدين كانت سافرة عن وجهها، وأن النبي صلى الله عليه وسلم رآها وأقرها على ذلك، حتى رآها جابر، ونقل صفتها. والجواب عن هذا: أنه ليس في الحديث ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم رآها وسكت عنها حتى رآها جابر كما ادعى المبيحون لكشف الوجه، وغاية ما فيه أن جابراً رأى وجه تلك المرأة، فلعلّ جلبابها انحسر عن وجهها بغير قصد فرآه جابر وأخبر عنه، ومن ادعى أن النبي صلى الله عليه وسلم رآها كما رآها جابر وأقرها فعليه الدليل، ومما يدل على أن جابراً انفرد برؤيتها أن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وأبا هريرة وأبا سعيد رووا خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وموعظته للنساء، ولم يذكر واحد منهم ما ذكره جابر من صفة خدي المرأة.

كما أجيب أيضاً: بأن المرأة قد تكون من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحاً، أو يكون قبل نزول آية الحجاب، فإنها كانت في سورة الأحزاب التي نزلت سنة خمس للهجرة، وصلاة العيد شرعت في السنة الثانية، كما أن أدلة وجوب الحجاب ناقلة عن الأصل، وأدلة الجواز مبقية على الأصل، والناقل مقدم، كما هو معروف عند الأصوليين، لأن مع الناقل زيادة علم، وهو إثبات تغيير الحكم الأصلي.

٣ ـ حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من خثعم وضيئة تستفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) مختصر السنن (٥٨/٦).

(٢) السفعة: أثر تلون البشرة من المشقة والضنك.

يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، وروى هذه القصة علي بن أبي طالب وزاد، فقال العباس: يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك؟ قال رأيت شاباً وشابة فلم آمن الشيطان عليهما، رواه البخاري ومسلم وغيرهما. وحديث علي رواه أحمد والترمذي وصححه، وقالوا إن هذا الحديث يدل على ما يدل عليه حديث جابر السابق من أن الوجه ليس بعورة، ولأنه لو كان عورة يلزم ستره، ولما أقرها على كشفه بحضرة الناس، ولأمرها أن تسبل عليه من فوق، ولو كان وجهها مغطى ما عرف ابن عباس أحسناء هي أم شوهاء.

والجواب عما قالوه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقر الفضل على ذلك، ففيه تحريم النظر إلى الأجنبية، وإن قيل لماذا لم يأمر المرأة بالتحجب لوجهها، فالجواب أولاً: أنها كانت محرمة. وثانياً: أن ابن عباس لم يكن حاضراً حين كان أخوه الفضل ينظر إلى الخثعمية وتنظر إليه، لأنه كان ممن قدمه النبي صلى الله عليه وسلم مع الضعفة بليل، كما ثبت ذلك عنه في الصحيحين والمسند والسنن، وروايته للقصة إنما كانت من طريق أخيه الفضل بن عباس كما ورد ذلك من طرق صحيحة رواها الشيخان، وأصحاب السنن، ثم إن ابن عباس لم يصرح في حديثه أن المرأة كانت سافرة الوجه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم رآها وأقرها. وغاية ما فيه أنه ذكر أن المرأة حسناء وضيئة، فيحتمل أنه أراد حسن ما ظهر من حسن قوامها، وإن كان الفضل قد رأى وجهها فرؤيته لها لا تدل على أنها كانت مستديمة لكشفه، ولا أن النبي صلى الله عليه وسلم رآها وأقرها على ذلك، وكثيراً ما ينكشف وجه المتحجبة بغير قصد منها بسبب اشتغالها بشيء، أو بسبب ريح شديدة فيرى وجهها من كان حاضراً عندها، ويوضح ذلك أن الذين شاهدوا قصة الفضل والخثعمية لم يذكروا حسن المرأة ووضاءتها، ولم يذكروا أنها كانت مسفرة عن وجهها، بل غاية ما في الحديث أنها تنظر إليه وينظر إليها، فدل هذا على أنها كانت مستترة منهم. ثم إن قولهم لأمَرَها النبي أن تسبل...الخ نسوا أم تناسوا أن المرأة كانت محرمة بالحج والمحرمة بالحج لا يجوز لها ستر وجهها لقوله صلى الله عليه وسلم لا تنتقب المرأة، ولا تلبس القفازين، كما قدمت.

٤ ـ حديث سهل بن سعد رضي الله عنه «أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم، فصعّد النظر وصوبه، ثم طأطأ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقصد منها شيئاً جلست» رواه الشيخان.

والجواب عن هذا، أن الحافظ ابن حجر جعل تصعيد النظر من باب تأمل محاسن المرأة لإرادة تزوجها، فليس في هذا الحديث، ولا في غيره من الأحاديث ما يدل على جواز كشف المرأة عن وجهها لأجنبي غير خاطب، وغاية ما هنالك أن الحديث يدل على جواز النظر إلى وجه المرأة بقصد تزوجها، فليس فيه ما يدل على جواز السفور لكل أحد.

٥ ـ حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كن النساء المؤمنات يشهدن مع النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر متلفعات بمروطهن، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة، لا يعرفهن أحد من الغلس»[1]. وشبهة هذا الحديث من قول عائشة لا يعرفن من الغلس، فإن مفهومه أنه لولا الغلس لعرفن، ويعرفن عادة من وجوههن، وهي مكشوفة، والجواب عن ذلك: أنه ليس في هذا الحديث حجة لكشف الوجه، بل فيه ما يدل على أن نساء الصحابة رضي الله عنهن كن يغطين وجوههن ويستترن عن نظر الرجال الأجانب، حتى إنه من شدة مبالغتهن في التستر وتغطية الوجوه لا يعرف بعضهن بعضاً، كما جاء في رواية أحمد والبخاري، ولو كن يكشفن وجوههن لعرف بعضهن بعضاً، كما كان الرجال يعرف بعضهم بعضاً، قال أبو برزة: وكان النبي صلى الله عليه وسلم ينفتل من صلاة الغداة حين يعرف الرجل جليسه، متفق عليه، ويؤيد هذا ما روي عن عائشة أنها ذكرت نساء الأنصار، وأنها لما نزلت { وليضربن بخمرهن على جيوبهن } أخذن أزرهن فشققنها فاختمرن بها، وفي رواية لابن أبي حاتم: قامت كل امرأة منهن إلى مرطها فاعتجرت به. فأصبحن وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرات، كأن رؤوسهن الغربان، والاعتجار لف الخمار على الرأس مع تغطية الوجه كما يفهم من كلام ابن الأثير في النهاية.

٦ ـ حديث فاطمة بنت قيس أن زوجها طلقها البته، وفي رواية أخرى ثلاث تطليقات، وهو غائب، فجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فأمرها أن تعتد في بيت أم شريك، ثم قال: تلك المرأة يغشاها أصحابي، اعتدّي عند ابن أم مكتوم، فإنه رجل أعمى، تضعين ثيابك عنده، رواه مالك والشافعي وأحمد ومسلم وأبو داود والنسائي، وشبهتهم في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أقر بنت قيس على أن يراها الرجال، وعليها الخمار، فعن بعض رواياته أن أم شريك امرأة غنية من الأنصار، عظيمة النفقة في سبيل الله ينزل عليها الضيفان، فقالت بنت قيس: سأفعل، قال: لا تفعلي، إن أم شريك كثيرة الضيفان، فإني أكره أن يسقط خمارك، أو ينكشف الثوب عن ساقيك، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، فدل هذا على حد زعمهم أن الوجه منها ليس بواجب ستره، لأن الخمار غطاء الرأس، والجواب عن هذه الشبهة:

أولاً: أن الخمار ما غطي به الرأس والوجه جميعاً، كما نقل عن الحافظ بن حجر، وقال أيضاً في تعريف الخمر: ومنه خمار المرأة لأنه يستر وجهها.

ثانياً: قوله صلى الله عليه وسلم: « فإنك إذا وضعت خمارك لم يرك أي ابن أم مكتوم» وهي في مسلم، ظاهر في إرادة جميع ما يبدو منها من وجه ورأس ورقبة، وهذا يدل على طلب

---

(١) رواه البخاري، مواقيت الصلاة، رقم (٥٤٤).

استتار المرأة عن الرجال الأجانب وتغطية وجهها عنهم، ولو كان الأمر على ما ذهب إليه دعاة كشف الوجه، لقال: فإنك إذا وضعت خمارك لم ير رأسك أو شعرك، ومن المعلوم عند كل عاقل أن الناظر إلى النساء إنما ينظر في الغالب إلى وجوههن إذا لم تكن مستورة.

وأما بالنسبة لأم شريك فهي امرأة من القواعد عظيمة النفقة في سبيل الله كما مر.

وأخيراً: بعد البيان المتقدم يتأكد لنا أن بدن المرأة يجب ستره إذا علمت أن من حولها ممن قد ينظر إليها النظر المحرم الذي نهى الله تعالى ورسوله عنه، بأن يتبع النظرة النظرة أو يتفحصها، ولا تستطيع أن تزيل هذا المنكر إلا بحجب نفسها وبدنها، وعلى هذه الحالة يحمل ما نقله الخطيب الشربيني عن إمام الحرمين من اتفاق المسلمين على منع النساء من الخروج سافرات الوجه[1]، كما صرح بهذا القيد القرطبي فيما نقله عن ابن خويز منداد من أئمة المالكية أن المرأة إذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة فعليها ستر ذلك[2]، وقال صاحب الدر المختار من علماء الحنفية وتمنع المرأة الشابة من كشف الوجه بين الرجال، لا لأنه عورة بل لخوف الفتنة[3]، أما عند الحنابلة فبدن المرأة كله عورة حتى الوجه والكفين[4]. وهكذا فقد ثبت الإجماع عند جميع الأئمة سواء من يرى منهم أن وجه المرأة عورة كالحنابلة ومن يرى منهم أنه غير عورة ـ كالحنفية والمالكية والشافعية ـ أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها عند خوف الفتنة، بأن كان من حولها ينظر إليها بشهوة، أو كان جمالها فاتناً، أو نحو ذلك من دواعي الفتنة وأسبابها.

وأؤكد على أمور لا يختلف فيها اثنان من عقلاء المسلمين:

١ ـ إن ستر الوجه والكفين هو الأفضل والأكمل، ودليل التقوى والاتباع.

٢ ـ إن ذلك الستر يتأكد متى عمت الفتنة وانتشر الفساق وأصبحت المرأة لا تأمن على نفسها من النظرات المريبة.

٣ ـ يتأكد ستر الوجه في حق المرأة الجميلة التي تخشى فتنة الرجال، أو الوجه الذي عليه زينة.

٤ ـ النظر إلى وجه المرأة أو أي موضع من جسمها يحرم متى كان عن ريبة وشهوة.

٥ ـ يجوز للمرأة أن تظهر وجهها في الحالات الآتية:

---

(١) مغني المحتاج للخطيب الشربيني (١٢٩/٣).

(٢) تفسير القرطبي عند الآية (٣١) من سورة النور.

(٣) الدر المختار (٢٨٤/١).

(٤) المغني لابن قدامة (٢٣/٧)، وحاشية الروض المربع في فقه الحنابلة (٢٣٥/٦).

أ. إذا قصد الرجل خطبة المرأة وحصل الاتفاق المبدئي على الزواج.
ب. المعالجة الطبية: فيجوز للمرأة كشف وجهها، أو أي موضع من جسمها عند المعالجة وتقدر الضرورة بقدرها.
ج. الشهادة عند القاضي، كما يجوز للقاضي النظر إلى وجهها لمعرفتها صيانة للحقوق، ومثلها معاملات جواز السفر وأمثالها.
د. التعليم: يجوز للمرأة كشف وجهها أمام من يعلمها ما تحتاج إليه من أمر دينها ودنياها وكان معروفاً بالتقوى، أو ضمن بيئة مأمونة.
هـ. عند الإحرام، ولها الإسدال على وجهها عند قرب الرجال منها.
و. القواعد من النساء.

بعد كل هذا قد يزعم بعضهم أن حجاب المرأة وتغطية وجهها عائقان عن مشاركتها الرجل في النهضة الفكرية والاجتماعية، وأن حبس المرأة نفسها في قفص الحجاب سبب في القضاء على ملكاتها واستعداداتها.

وإنني أؤكد أن هذا مغالطة، والدليل على بطلان ذلك، أن في فتياتنا الجامعيات متحجبات بحجاب الإسلام، وهن متفوقات في دراساتهن، وأسبق إلى النهضة العلمية والثقافية من زميلاتهن المتساهلات أو السافرات،. وإن تاريخنا الإسلامي مليء بالنساء المسلمات الفاضلات اللاتي جمعن بين الإسلام أدباً واحتشاماً وستراً، وبين العلم والثقافة والإبداع وذلك من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، فالحجاب لم يفرض على المسلمة تضييقاً عليها، وإنما كان تشريفاً لها وتكريماً.

ومنهم من يزعم ويقول إن حقيقة العفة كامنة في المرأة، وليست حجاباً يسدل على جسمها، وكم من امرأة ترتدي الحجاب في ظاهرها، وهي منحرفة في سلوكها، وكم من امرأة سافرة لا يعرف الانحراف سبيلاً إلى قلبها أو سلوكها. وهذه مغالطة كبرى، فمن قال بأن الحجاب وحده الذي يصنع العفاف والاستقامة.

إن الذي يصنع الاستقامة والعفاف هو الإيمان والتربية الصحيحة كما قدمت، واللباس صيانة لها، ومحافظة على عفة الرجال الذين قد تقع أبصارهم عليها.

إن شريعة الله تعالى تجعل من الإنسان جوهراً صادقاً، ومظهراً لائقاً يدل على ما في داخله من نفس صادقة.

المصادر والمراجع

أ. القرآن الكريم

ب. التفسير

- تفسير البيضاوي لعبد الله الشيرازي البيضاوي.
- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير.
- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد القرطبي.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري.
- روح المعاني لمحمود الألوسي.

ج. الحديث النبوي

- البداية والنهاية لإسماعيل بن كثير.
- بلوغ المرام لابن حجر.
- التاج الجامع للأصول لمنصور ناصف.
- سبل السلام للصنعاني.
- سنن أبي داود لسليمان بن أشعث السجستاني.
- سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد المعروف بابن ماجه.
- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي.
- سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي.
- صحيح الإمام البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري.
- صحيح الإمام مسلم بشرح محي الدين النووي.
- مختصر سنن أبي داود للحافظ المنذري.
- مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن محمد بن حنبل.
- الموطأ للإمام مالك بن أنس.
- نصب الراية لجمال الدين الزيلعي.

د. الفقه

- الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي.
- الإقناع في فقه الإمام أحمد لموسى الحجاوي المقدسي.
- بداية المجتهد لابن رشد القرطبي.

- بدائع الصنائع لعلاء الدين الكاساني.
- تحفة الطلاب لزكريا الأنصاري.
- تحفة الفقهاء لعلاء الدين السمرقندي.
- الروض المربع لمنصور البهوتي.
- رد المحتار على الدر المختار لمحمد أمين بن عابدين.
- كفاية الأخيار لتقي الدين الحسيني الحصني.
- المبسوط للإمام السرخسي.
- مغني المحتاج شرح المنهاج للشربيني الخطيب.
- المغني والشرح الكبير لموفق الدين وشمس الدين ابني قدامه المقدسي.

هـ. المعاجم اللغوية

- الصحاح للجوهري.
- القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروزابادي.
- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي.
- المعجم الوسيط لإبراهيم أنيس ورفاقه.

و. الثقافة الإسلامية

- أحكام المرأة في الفقه الإسلامي للدكتور أحمد الحجي الكردي.
- أعلام الإسلام لعمر رضا كحالة.
- جاهلية القرن العشرين للأستاذ محمد قطب.
- قولي في المرأة للشيخ مصطفى صبري.
- ماذا عن المرأة للدكتور نور الدين عتر.
- المرأة بين الفقه والقانون للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي.
- معركة التقاليد للأستاذ محمد قطب.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحجاب وأثره في المجتمع

د. محمد عصام مفلح القضاة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه: {ولا يُبْدِينَ زينَتَهُنّ إلاّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا}[النور/٣١] والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد سيد الأخيار الأطهار وعلى آله وصحبه البررة الكرام، ورضي الله عن الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ... أما بعد:

فإن الاحتشام في اللباس والزينة أمر معلوم من أساسيات ديننا الحنيف، وثابت من الثوابت التي جاء بها الشرع الشريف، وهو أمر قد جاء الكتاب والسنة بتفصيله والحديث عنه وجعله الأساس الذي يبنى عليه المجتمع الطاهر النقي من الرعونات والانحرافات، فقال تعالى: {يأَيُّها النّبيُّ قُل لأزواجِكَ وبَنَاتِك ونِسَاءِ المؤمنينَ يُدْنينَ عليهنَّ من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعْرفنَ فَلا يُؤذينَ وكان الله غفورًا رَحِيمًا * لَئِن لَم يَنتهِ المُنافقونَ والذينَ في قلُوبهم مرضٌ والمُرجفونَ في المدينةِ لنُغْرينَّكَ بهم ثُم لا يُجاورونَكَ فيها إلا قَليلاً * ملعونينَ أينمَا ثُقِفُوا أُخِذوا وقُتِّلوا تقتيلا * سُنّةَ اللهِ في الذينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِد لِسُنّةِ الله تَبْدِيلاً}[الأحزاب/٥٩-٦٢]، فبدأ الأمر بأزواج النبي الطاهرات وبناته المكرمات، ونساء المؤمنين العفيفات ليكون هذا الدستور خالدا في كل الأزمان، يطلب من المرأة الستر ومن المتربصين المنافقين الكف عن أذى المتجلببات فهو عنوان طهارتهن وسبيل حفظهن وكرامتهن، كما أنه أمر فطري جبلّي لا يمكن لصاحب مروءة ونخوة وفطرة سليمة كائنا من كان أن يرضى عنه بديلا لنفسه ومن يعول.

فما الاحتشام؟ وما مظاهره؟ وما اللباس الشرعي وما ضوابطه؟ وما مواصفاته وما حدوده؟؟ وما الذي يجوز وما لا يجوز في أمر اللباس والزي ونحوها من المسائل المتعلقة بهذا الجانب؟؟

وسيكون الحديث ضمن المحور الأول وفق النقاط التالية :

١. تعريف الاحتشام
٢. مفهوم العورة، وحدودها لدى الرجل والمرأة
٣. خطر التعري وأثره على المجتمع
٤. اللباس الشرعي للمرأة
٥. نصائح للمرأة المسلمة

معنى الاحتشام

الاحتشام كلمة يراد منها كل ما يدعو المجتمع إلى العفة والطهارة والرقي عن محقرات الأمور، والبعد به عن الرذائل والموبقات، وصون المرأة بالذات عن أعين الناظرين وطمع العابثين وسوء المنافقين، وهو الحكمة التي لأجلها فرض الحجاب، قال تعالى: {ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين} [الأحزاب/٥٩]، وضد الاحتشام إبداء الزينة والتعري وعدم الالتزام بما جاء به الشرع من ثوابت وأحكام، وهو مدخل عظيم من مداخل الشيطان، يخلص من خلاله إلى إفساد المجتمع وبث الرذيلة بين أفراده بدلا من الفضيلة، وهي النتيجة التي تبدو للإنسان منذ اللحظة الأولى التي يتخلى فيها عن منهج الله تعالى: {فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة}[الأعراف /٢٢]، فكان الجزاء من جنس العمل، ومن يومها أخذ الشيطان على نفسه عهدا بإغواء آدم وذريته، وكانت الوسيلة لذلك أن يقعد لهم الصراط المستقيم. ومن يومها جيّش الجيوش وحزب الأحزاب، وجلب الشراك. ورمى الحبائل، وكانت أوثق عرى الصداقة بينه وبين النساء فهن حبائله اللآتي ينفذن الخطط الشيطانيّة بكل دقة ومهارة إلا من رحم ربي، وقد حذر القران من ذلك فقال: {يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم}[الأعراف /٢٧]، قال القرطبي _ رحمه الله_ : "وفي هذا دليل على وجوب ستر العورة لقوله: ينزع عنهما لباسهما، وقال آخرون: إنما فيه تحذير من زوال النعمة، كما نزل بآدم عليه السلام"(١). لكن الله تعالى لم يدع الإنسان وشيطانه ولم يكله لنفسه بل أعطاه الدواء لكل هذه الأدواء وبين له طريق الهداية من تلك الغواية التي توعده بها الشيطان، فقال تعالى: {يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير. ذلك من ءايات الله لعلهم يذكرون}[الأعراف/٢٦]، وفي هذا بيان رباني على وجوب ستر العورة وأن يواري الإنسان سوءته عن أعين الناظرين، قال القرطبي: "ولا خلاف

بين العلماء في وجوب ستر العورة عن أعين الناس ... والريش هو ريش الطائر وهو ما ستره الله به وقيل هو الخصب ورفاهية العيش، والذي عليه أكثر أهل اللغة أن الريش ما ستر من لباس أو معيشة، ولباس التقوى ذلك خير: أي أن التقوى خير لباس، كما قال الشاعر:

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى تقلب عريانا وإن كان كاسيا

وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

ولباس التقوى: قيل الحياء، وقيل العمل الصالح، وقيل السمت الحسن في الوجه، وقيل غير ذلك"(٢).

ومن تحذير القران الكريم للمؤمنين قوله تعالى: { يأيُّها الذين ءامنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر}[النور /٢١]، وقد جاءت هذه الاية الكريمة عقيب الحديث عن حادثة الإفك وما أشاعه المنافقون حول الصدّيقة بنت الصديق الطاهرة المطهرة السيدة عائشة أم المؤمنين _ رضي الله عنها _ التي نزلت براءتهامن السماء، وما قاله المرجفون في حقها وما نالوا من خلاله من بيت النبوة الطاهر الزكي، وبعد تحذير المجتمع المسلم ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وكل ذلك من خطوات الشيطان التي نهى الله تعالى عن اتباعها.

خطر التعري وعدم الاحتشام على المجتمع

إن عدم الالتزام بما شرع الله تعالى يعود وباله على المجتمع ويحصد آثامه من رضي وتابع، ونحن نرى أثر ذلك في المجتمعات المتحلله من أمر الله تعالى، يقول الأستاذ المودودي رحمه الله: "ولا يزال هذا الداء الوبيل _ من غلبة الشهوات البهيمية _ ينخر في كيان الأمم الغربية ويتنقص من قوة حياتها بسرعة هائلة، والتاريخ يشهد أنه ما سرى هذا الداء في مفاصل أمة إلا أوردها موارد التلف والفناء، ذلك بأنه يقتل في الإنسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية لبقائه وتقدمه في الحياة .... وأنّى لهم ولأجيالهم الناشئة أن يجدوا في غمرة هذه المهيجات الجو الهادئ المعتدل الذي لا مندوحة لهم عنه لتنشئة قواهم الفكرية والعقلية، وهم لا يكادون يبلغون الحلم حتى يغتالهم غول الشهوات البهيمية ويستحوذ عليهم "(٣).

وإن الدعوة إلى الاحتشام وعدم التعري والمجاهرة بالمعصية فيه نقاء المجتمع، وبه يتبين المصلح من المفسد، والطيب من الخبيث " فإن المرأة التي تبدي محاسنها وتبرز ما حرم كشفه من جسمها، ولا تستحي من الله تعالى ليست أهلا لأن تكون زوجة حيية صالحة، ولا أماً مربية ناجحة، والتي لا تغار على مفاتن جسمها ومحاسن وجهها تتساهل في عرضها

وشرفها، والتي تخون الحق يسهل عليها أن تخون الخلق، وما سفرت امرأة ولا تبرجت إلا عن مفسدة في نفسها، .. فالتي تملكها شهوة ويوجهها هوى ستكون لشهوتها في كل وقت لا لزوجها، ولهواها في كل حين لا لابنها وبيتها"(٤).

وإن دعوة المفسدين لكشف العورات والتبرج ما هو إلا دعوة لكي تشيع الفاحشة وتفسد الأخلاق وتضيع الأنساب وتموت النخوة والرجولة بين الناس، "وإن النفوس مهما كانت لقسة خبيثة يبقى خبثها في حدودها مالم تجد متنفسا من تمتع بنظرة أو تأمل لمشية أو تبرج لفتنة، أو استماع لكلمة لينة ناعمة. وإن الشيطان ليختلس الخلسة من المؤمن في نظرته ليجره إلى ما وراءها، فإذا سترت العورات ومنع التبرج لم يعد للشر أبواب ونوافذ عريضة مفتوحة يدخل منها الشيطان إلى النفوس ويطمع منها بالإضلال، عن عبد الله بن مسعود _ رضي الله عنه _ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {الإثم حوّاز القلوب، وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع}"(٥).

حدود العورات

العورة في اللغة: الخلل، والسوءة، وكل ما يستحيا منه، وهي سوءة الإنسان، مأخوذة من العور، وهو النقص والعيب والشيء المستقبح، وسميت بذلك لقبح ظهورها، ولغض الأبصار عنها، ومنه عور العين، والكلمة العوراء: القبيحة(٦).

وتطلق العورة على عدة معان، منها: ما يجب ستره في الصلاة، وما يحرم النظر إليه، وعلى كل شيء يستره الإنسان أنفة وحياءً(٧).

وتعرّف في الشرع بأنها: "كل ما حرم الله تعالى كشفه أمام من لا يحل له النظر إليه"(٨).

وقد أمر الله تعالى بستر العورات، وحرم إبداءها للناس وجاء في ذلك أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، كلها تحث على حفظ العورة، من أجمعها ما رواه بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: " قلت يا رسول الله: عوراتنا ما نأتي منها وما نذر؟ قال: احفظ عورتك إلا من من زوجك أو ما ملكت يمينك، قلت يا رسول الله: فالرجل يكون مع الرجل؟ قال: إن استطعت ألا يراها أحد فافعل، قلت: الرجل يكون خالياً؟ قال: فالله أحق أن يُستحيا منه"(٩) ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد}(١٠)، فإذا كان التوجيه النبوي أن لا ينظر كل جنس إلى جنسه فمن باب أولى أن لا ينظر الرجال والنساء بعضهم إلى بعض، فما هو حد العورة التي ينبغي لكل واحد أن يحفظها عن غيره؟

تنقسم مسائل العورة إلى أربعة أقسام:

- عورة الرجل مع الرجل: سواء كان قريبا أم بعيدا، فالعورة بينهم هي ما بين السرة والركبة؛ والركبة جزء منها. لما ورد في ذلك من الأحاديث.
- عورة الرجل مع المرأة: فإن كانت زوجته فلا عورة بين الزوج وزوجه للحديث الوارد في ذلك، {احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك}(١١)، وإن كانت غير الزوجة قريبة كانت أم أجنبية فكعورة الرجل مع الرجل، _ أي يحل لهن النظر إليه لما عدا ما بين السرة والركبة _ ما لم تكن ثمة فتنة أو نظر بشهوة فعندها يحرم النظر .
- عورة المرأة مع المرأة؛ فإن كانت مسلمة؛ قريبة أم بعيدة فلهن النظر لما عدا ما بين السرة والركبة، وإن كانت كافرة فهي كالرجل الأجنبي بالنسبة للمرأة لا يحل للمسلمة أن تتكشف بين يديها إلا لضرورة فترى منها الوجه والكفين فقط(١٢).
- عورة المرأة مع الرجل؛ وهو أهم مباحث الباب، الذي من أجله شرع الحجاب، ولأجله حذر الله نساء المؤمنين أن يتبرجن ويخرجن بزينتهن حتى يراهن الرجال، لكن هنا تفصيل بالنسبة للرجل الناظر، فإن كان زوجا فلا عورة بين الزوج وزوجه، كما سبق الحديث في ذلك، وإن كان محرما فله أن يرى من محارمه النساء ما فوق الصدر وما تحت الركبة مع أمن الفتنة، وعورة المرأة من قريبها غير المحرم والأجنبي، كل جسدها ما عدا الوجه والكفين(١٣).

لباس المرأة وزينتها

مما سبق يتضح أن على المرأة ستر جميع جسدها عن أعين الناظرين بساتر معتبر شرعا، له شروطه وضوابطه، وقد جاءت الآيات الكريمات دالة على ذلك منها قوله تعالى : {ولا يبدين زينتهن إلّا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن} [النور/٣١] .قال في التنوير: "الزينةما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو ثوب أو صبغ، فما كان منها ظاهرا كالخاتم والكحل والصبغ فلا بأس بإبدائه للأجانب؛ بشرط الأمن من الشهوة، وما خفي منها كالسوار والوشاح والقرط فلا يحل لها إبداؤها إلا للمذكورات فيما بعد... والخمر جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها ويسترها وما ليس بهذه الصفة فليس بخمار، والمعنى: وليلقين مقانعهن على جيوبهن ليسترن بذلك شعورهن وقروطهن وأعناقهن عن الأجانب، وفيه دليل على أن صدر المرأة ونحرها عورة لا يجوز للأجنبي النظر إليها... وقال أبو الليث: لا يظهرن مواضع زينتهن وهو الصدر والساق والساعد والرأس، لأن الصدر موضع الوشاح، والساق موضع الخلخال، والساعد موضع السوار والرأس موضع الإكليل، فقد ذكر الزينة وأراد موضعها"(١٤).

وهـذا الذي ذهب إليه البروسوي وأبو الليث رأي في بيان ظاهر الزينة التي أباح الله تعالى للمـرأة إبداءه، لكن لا بد لهذا الأمر من قيود، ولا بد لزينة المرأة من ضوابط وشروط حتى تكون مـوافقة للشـرع فـيما تأتـي وما تذر، ولهذا وضع العلماء شروطا ومواصفات للباس الشرعي لا بد من تحققها حتى يكون اللباس شرعيا، فما هي مواصفات اللباس الشرعي ؟

و في هـذا السـياق مصـطلحات لا بـد من تعريفها وبيان المقصود منها، فمن ذلك: الحجاب، الجلباب، النقاب، الخمار، وإليك معاني هذه المصطلحات(١٥).

- الحجاب: في اللغة هو الستر، حجب الشيء يحجبـه حجبا وحجابا وحجّبه: ستره، وتحجّـب اكتنّ من وراء حجاب، وكل ما حال بين شيئين: حجاب، والجمع حُجُب. وفي الاصـطلاح :لـباس شرعي سابغ تستتر به المرأة المسلمة ليمنع الرجال الأجانب من رؤية شيء من بدنها.
- الجلـباب: في اللغـة القمـيص، وهو ثوب أوسع من الخمار دون الرداء، تغطي به المرأة رأسـها وصـدرها، وقـيل هـو مـا تغطـي بـه المـرأة الثـياب من فوق كالملحفة. وقال ابن الأعرابـي: الجلـباب الإزار. وفي الاصـطلاح :المـلاءة التي تلتحف بها المرأة فوق ثيابها تستر جميع بدنها وملابسها.
- الـنقاب: لغـة: القـناع علـى مارن الأنف، والجمع نُقُب، وهو على وجوه، فإذا أدنت المرأة نقابها إلى عينيها فتلك الوصوصة، فإذا أنزلته دون ذلك إلى المحجر فهو النقاب، فـإذا كـان علـى طـرف الأنـف فهو اللفام. وفي الاصطلاح: هو الخمار الذي تشده المرأة على الأنف أو تحت المحاجر، تستر به وجهها ولا يبدو منه إلا عينيها.
- الخمـار: لغة: ما تغطي به المرأة رأسها، وجمعه أخمرة وخُمْر وخُمُر ،وكل ما ستر شيئا فهو خماره. وفي الاصطلاح: هو ما تغطي به المرأة رأسها ووجهها، تستتر به عن أعين الرجال.

مواصفات حجاب المرأة

لحجا ب المرأة مواصفات لا بد منها حتى يكون شرعيا، وأبرز هذه المواصفات ما يلي:

١. اسـتيعاب جمـيع الـبدن إلا مـا اسـتثني؛ فإذا علمنا أن جميع بدن الحرة عورة وجب ستره وستر زينته التي تزينت بها المرأة، واستثني من ذلك: ما ظهر منها، وسبق الحديث عن طرف منه وهو ما ظهر من غير قصد، فلا تؤاخذ عليه، إذا بادرت بستره. قال ابن كثير: "أي لا يظهـرن شيئا من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه كالرداء والثياب وما يبدو من أسافل الثـياب فـلا حرج عليها فيه لأن هذا لا يمكن إخفاؤه، كما أن العلماء قد جعلوا الوجه والكفين

وما فيهما من خاتم وكحل دون سواه من الأصباغ والألوان من ظاهر الزينة، فيجوز إظهاره عند أمن الفتنة، وللأحاديث الواردة في جواز إظهاره وهي كثيرة يضيق المكان عن ذكرها هنا"، ويثبت بذلك أن الوجه ليس بعورة يجب سترها وهو مذهب أكثر أهل العلم، كما قال ابن رشد في البداية [٨٩/١]، ومنهم أبو حنيفة ومالك والشافعي ورواية عن أحمد كما في المجموع [٣/ ١٦٩]، وحكاه الطحاوي في شرح المعاني [٩/٢] عن صاحبي أبي حنيفة أيضا وجزم في "المهمات" من كتب الشافعية أنه الصواب كما ذكره الشيخ الشربيني في الإقناع [١١٠/٢]، لكن ينبغي تقييد ذلك كله بما إذا لم يكن على الوجه وكذا الكفين شيء من الزينة لعموم قوله تعالى: {ولا يبدين زينتهن} وإلا وجب ستر ذلك"(١٦).

٢. أن لا يكون زينة في نفسه: وذلك لقوله تعالى {ولا يبدين زينتهن} أي لا يظهرن زينتهن التي يتزينّ بها لغير ما أبيح إظهار ذلك لهم، ممن نصت عليه الآية الكريمة، ومما يشهد لذلك قوله تعالى {وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى} [الأحزاب/٣٣]، "والتبرج أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها وما يجب عليها ستره مما تستدعي به شهوة الرجال"(١٧)، وإذا نظرنا إلى الحجاب والمقصود منه رأينا أنه إنما وجد لستر العورة وإخفاء الزينة فلا يعقل أن يكون هو بذاته زينة، قال في كتاب الكبائر: "ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ تحت النقاب وتطييبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت، ولبسها الصباغات والأزر الحريرية والأقبية القصار... وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة"(١٨).

٣. أن يكون ثخينا لا يشف عما تحته، صفيقا لا يرى ما وراءه من الزينة، لأن اللباس الشفاف يزيد المرأة زينة وفتنة وهو ما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم، بقوله : {سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت، العنوهن فإنهن ملعونات} ، قال ابن عبد البر "أراد صلى الله عليه وسلم النساء اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر، فهن كاسيات بالاسم عاريات في الحقيقة"، وقالت عائشة رضي الله عنها: "إنما الخمار ما وارى البشرة والشعر"(١٩).

٤. أن يكون فضفاضا غير ضيق فيصف شيئا من جسمها، وذلك أن الثوب الضيق حتى لو ستر لون البشرة فإنه يصف العورة ويصورها في أعين الرجال، وفي ذلك من الفساد ما لا يخفى، فيجب على المرأة أن تستر بدنها بثوب لا يصفه، وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تحدد لباس المرأة في الصلاة فتقول: " لا بد للمرأة من ثلاثة أثواب تصلي فيها: درع وجلباب وخمار " فإذا كان ذلك في الصلاة فهو في خارج الصلاة أولى وأجدر .

٥. أن لا يكون مبخرا ولا مطيبا، لعموم النهي الوارد عن أن تخرج المرأة من بيتها متعطرة متطيبة، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم {أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية}(٢٠) ،وقوله صلى الله عليه وسلم: {أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة}(٢١)، وغير ذلك من الأحاديث التي تنهى المرأة أن تتطيب وتتبخر ثم تخرج من بيتها على هيأتها تلك. وسبب المنع ما فيه من تحريك دواعي الشهوة لدى الرجال الذي هو باب الفاحشة وعمل المنكرات. فسده سد باب عظيم من أبواب الفاحشة ودرؤه درء لمفسدة عظيمة، وسد لذريعة الفاحشة وما يوصل إليها.

٦. أن لا يشبه لباس الرجال وذلك لما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال"(٢٢) قال ابن تيمية رحمه الله: "نهي كل من الرجال والنساء عن مشابهة الصنف الآخر، والرجل المتشبه بالنساء يكتسب من أخلاقهن بحسب تشبهه، والمرأة المتشبهة بالرجال تكتسب من أخلاقهم حتى يصير فيها من التبرج والبروز ومشابهة الرجال ما قد يفضي ببعضهن إلى أن تظهر بدنها كما يظهره الرجال وتفعل من الأفعال ما ينافي الحياء.. وهذا القدر قد يحصل بمجرد المشابهة"(٢٣).

٧. أن لا يشبه لباس الكافرات، فاللباس هويّة لابسه، به يعرف ومن خلاله يحكم عليه ماهو ومن يكون، فعلى المسلمة أن تكون مستقلة بشخصيتها، ولا تحاكي ما يبدينه من موضات، فيكون لها شخصيتها المستقلة ونمط حياتها الذي تعرف به وصدق الله العظيم {ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون} [الجاثية/١٨].

٨. أن لا يكون لباس شهرة، لقوله صلى الله عليه وسلم { من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهب فيه نارا}(٢٤)، والمراد بثوب الشهرة كما فسره العلماء أنه ثوب يشتهر بين الناس لمخالفته ألوان ثيابهم فيرفع الناس إليه أصارهم تعظيما له ويختال عليهم كبرا وعجبا، ويدخل ضمن هذا الشرط أن لا تتباهى المرأة بلباسها ويحصل لديها العُجب والترفع والكبر على من هي دونها، فلا حرج أن تلبس المرأة ثوبا حسنا جميلا مستوفيا للشروط السالفة لكن على أن لايقودها ذلك للكبر الذي هو غمط الحق وبطر الناس.

نصائح للمرأة المسلمة

بعد الحكم الشرعي تكون الوصية بالمعروف، وبيان ما ينبغي أن تصارح به المرأة نفسها فيما تأتي وما تذر، فهي أمة الله تعالى تصدر عن أمره وتنصاع لهديه، لاعذر لها في ترك ما طلب منها أو الإنحراف عما جاءت به الشريعة تكريما لها وصيانة لعرضها ، فما شرع الله

الحجاب إلا صيانة لكرامتها ومراعاة لأنوثتها ورفعة لشأنها، فقد جاء الإسلام بكل ما يحقق للمرأة العزة والكرامة ونفى عنها كل ما من شأنه أن يضع من منزلتها أو ينال من حيائها وكرامتها، فلتثقي بدينك ولتستشعري بالعزة وأنت ترتدين الحجاب لأنك به ترضين ربك وتسخطين شيطانك، وإنه والله لهو الخير لك في دنياك وأخراك، وكوني حفيدة أولئك الماجدات، وتصفحي تاريخ أمتنا لتجدي للمرأة المسلمة دورا بارزا وتقرأي فيها صورا مشرقة للعظمة الروحية والعناية بالقيم المعنوية، فللنساء المسلمات مجد عريق وماض تليد، حُق للمرأة في هذا الزمان أن تفخر به لا بما عليه المتبرجات من التقليد الأعمى للشرق أو للغرب دونما رادع من خلق أو قيم أو فضيلة، "ألا فتيقني يا أختاه أن التبرج هادم لكل الحسنات، بل وهادم لحقيقة الإسلام وهو إثم من أكبر الآثام، ففكري أيتها السيدة كم مرة أتيت هذا الأمر الكبير، وكم أظهرت من عورة، وكم هتكت من حرمة، وكم أيقظت من فتنة، وكم من عين شرهة التهمت لحمك وتمتعت بجمالك؟ وكم من نفس مجرمة تشوقت لوصالك؟؟ .... إن الحسنات يذهبن السيئات مع الندم والتوبة، أما مع الإصرار على المعصية، والجرأة والاستهتار بالسيئات فإن السيئات عندئذن هي التي تذهب بالحسنات وتحرقها حرقا ... إن الاحتشام لا يمنع الأناقة ولا يدعو إلى التهكم بل قد يكون التبرج أدعى إلى السخرية، وبعيدا عن الأناقة، وقد يكون الاحتشام في أناقة لا يمكن للتبرج أن يجاريها .... ومما يدهش له أن تزدري المتبرجةُ المسلمةَ المحتشمةَ، كأن قيمة المرأة بأصباغها وطول مخالبها لا بكمال عقلها وتقواها وأدبها. فتسخر الطائشة المقلدة لنساء باريس المتهتكات من التقية المتبعة لنساء النبي والمؤمنات، فهل بلغ حد الكفر والجهل في عصرنا أن يضحك الباطل من الحق والجنون من العقل. والفسق من التقوى والتهتك من التعفف؟؟!"(٢٥).

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه إنه سميع مجيب الدعاء والحمد لله رب العالمين.

الهوامش

(١) تفسير القرطبي.
(٢) المصدر السابق.
(٣) كتاب الحجاب للمودودي.
(٤) حكم العورة في الإسلام محمد بشير الشقفة/١٨.
(٥) رواه البيهقي وغيره.

(٦) القاموس المحيط.
(٧) اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية / د.محمد عبد العزيز عمرو /٤٥.
(٨) حكم العورة في الإسلام /٨.
(٩) متفق عليه.
(١٠) رواه مسلم وأبو داود والترمذي.
(١١) هو بعض حديث بهز بن حكيم السابق.
(١٢) أنظر / حكم العورة في الإسلام ٥٩.
(١٣) السابق/٧٦.
(١٤) تنوير الأذهان / للبروسوري تحقيق الصابوني ٥٨/٣.
(١٥) انظر كتاب حجاب المسلمة / محمد فؤاد البرازي /٣٣-٣٧ بتصرف، ولسان العرب.
(١٦) حجاب المرأة المسلمة / محمد ناصر الدين الألباني /٢٥ — وما بعدها.
(١٧) فتح البيان ٢٧٤/٧، عن كتاب الحجاب للألباني /٥٤.
(١٨) كتاب الكبائر للذهبي /١٣١.
(١٩) حجاب المرأة المسلمة للألباني /٥٦.
(٢٠) رواه النسائي والترمذي وحسنه.
(٢١) رواه مسلم.
(٢٢) رواه البخاري.
(٢٣) حجاب المرأة المسلمة للألباني /٧٧.
(٢٤) رواه أبو داود ١٧٤/٢.
(٢٥) رسالة التبرج/ نعمت صدقي ٣٧-٣٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

مسؤولية الراعي والرعية في تطبيق الاحتشام

د. سعيد بن عبد الرحمن بن موسى القزقي
أستاذ مشارك في الحديث وعلومه
قسم الشريعة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الشارقة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فقد جاء الإسلام بتعاليم وأحكام تعنى بشؤون المجتمع بعامة، وبشؤون الأسرة بخاصة، وكذلك بتوجيه الأمة إلى الآداب الإسلامية، والسلوك القويم الذي ينبغي أن يربى عليه المسلمون، أفراداً وجماعات في حياتهم العامة والخاصة كي يبقى المجتمع الإسلامي بعيداً عن المخالفات الشرعية، نظيفاً طاهراً من الآفات الاجتماعية، والانحرافات الخلقية التي تعمل على تقويضه، وإضعافه أمام أعدائه ضعفاً يؤذن بهبوب رياح التغيير التي تعصف به.

وإن المتتبع لأحوال الدول قوةً وضعفاً يرى أن من أهم عوامل ضعفها وسقوطها هو انحطاط أخلاقها، وتردي قيمها. واضطراب أحوالها بسبب الأهواء، والمذاهب المضلة.

قال الشاعر: فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

كما علم تاريخياً أن التبذل والاختلاط من أعظم أسباب انهيار الحضارات.

ولما كان إظهار الزينة، والنظر إلى النساء الأجنبيات هو السبيل إلى الفاحشة والرذيلة، وطريقٌ إلى الفتنة حَرَّم الإسلام على المرأة المؤمنة التكشف والتَّعري، وإظهار الزينة للأجانب كما حَرَّم الإسلام على الرجال النظر إلى النساء من غير المحارم، لأن النظرة تزرع في القلب الشهوة[1].

---

(١) قبس من نور القرآن الكريم: ٣٧/٥.

وفي ذلك يقول الله تعالى: **[قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون]** [النور ٣٠، ٣١].

فهاتان الآيتان تشكلان القاعدة الأساسية في الحفاظ على الأسرة المسلمة والبيت المسلم ليبقى محتشماً، عفيفاً مستقيماً على درب الهدى، والصلاح والطهر. وقد أفادت الآيتان ما يلي:

أولاً : وجوب غض البصر؛ من الذكور والإناث جميعاً.

ثانياً : وجوب حفظ الفروج.

ثالثاً : تحريم إبداء الزينة إلا ما ظهر منها.

رابعاً : وجوب ضرب الخمار على الجيوب.

خامساً : تحريم الضرب بالأرجل ليُعلم ما يخفين من زينتهن.

كل هذه الأمور أحاط الإسلام بها الأسرة المسلمة ليحافظ عليها، عفةً وطهراً، وبعداً عن الرذائل، وهي كل لا يتجزأ، وقضايا أساسية مترابطة ومتشابكة تشكل الإطار العام لآداب الإسلام التي ينبغي للأسرة المسلمة — النواة الأولى لبناء المجتمع — أن تلتزم بها لتبقى قويةً متماسكة.

وأوضح باختصار المراد مما سبق:

أولاً: وجوب غض البصر من الجنسين، ذكوراً وإناثاً — كما قلت — لأن النظرة تحرك الشهوة، ورب شهوة أورثت حزناً طويلاً. وما أحسن قول الشاعر:

كلُّ الحوادث مبداها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشَّرَر

كم نظرة فتلت في قلب صاحبها ... فتكَ السهام بلا قوس ولا وتر

يَسُرُّ مقلتَه ما ضَرَّ مُهجتَه ... لا مرحباً بسرور جاء بالضرر[1]

فالنظرة العابرة غير المقصودة ليس فيها إثم، كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم، لعلي رضي الله عنه: "يا علي! لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة"[2].

---

(١) نقلاً عن قبس من نور القرآن الكريم: ٥/٣٨.

(٢) الحديث أخرجه أبو داوود في سننه ص: ٣٣٠، كتاب النكاح / باب ما يؤمر به من غض البصر ح رقم (٢١٤٩) والترمذي في سننه في الآداب حديث رقم (٢٧٧٧).

ثانياً: وجوب حفظ الفروج من الرجال والنساء على حد سواء لقوله تعالى: **[ويحفظوا فروجهم]** ولقوله تعالى: **[ويحفظن فروجهن]** وما ذلك إلا لعظم فاحشة الزنى، فغضٌّ البصر وحفظ الفرج أزكى للمؤمنين في الدنيا والآخرة، وأبعد من الوقوع في هذه الفاحشة بل الرذيلة.

ثالثاً: تحريم إبداء الزينة للرجال إلا المحارم الذين ذكرتهم الآية الكريمة وهم الآباء، وآباء الأزواج، والأبناء، وأبناء الأزواج من امرأة أخرى، والأخوة، وأبناء الأخوة، وأبناء الأخوات، ويدخل في الآباء: الأجداد، والأعمام، والأخوال، وهؤلاء جميعاً: من المحارم الذين يحرم الزواج بهم، وأخيراً الأزواج، وهؤلاء يباح لهم النظر والاستمتاع بجميع جسد المرأة. وأما غيرهم من المحارم من الرجال فيجوز لهم النظر إلى ما تبدي النساء من زينتهن بنص الآية، وكذلك استثنت الآية فريقاً ممن لا تقع منهم الفتنة، فلم يوجب على المسلمة الاحتجاب من النساء المسلمات، أو الإماء المشركات، أو البُله والحمقى، والمتغفلين من الرجال الذين لا يدركون من أمور الجنس شيئاً، وكذلك الأطفال الصغار الذين لم يبلغوا حد الشهوة، وإلى هذا تشير الآية: **[أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الأربة من الرجال]** [النور: ٣١].

وتحريم إبداء الزينة يستلزم ضرورة ستر ما تتزين به المرأة خارجاً عن أصل خلقتها، وبتعبير آخر الزينة المكتسبة، فإذا حرم عليها إظهار الزينة فمكانها كالذراع والنحر والصدر والعين يكون محرماً من باب أولى. والمعنى: ولا يكشفن زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها اضطراراً، لا اختياراً، بدون قصد ولا نية سيئة، كأن تهب الريح مثلاً فينكشف بعض ما تتحلى به من الزينة. وفسر ابن مسعود الزينة بأنها الظاهر من الثياب، أي لا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه كالرداء والثياب. قال: والزينة زينتان: فزينة لا يراها إلا الزوج؛ الخاتم والسوار، وزينة يراها الأجانب وهي الظاهر من الثياب[1]. وقيل: المراد به الوجه والكفان. قال البيضاوي: الأظهر أن هذا في الصلاة لا في النظر، فإن كل بدن الحرة عورة، لا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة[2].

رابعاً: وجوب ضرب الخمار على الجيوب لقوله تعالى: [وليضربن بخمرهن على جيوبهن] [النور آية: ٣١]، والخُمُر: جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها ووجهها وعنقها وجيبها، وزينتها المكتسبة من ثوب وحلي ونحوها عن الرجال الأجانب. والجيوب جمع جيب، وهو الصدر.. ويشترط لهذا الخمار أن لا يكون رقيقاً، يشف ما تحته من شعرها ووجهها، وعنقها، ونحرها، وصدرها، وموضع قرطها.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣/٢٩٤.

(٢) تفسير البيضاوي: ٢/٥٨.

عن علقمة بن أبي علقمة، عن أمه أنها قالت: "دخلت حفصة ابنة عبد الرحمن — هو ابن أبي بكر — على عائشة. وعلى حفصة خمارٌ رقيقٌ، فشقته عائشةُ، وكستها خماراً كثيفاً"[1].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "يرحم الله نساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله [**وليضربن بخمرهن على جيوبهن**] شققن مروطهن فإختمرن بها"[2].

واتفق المسلمون على هذا العمل الذي يحقق مقاصدهم في بناء صرح العفة والطهارة والحشمة والحياء والغيرة فمنعوا النساء من الخروج سافرات الوجوه حاسرات عن شيء من أبدانهن وزينتهن. من صدر الإسلام، وعصور الصحابة والتابعين لهم بإحسان، فلزوم النساء بيوتهن فلا يخرجن إلا لضرورة أو حاجة، وعدم خروجهن أمام الرجال إلا متحجبات غير سافرات الوجوه ولا حاسرات عن شيء من الأبدان ولا متبرجات لزينة عليه الإجماع الذي نُقل عن جمع من الأئمة منهم: الحافظ ابن عبد البر، والإمام النووي، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم، واستمر العمل عليه إلى أن تفككت الدولة الإسلامية في أوائل القرن الرابع عشر الهجري[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية — رحمه الله تعالى في تعليل فرض الحجاب على النساء: "لأن المرأة يجب أن تصان وتحفظ بما لا يجب مثله في الرجل، ولهذا خصت بالاحتجاب وترك إبداء الزينة، وترك التبرج، فيجب في حقه الاستتار باللباس والبيوت ما لا يجب في حق الرجل، لأن ظهورها للرجال سبب الفتنة، والرجال قوامون عليهن"[4].

وقال الحافظ ابن حجر: "لم تزل عادة النساء قديماً وحديثاً أن يسترن وجوههن عن الأجانب"[5] أ هـ.

وكذلك يجب لبس الجلباب وهو اللباس الواسع الذي يغطي جميع البدن من أعلى رأسها ممتداً إلى ستر قدميها لقوله تعالى: [**يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساءِ المؤمنينِ يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً**]. [الأحزاب: ٥٩]. قال السيوطي رحمه الله: "هذه آية الحجاب في حق سائر النساء، ففيها وجوب ستر الرأس والوجه عليهن"[6].

---

(١) أخرجه الإمام مالك في الموطأ: ص ٤٩٢، في باب ما جاء في لبس الخزّ وما يكره للنساء لبسه من الثياب.

(٢) رواه البخاري في صحيحه: ٤٩٠/٨. كتاب التفسير / باب "وليضربن بخمرهن على جيوبهن" (٢) ح رقم ٤٧٥٨

(٣) أنظر: حراسة الفضيلة: ص ٣٧، ٣٨ (بتصرف)

(٤) الفتاوى لإبن تيمية: ٢٩٧/١٥.

(٥) فتح الباري: ٢٢٤/٩.

(٦) نقلا عن: حراسة الفضيلة: ص ٥١.

خامساً: تحريم الضرب بالأرجل ليعلم ما يخفين من زينتهن، مأخوذ من قوله تعالى: **[ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم ما يخفين من زينتهن]** [النور: آية ٣١] فالنهي حفاظاً على كرامة المسلمة لئلا يسمع الرجال صوت الخلخال (الزينة غير الظاهرة) فيطمع الذي في قلبه مرض.

قال ابن كثير[١]: كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق، وفي رجلها خلخال صامتٌ، لا يُعلم صوته، ضربت برجلها الأرض، فتسمع الرجال طنينه فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك بقوله سبحانه وتعالى: **[ولا يضربن بأرجلهن ليُعلم ما يخفين من زينتهن]** [النور: آية ٣١].

قال: وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستوراً، فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي، دخل في هذا النهي، ومن ذلك أيضاً أنها نُهيت عن التعطر والتطيب، عند خروجها من بيتها، ليشم الرجال طيبها، فقد قال النبي، صلى الله عليه وسلم: "كل عين زانية والمرأة إذا استعطرت، فمرت بالمجلس، فهي كذا وكذا يعني: زانية"[٢].

وعن أبو هريرة رضي الله عنه، أنه لقي امرأةً شَمَّ منها ريح الطيب ينفح، ولذيلها إعصار، فقال: يا أَمَةَ الجَبَّار ! جئتِ من المسجد ؟ قالت: نعم، قال: وَلَهُ تطيبت ! قالت: نعم، قال: إني سمعت حِبِّي أبا القاسم، صلى الله عليه وسلم، يقول: "لا تقبلُ صلاةٌ لامرأةٍ تطيبت لهذا المسجد حتى ترجع لتغتسل غسلها من الجنابة"[٣].

ولا يفوتني أن أذكر في هذا المقام قول الله تعالى: **[ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى]** [الأحزاب: آية ٣٣]. إذ في هذه الآية الكريمة نهي صريح — والنهي يفيد التحريم — لنساء المؤمنين عن تبرج الجاهلية بكثرة الخروج، وبالخروج متجملات متطيبات، سافرات الوجوه، حاسرات عن المحاسن والزينة التي أمر الله بسترها، وهذا النهي لما في كثرة الخروج، أو الخروج مع السفور من الفساد العظيم والفتنة الكبيرة، وهو أمر يتنافى مع الحشمة والأدب.

واختتم الله آية الحجاب بقوله سبحانه: **[وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون]** [النور: آية ٣١]. للتنبيه على ضرورة التقيد بآداب الإسلام، والتمسك بأوامر الله، والتوبة والإنابة إلى الله، عز وجل، لينال المؤمن سعادة الدنيا والآخرة[٤].

---

(١) في تفسيره: ٣/٢٩٦.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: في كتاب الأدب. ح رقم ٢٧٨٦ من رواية أبي موسى واللفظ للترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه أبو داوود في سننه: ص ٦٣١ في كتاب الترجل / باب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج ح رقم ٤١٧٣ عن أبي موسى. عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي كذا وكذا". قال قولاً شديداً.

(٣) أخرجه أبو داوود في سننه: ٦٣٢ في كتاب الترجل / باب في المرأة تتطيب للخروج. ح رقم ٤١٧٤. وابن ماجه في سننه: ٢/ ١٣٢٦. كتاب فتنة النساء. ح رقم (٤٠٠٢) وأخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢/٢٤٦، ٢٩٧، ٣٦٥، ٤٤٤، ٤٦١. وزاد أبو داوود: الإعصار: غبار.

(٤) أنظر: قبس من نور القرآن الكريم: ٥/٤٣.

فهذه أحكام شرع الله التي يتحقق بها مقصد الشارع من الستر والعفاف والحياء والحشمة، وغض البصر، وحفظ الفرج، وطهارة قلوب الرجال والنِّساء، وقطع الأطماع في المرأة، وهو ابعد عن الريبة وأسباب الفساد والفتنة. وهي واجبة على كل مكلف؛ مؤمناً كان أم مؤمنة، فاتباعها واجب، وتطبيقها واجب، والالتزام بها دين، والتفريط بها خروج عن دين الله يستوجب العقوبة، وهي مسؤولية المجتمع المسلم، كل حسب مكانته ووظيفته في المجتمع ودوره في المسؤولية، فلا يخلو فرد في المجتمع المسلم من مسؤولية، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في صحيحه[1]: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: **"ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الأعظم الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راعٍ على مال سيده، وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته"**.

فالحديث حدد مسؤولية الراعي والرعية وبين مسؤولية كل فرد في المجتمع المسلم بما يتناسب مع وضعه الوظيفي أو الاجتماعي، وسأقصر الحديث على ما يتعلق بموضوعنا "الاحتشام". والمسؤوليات هي:

أولاً: رعاية الإمام الذي على الناس، أي: الإمام الأعظم، ورعايته حياطة الشريعة في إقامة الحدود، والعدل في الحكم، والقيام بمصالحه.

وقد بين ابن القيم – رحمه الله – في الطرق الحكمية[2] واجب الراعي تجاه رعيته فيما يتعلق بالآداب والحشمة، قال: فصل: ومن ذلك أن ولي الأمر يجب عليه أن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء في الأسواق والفُرج، ومجامع الرجال.

فالإمام مسؤول عن ذلك. والفتنة به عظيمة، قال صلى الله عليه وسلم: **"ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء"**[3]. وفي حديث آخر أنه صلى الله عليه وسلم قال للنساء: **"عليكن بحافات الطريق"**[4].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١٢/١٣. كتاب الأحكام / باب (١) رقم ٧١٣٨.

(٢) ص ٣٢٤ – ٣٢٦.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه: ١٠٣/٥. كتاب الأدب (٤٤) باب ما جاء في تحذير فتنة النساء (٢١) ح رقم (٢٧٨٠) عن أسامة بن زيد، وسعيد بن زيد بن عمرو بن فضل عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "ما تركت....... الحديث". وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. واللفظ له. وأخرجه ابن ماجه في سننه: ١٣٢٥/٢. كتاب الفتن / باب فتنة النساء (١٩) ح رقم (٣٩٩٨)، عن أسامة بن زيد. قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أدعُ بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء".

(٤) الحديث أخرجه أبو داوود في سننه: ص ٧٩٣. كتاب الأدب / باب في مشي النساء مع الرجال في الطريق (١٨٠) ح رقم (٥٢٧٢) عن حمزة بن ابي أسيد، عن أبيه، أنه سمع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقول وهو خارج من المسجد، فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، للنساء: "استأخرن، فإنه ليس لكن ان تحققن الطريق، عليكن بحافات الطريق". فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به.

ويجب عليه منع النساء من الخروج متزينات، متجملات، ومنعهن من الثياب التي يكنَّ بها كاسيات عاريات، كالثياب الواسعة والرقاق، ومنعهن من حديث الرجال في الطرقات، ومنع الرجال من ذلك.

وإن رأى ولي الأمر أن يفسد على المرأة – إذا تجملت وتزينت وخرجت – ثيابها بحبر ونحوه، فقد رخَّص في ذلك بعض الفقهاء، وأصاب، وهذا من أدنى عقوبتهن المالية.

وله أن يحبس المرأة إذا أكثرت الخروج من منزلها، ولا سيما إذا خرجت متجملة، بل إقرار النساء على ذلك إعانة لهن على الإثم والمعصية، والله سائل ولي الأمر عن ذلك.

وقد منع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، النساء من المشي في طريق الرجال والاختلاط بهم في الطريق. فعلى ولي الأمر أن يقتدي به في ذلك.

وقال الخلال في جامعه[1]: أخبرني محمد بن يحيى الكحال: أنه قال لأبي عبد الله" أرى الرجل السوء مع المرأة؟ قال: صِحْ به، وقد أخبرني النبي، صلى الله عليه وسلم: "أن المرأة إذا تطيبت وخرجت من بيتها فهي زانية"[2].

ويَمنعُ المرأَة إذا أصابت بخوراً أن تشهد عشاء الآخرة في المسجد، فعن أبي هريرة، قال، قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا عشاء الآخرة"[3].

وكذلك حذر الرسول، صلى الله عليه وسلم، المرأة من الخروج دونما حاجة لأنها إذا خرجت استشرفها الشيطان. فعن عبد الله، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: "المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان"[4].

ولا ريب أن تمكين النساء من الاختلاط بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة، كما أنه من أسباب فساد أمور العامة والخاصة. واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش والزنا، وهو من أسباب الموت العام، والطواعين المتصلة.

---

(١) قول الخلال هذا منقول مع نص ابن القيم من كتاب حراسة الفضيلة: ص ١٠٠.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: ١٠٦/٥. كتاب الأدب / باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة (٣٥) ح رقم (٢٧٨٦) بلفظ "كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا، يعني: زانية". وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بشرح النووي: ٣٠٩٨/٢. كتاب الصلاة / باب خروج النساء إلى المساجد. ح رقم (١٤٣). الحديث أخرجه أبو داوود في سننه: ص ٦٣١. كتاب الترجل / باب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج (٧) ح رقم (٤١٧٥). بلفظ: "فلا تشهدن معنا العشاء". قال ابن نُفيل: "عشاء الآخرة". وفي رواية لمسلم في الكتاب والباب المذكورين آنفاً. ح رقم (١٤١) "إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تتطيب تلك الليلة". وفي رواية له أيضاً ح رقم (١٤٢) بلفظ قال لنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً".

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في سننه: ٤٦٧/٣. كتاب الرضاع / باب (١٨). ح رقم (١١٧٣)، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

ولمّا اختلط البغايا بعسكر موسى، وفشت فيهم الفاحشة، أرسل الله عليهم الطاعون فمات في يوم واحد سبعون ألفاً، والقصة مشهورة في كتب التفاسير.

فمن أعظم أسباب الموت العام: كثرة الزنا بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال والمشي بينهم متبرجات متجملات، ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية ـ قبل الدين ـ لكانوا أشد شيء منعاً لذلك. انتهى كلامه رحمه الله، وهو قاض الغرض في هذا المقام وكفى.

ثانياً: رعاية الرجل أهله، وسياسته لأمرهم، وإيصالهم حقوقهم: والواجب على الزوج أن يرعى شؤون أهله كلها، منها: أن يلاحظ التزام زوجه بأحكام شرع الله في العبادة، وفي المأكل والمشرب والملبس، بحيث يكون ساتراً لبدنها، وما عليه من زينة مكتسبة، لا يجوز لها تعمد إخراج شيء من ذلك لأجنبي عنها، استجابة لأمر الله، وأمر رسوله، صلى الله عليه وسلم.

ولا يسمح لها أن تخرج سافراً أو حاسرة أو متكشفة، بل يلزمها بالجلباب (العباءة) والخمار، وأن يأخذ بالأسباب اللازمة لأطْرِهِنَّ وتثبيتهن عليه، لما أوجبه الله عليه من القيام به حيال زوجته وبناته، ومن يعول من الإناث وإلا أخذ بالتقصير في أمر من هو في حكمه، ورعيته. أخرج ابن عدي بسند صحيح عن أنس **"أن الله سائل كل راع عما استرعاه، حفظ ذلك أو ضيَّعه"**[1] وعلى الزوجة أن تستجيب لزوجها طواعية لله ورسولِه، صلى الله عليه وسلم، وتأسياً بأمهات المؤمنين، ونسائه. والله ولي الصالحين من عباده وإمائه.

ثالثاً: رعاية المرأة بتدبير أمر البيت، والأولاد والخدم والنصيحة للزوج في كل ذلك. وبهذا فإن الزوجة راعية ومرعية، فهي راعية على جوارحها حتى تعمل المأمورات، وتجتنب المنهيات فعلاً ونطقاً واعتقاداً، فجوارحها وقواها وحواسها رعيتها، وأن تعلم بأن الله سبحانه وتعالى استرعاها فينبغي أن لا تتصرف إلا بما أذن الشارع فيه.

ورعاية الولد وإن كانت مشتركة بين الزوج وبينها إلا أنها ألصق بأبنائها، وأكثر تأثيراً عليهم. فعليهما تربية الأولاد ـ وهم أمانة في أعناقهما ـ على هدي الإسلام، وتعليمهم ما يلزمهم في أمور دينهم ودنياهم، ومن يفرط في هذه الأمانة آثم عاص لله تعالى، يحمل وزر معصيته أمام ربه، ثم أمام عباده. ولتحرص الأم على تعويد أولادها على لبس الملابس المحتشمة، حسب ما يقتضيه الشرع.

فلا تلبس الصبية المميزة الأزياء المحرمة على البالغة، كالألبسة الضيقة، أو الشفافة، أو التي لا تستر جميع البدن كالقصير، أو ما فيه تصاوير، أو صلبان، أو تشبه بلباس الرجال، أو الكافرات. وإلا تحملت وزر ذلك، وعرضت نفسها للعذاب.

---

(١) فتح الباري لابن حجر: ١١٣/٣١.

واختتم حديثي عن هذا الحديث بقول ابن حجر: "قال الطيبي: في هذا الحديث أن الراعي ليس مطلوباً لذاته، وإنما أقيم لحفظ ما استرعاه المالك، فينبغي أن لا يتصرف إلا بما أذن الشارع فيه".

وقال غيره: دخل في هذا العموم المنفرد الذي لا زوج له، ولا خادم، ولا ولد، فإنه يصدق عليه أنه راع على جوارحه حتى يعمل المأمورات، ويجتنب المنهيات فعلاً ونطقاً واعتقاداً. فجوارحه وقواه وحواسه رعيته، ولا يلزم من الاتصاف بكونه راعياً أن لا يكون مرعياً باعتبار آخر" أ هـ[1].

وهكذا فإن مسؤولية الراعي والرعية في تطبيق الاحتشام مشتركة بين الجميع، ولا تؤتي أكلها في الحياة العامة، إلا بتضافر جهود الجميع في تطبيقه والالتزام به، فالمرأة تربي، والوالد يرعى ويوجه، والإمام يوجه ويرعى ويعاقب لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري في صحيحه: "ألا كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيتِهِ، فالإمام الأعظم الذي على الناس راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته..... الحديث"[2]. وفي الأثر: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يقول: **"ما يزع الإمام أكثر مما يزع القرآن"**[3]. وفي لفظ **"إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"**[4].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) فتح الباري: ١١٣/١٣.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ١١٢/١٣. كتاب الأحكام / باب (١) رقم ٧١٣٨.

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره، قال: روى ابن القاسم، قال: حدثنا مالك أن عثمان بن عفان، رضي الله عنه، كان يقول: " ما يزع الإمام.. الأثر، ثم قال: ذكره أبو عمر، رحمه الله. وبلفظ " لما يزع الله بالسلطان أعظم مما يزع بالقرآن ". أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: ١٠٨/٤ بسنده إلى عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. وذكر ابن كثير في تفسيره: ٦٠/٣ أنه حديث.

(٤) ابن خلدون: موسوعة ابن خلدون: ٣٣٩/١.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقاصد الشريعة في الاحتشام

د. عبد المجيد محمد السوسوة
أستاذ مشارك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الشارقة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين وبعد:

فما من شكٍ في أن الشريعة الإسلامية قد أنزلها الله تعالى لتحقيق مصالح العباد ودفع المفاسد عنهم في العاجل والآجل وهذا هو المقصد الكلي للشريعة[1] قال تعالى: "يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين"[2].

ولذلك " فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها ورحمة كلها، ومصالح كلها، فكل مسألةٍ خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث، فليست من الشريعة، وإن أدخلت فيها بالتأويل"[3].

ولهذا فما من حكمٍ من أحكام هذا الشريعة الغراء إلا وقد جاء محققاً لمصلحةٍ أو دافعاً لمفسدة أو محققا لهما معاً (جلب المصلحة ودفع المفسدة).

ومن هذا المنطلق فإن الشريعة الإسلامية إنما أمرت بالاحتشام حرصاً على تحقيق مصالح عظيمة ودرء مفاسد كبيرة ولعل أبرز المقاصد التي هدف إليها الشارع في أمره بالاحتشام تتمثل فيما يتضمنه الاحتشام من ستر للعورة ودرءٍ للفتنه وصونٍ لكرامة الإنسان وتأكيد على عفافه

(١) الموافقات للشاطبي ج ٢ ص ٨.
(٢) سورة يونس آية ٥٧.
(٣) إعلام الموقعين لابن القيم ج ٣ ص ١.

وذوقه السليم وطهارة لقلبه وتوجيه غريزته إلى الاهتمام بما يفيد والحفاظ على حياته والحرص على استقراره النفسي والعائلي وإبعاده عن مواطن الشبه والريبة ومع ذلك فإن الاحتشام رقي بالإنسان عما كان عليه الوضع الجاهلي من تبرجٍ وعري وهو في ذلك كله تأكيد وحرص بالإنسان على أن يظل منسجماً مع سنن الله في الخلق وفطرته التي فطر الناس عليها.

كما أن الشارع قد أمر بالاحتشام دفعاً للأذى عن الآخرين وتدبيراً وقائياً عن الوقوع في الفاحشة وذلك كله يصب في تطهير المجتمع من مظاهر التهتك والعري.

تلك هي أبرز المقاصد التي هدف إليها الشارع في أمره بالاحتشام. وسأتحدث عن هذه المقاصد على النحو الآتي:

المقصد الأول

أمرت الشريعة بالاحتشام ستراً للعورة ودرءاً للفتنة فلقد شرع الله اللباس المحتشم لما يتضمنه هذا اللباس من سترٍ للعورة حتى لا تبقى مثاراً للفتنه، ولذلك فإن مقدار اللباس الذي أمر به الإسلام جاء متناسباً مع مقدار الفتنة التي تكون في كل من جسم الرجل وجسم المرأة، ولهذا فقد اختلف اللباس اللازم على المرأة عن اللباس اللازم على الرجل وذلك بمقدار الفتنه المتعلقة ببدن كل واحدٍ منهما فاختلاف درجة الفتنة في كل منهما هو السبب في اختلاف مقدار ما يجب ستره فالمرأة قد حباها الله بدناً في كل موضعٍ منه فتنة ولكل جزءٍ منه جماله الخاص وفتنته الخاصة وإثارته الخاصة وذلك يثير الرجل في كل تفاصيله بينما جسم الرجل غالباً ما يتسم بالبسطة والخشونة ولذلك فإن المرأة تنظر إلى بدن الرجل في جملته دون اهتمام بالتفاصيل أي أن أجزاء بدن الرجل لا تثير المرأة إثارة خاصة وإن حدث شيء من ذلك فإثارة ضعيفة. ولما كان كل جزءٍ من جسد المرأة له فتنته الخاصة وإثارته الخاصة فترى المرأة تتجمل بمزيدٍ من التعري بينما البسطة والخشونة في بدن الرجل يدفعانه إلى التجمل بمزيدٍ من الثياب[1].

وبما أن بدن المرأة كله عورة فقد وجب عليها ستر جميع بدنها بينما الرجل لم يوجب الشرع عليه إلا ستر عورة محدودة، غير أن الرجل وإن كانت عورته محدودة فإن العرف الإنساني عامة فضلاً عن العرف الإسلامي قد ندب الرجل في عامة أحواله إلى ستر قدرٍ أكبر من العورة من باب التجمل[2].

---

(١) تحرير المرأة في عصر الرسالة لعبد الحليم أبو شقه، ج٤، ص ٢٤.

(٢) المرجع السابق.

وبما أن ستر العورة من أبرز مقاصد الشريعة الإسلامية في الاحتشام فإن الإسلام عبر عن اللباس بأنه للستر بينما مفهوم اللباس عند غير المسلمين لمجرد الزينة لا للستر لهذا فإن الإسلام أكثر ما يهمه من اللباس هو الستر دون الزينة فهو يأمر الرجل والمرأة أن يسترا من جسميهما كل الأجزاء التي فيها جاذبية للصنف الآخر.

والعري عند الإسلام من الوقاحة وسوء الأدب[1] حتى إن الإسلام لا يرضى للمرء أن يتجرد في خلوته لأن "الله أحق أن يستحيا منه"[2] فقد جاء في الحديث: "إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحيوهم وأكرموهم"[3].

وبما أن درء الفتنة من أبرز مقاصد الاحتشام فإن الإسلام قد حرم على النساء لبس الرقيق من الثياب أمام الرجل وكذلك حرم على المرأة لبس الملابس غير الساترة للجسم كله فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهنَّ كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"[4] قال النووي: (كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها، وقيل: معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً بحالها ونحوه، وقيل معناه تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها)[5] والمراد كاسيات صورةً عاريات معنى بأن يلبسن ثوباً رقيقاً يصف لون أبدانهن ومائلات: أي عن طاعة الله، وما يلزمهن فعله وحفظه ومميلات أي لغيرهن إلى فعلهنَّ المذموم بتعليمهنَّ إياهنَّ ذلك، أو مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهنَّ، أو مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا.

ولنفس المقصد حرم على المرأة أن تخرج من بيتها معطرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأةٍ إستعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية وكل عين زانية"[6] وإن امرأةً مرت بأبي هريرة — رضي الله عنه — وريحها يعصف فقال لها: أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد، قال: وتطيبت له قالت: نعم، قال: فارجعي فاغتسلي، فإني

---

(١) الحجاب للمودودي ص ٢٦٩-٢٧١.

(٢) الترمذى باب حفظ العورة ، من كتاب الآداب وقال الترمذي هذا حديث حسن رقم الحديث (٢٨٠٣) ج ٤ ص ٣٦٤.

(٣) الترمذي: باب ما جاء في الاستتار عند الجماع. من كتاب الآداب وقال الترمذي هذا حديث غريب رقم الحديث (٢٨٠٩) ج ٤ ص ٣٦٦.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب اللباس باب النساء الكاسيات العاريات رقم الحديث (٢١٢٨) ج١٤ ص٣٥٦ مع شرح النووي.

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/٣٥٦-٣٥٧.

(٦) أخرجه النسائي ١٥٣/٨ وابن حبان ٤٤٠٧/٦ وابن خزيمه ١٦٨١/٣ وقال الألباني: إسناده حسن.

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يقبل الله من امرأةٍ خرجت إلى المسجد صلاةً، وريحها يعصف حتى ترجع فتغتسل"[١].

ولقد جاء أمر القرآن واضحاً وصريحاً في وجوب اللباس الساتر درءًا للفتنة والأذى فقال تعالى: "يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً" سورة الأحزاب ٥٩. فأمر الله سبحانه وتعالى جميع نساء المؤمنين بإدناء جلابيبهن على محاسنهن من الشعور والوجه وغير ذلك حتى يعرفن بالعفّة فلا يفتتن ولا يفتن غيرهن فيؤذيهن[٢].

ولم يفرض الإسلام لباساً من نوع أو طراز معين ولكنه قرر للباس شروطاً[٣] ينبغي توافرها ليكون اللباس ساتراً ومخفياً للزينة الداعية للفتنة وإلى هذا تشير الآية القرآنية الكريمة في قوله تعالى: "ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها". النور الآية ٣١.

المقصد الثاني

أمرت الشريعة بالاحتشام محافظةً على كرامة الإنسان ويتمثل ذلك في جانب المرأة بأن الاحتشام يبديها بشكل يتسم بالعفاف والسلوك الرفيع ويكسب المرأة الاحترام والتقدير من الناس ويبعد عنها أذى الفساق قال تعالى: "يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً " الأحزاب ٥٩.

ففي هذه الآية يحوط الله المرأة المؤمنة بهالةٍ من الصون والكرامة، وأن تكون في إطار من الإجلال والإكبار. فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يلزم نساء المؤمنين أن يدنين عليهنّ من جلابيبهن والجلباب الثوب الواسع — أي أن يستترن بثيابهن الواسعة ليعرفن بالحصانة والتقوى والعفاف، فلا يؤذين بأعمال سافلة دنيئة، ولا تنغص حياتهن بنظرات وقحة جريئة، ولا توجه إليهن أقوال مهينة بذيئة.

فالاحتشام والحجاب يصون كرامة المرأة من الغواية والإهانة ويصون إنسانيتها بحرمتها وعدم الخضوعِ بالقول للرجال صيانة لها عن الفساد كيلا تكون ألعوبة للعابثين ونسخة للعابثات ومقلدة تلك العادات الخليعة من غير تدبر ولا تأمل.

---

(١) أخرجه أحمد ٢/٢٤٦-٤٦٤ وأبو داود ٤/٤١٧٤ وابن خزيمه ٣/١٦٨٢ من حديث أبي هريرة، وقال الألباني: حسن.

(٢) يراجع الطبري في تفسيره للآية ج ١٢ ص٥٦.

(٣) شروط اللباس الذى يكون حجابا شرعيا للمرأة المسلمة أجملها الشيخ الألباني في ثمانية شروط: ١- استيعاب جميع البدن إلا ما إستثني. ٢- أن لا يكون زينة في نفسه . ٣- أن يكون صفيقاً لا يشف . ٤- أن لا يكون مبخراً طيباً . ٥- أن يكون فضفاضاً غير ضيق . ٦- أن لا يشبه لباس الرجل. ٧- أن لا يشبه لباس الكافرات. ٨- أن لا يكون لباس شهرة. أنظر حجاب المرأة المسلمة من المقدمة للألباني وأنظر تحفة العروس ص ٢٤٨.

والاحتشام يحافظ على كرامة المرأة ويحميها من الابتذال ويبعدها عن أن تكون لمجرد اللهو واللذة والمهانة ويساعدها على أن تتبوأ مكانها الحق في الحياة، باعتبارها كائناً ذا رسالة قدسية يرنو إلى مجد تحقيقها في الوجود ويظهر أنها إنسان أُعِدَ لإبداع أجل القيم الروحية في الحياة بعد عبادة الله جل شأنه[1].

وإذا كان الإسلام يقصد تكريم المرأة حين يطالبها بستر بدنها، فإن عرف المسلمين يطالب الرجل ألا يعرض جسمه وعضلاته — من غير العورة — إلا عند الحاجة وذلك أن الإنسان الكريم في ميزان الإسلام يمتاز بعقله وخلقه وبعلمه وفضله لا بجمال صورته. قال تعالى: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"[2] يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم"[3].

المقصد الثالث

أمرت الشريعة بالاحتشام تأكيداً على العفاف والذوق السليم لدى الإنسان فالاحتشام باللباس الساتر والآداب الرفيعة في السلوك ينم عن جوهر عظيم وذلك أن المرأة حين تختار اللباس المحتشم فهو يدل على الصون والعفاف أما اللباس المحتشم في حق الرجل فهو يدل على الذوق الرفيع والسلوك الحسن وتلك هي "صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة" البقرة ١٣٨ واللباس المحتشم يعين على تغذية عقل المرأة وتنميته بانصراف همومها إلى النافع بدلاً من هدر همومها في ضروب اللباس الفاتن والمثير لغير زوجها وهذا يعني صيانة قلب المرأة وحفظه حتى يظل يقضاً عامراً بالخير كما أن اللباس المحتشم يعين على حفظ كرامة المرأة في كل مكان تحل فيه.

ويعين المرأة على قيامها بمسؤولياتها الاجتماعية أو المهنية التى قد تفرضها حاجتها أو حاجة مجتمعها[4].

المقصد الرابع: أمرت الشريعة بالاحتشام دفعاً للأذى الذي يسببه عدم الاحتشام للمرأة وللرجل أيضاً. وذلك أن المرأة المؤمنة لا بد أن تتأذى من نظر الأجانب إليها، لأنه أمر يخدش حياءها ويزعزع العفاف لديها، فوجب عليها الحجاب تأمينا لها من ذلك الإيذاء وإلى هذا يشير القرآن الكريم في قوله تعالى: "يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين"[5].

---

(١) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة للبهي الخولي طبعة دار القلم الكويت ١٩٨٤م، ص ١٦٣.

(٢) الحجرات الآية ١٣.

(٣) رواه مسلم في كتاب البر والصله والآداب باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ج٨، ص ١١.

(٤) تحرير المرأة في عصر الرسالة ج٤ ص ٢٧.

(٥) سورة الأحزاب، ص ٥٩.

وأما النساء اللاتي لا يتأذين من نظر الأجانب لهن، فهؤلاء لهن نفوس ذات ميل، وقلوب ذات زيغ يحرك الفتنة ويبعث على الشهوة – نعوذ بالله منهن"[1].

والاحتشام فيه دفع للأذى عن الآخرين الذين يثيرهم ويؤذيهم التبرج فلا شك أن النظر إلى النساء المتبرجات أو الرجال غير المحتشمين فيه أضرار تفتك بنفوس الرجال والنساء على السواء. فالنظر إما أن يطلق الشهوة إلى سعارٍ غريزي يسوق صاحبه حيث أراد، وإما أن يكبح جماحه فيقع في قلبه ما يقع من دواعي الكبت والتعقيد، وإما أن يملك نفسه ويفلت من ذلك فيصاب بالبرود الجنسي المرير، وهذا العذاب النفسي بصنوفه الثلاثة كفيل بالقضاء على طاقة الإنسان وإدخاله في دوامة عنيفة وسط هذه المغريات الفتاكة التي تتصارع فيها دواعي الشهوة، وأوامر الشرع الحكيم[2].

المقصد الخامس

أمرت الشريعة بالاحتشام لما فيه من تدابيرٍ وقائية من الوقوع في الفاحشة أو ما يقرب إليها لذلك فإن التحذير عن الزنا لم يكن مقصوراً على الزنى فحسب، بل جاء التحذير مما يدعو إلى الزنيٍ أو يقرب إليه فقال تعالى: "ولا تقربوا الزنى" الإسراء ٣٢، فالنهي من الله تعالى لم يكن مقصوراً على اجتناب عمل الفاحشة بل إنه يشمل كل ما يقرب إليها أو يقود إليها من مغريات[3]، فعلى المسلم أن يتجنب ذلك بالالتزام بآداب العفاف والاحتشام حتى ينجو من الزلل، فالشهوة لا تصحو إلا إذا أيقضها، ولا تنتبه إلا إذا دعاها، والمرأة المتبرجة شرارة للزناة، فهي مجرمة تغوى بجمالها العباد، ونكبة تنشر من حولها الفساد، فلو احتشمت المرأة واجتنبت التبرج والخلاعة في كلامها ومشيتها لما أنتشر هذا الفساد والشر المستطير، ومن المحال أن تصان الأعراض وكرامة الأسر إلا بالاحتشام، فالاحتشام يعتبر تدبيراً وقائياً من العادات والطرق والمغريات غير الطبيعية التي تؤدي إلى الفوضى الجنسية.

المقصد السادس

أمرت الشريعة بالاحتشام حرصاً على الاستقرار النفسي عند المرأة وعند الرجل على حدٍ سواء وذلك أن الاحتشام يجعل المرأة لا تلهث مضطربةٍ في إبراز مفاتنها للرجال وإثبات محاسنها للنساء وإنما تستر جمالها وتبديه لمن جاز له شرعاً أن يراه، والاحتشام يساعد المرأة

---

(١) تفسير الرازي ٢٣٠/٢٥.

(٢) محجبات لماذا. تأليف عكاشه عبد المنان الطيبي، ص ١٩ طبعة مكتبة التراث الإسلامي.

(٣) محجبات لماذا، تأليف عكاشه عبد المنان الطيبي ص ١٩.

الدميمة على ستر دمامتها فلا تخجل من قبحها. وبالنسبة للرجال فإن الاحتشام يجعل نفوسهم تهدأ وترضى بما لديهم من زوجات بينما التبرج يجعلهم ينظرون إلى محاسن النساء و حينئذ يوازنون في أذهانهم بين نسائهم والأخريات، وهذا يجعل زوج الدميمة يتحسر عندما يرى محاسن غيرها، بل هناك من الرجال من يصبو إلى من هي أدنى من زوجه جمالاً، وكلما رأى نوعاً من الجمال تمناه وكلما رأى حسناً لم يمتلكه اشتهاه، وكره جمال زوجه، وأصبح لا يرى منه ما كان يراه، ثم يتوق إلى كل ما لم تمتلكه يداه[١].

المقصد السابع

أمرت الشريعة بالاحتشام محافظةً على سنن الله في خلق الإنسان وذلك أن الاحتشام يعمل على أن يحيا كل من الرجل والمرأة في نطاق طبيعته وفطرته التي خلق عليها، فيحيا الرجل في نطاق طبيعة الرجولة التي اختيرت له، وتحيا المرأة في نطاق طبيعة الأنوثة التي اختيرت لها.. ولا يجوز لرجل أن يعبث بما فطر عليه، فيحاول أن يتخذ شارات الأنثى تشبها بها، ولا يجوز للمرأة أن تعبث بما فطرت عليه، فتحاول أن تتخذ شارات الرجل تشبها به، وقد قال ابن عباس: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال"[٢].. وعن أبي هريرة قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل"[٣].

وقد يستهجن من الرجل أن يتشبه بالمرأة لمخالفة ذلك للعرف والمروءة، وقد يستهجن من المرأة أن تلبس ملابس الرجال — كما تلبس البنطلون الآن — لما في ذلك من محاولة لفت النظر إليها. أو الإثارة... ولكن الإسلام لا يعني مجرد خروج على عرفٍ أو مروءة وإنما هو حرص على عدم العبث بسنن الله في كينونة الذكورة والأنوثة. والتي هي من فطرة الله التي فطر الناس عليها، فإذا استهان الإنسان بنظام فطرته، فهو فارغ القلب والفكر يحيا في غير ما ينبغي للكون عامة. ولنفسه خاصة من تقدير وحفاوة..

وأيضاً "فإن أصل الإثم في تشبه الرجل بالمرأة، وتشبه المرأة بالرجل، أن حافز التشبه يبدأ بالتحلل نفسياً من خصائص الحفاظ والجد التي تحمل كل منهما على رعاية الفواصل الحسية والنفسية التي تفصله عن الآخر.. وهذا هو عين العلة التي تضطرب بها سنن فطرته..

---

(١) محجبات لماذا. لعكاشة عبد المنان الطيبي، ص ٥٦.

(٢) صحيح البخاري في كتاب اللباس باب المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال رقم الحديث (٥٨٨٥).

(٣) أخرجه الحاكم ٤/١٩٤ وأبو داود كتاب اللباس باب في لباس النساء جـ٤ ص٣٥٥ رقم الحديث (٤٠٩٨)، والنسائي في كتاب عشرة النساء ٣٧١ وابن ماجه ١، ح ١٩٠٣ وقال الألباني: صحيح من حديث أبي هريرة.

وسنن صلاحه لعضوية المجتمع الفاضل، ولا جرم أن كان من آداب الإسلام سد ذرائع ذلك كله بالنهي عن ذلك التقليد.."[1].

وبهذا فإن "الإسلام وهو الدين الوسط للأمة الوسط، يلائم الفطرة البشرية وينميها تنمية نظيفة دون إفراطٍ أو تفريطٍ، لقد شرع الإسلام الحجاب، وحرم السفور والاختلاط، ونهى عن عوامل الاستثارة، فكبح بهذا جماح غريزة الإنسان الجنسية، وضبطها بضوابط شرعية خلقية، يحقق استخدامها في حياة أسرية متعاطفة رحيمة، تغذي التمدن الإنساني بالنسل الطاهر النظيف، وأحكم الإسلام في نظامه الاجتماعي العلاقة بين الرجل والمرأة واتخذ التدابير الوقائية التي تجعل هذه العلاقة قائمة على العفة والشرف والكرامة وصيانة العرض"[2].

المقصد الثامن

أمرت الشريعة بالاحتشام تقويةً للحياء في الإنسان. فالحياء هو شعور الإنسان بالخجل أمام فطرته، وأمام الله تعالى حينما يميل إلى منكر وهذا الشعور هو الذي يجعل الإنسان يكف عن الإقدام عن الفاحشة والمنكر. وإن ارتكب سيئة بدافع جبلته الحيوانية، حزَّ في نفسه هذا الحياء، ونغص عليه عيشه ولذلك فإن الإنسان إذا فقد الحياء صار عنده استعداد لفعل المنكرات مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إذا لم تستح، فاصنع ما شئت"[3] ومعناه أنك إن فقدت الحياء، غلبك الهوى الذي مصدره الجبلة الحيوانية، ولم يعد المنكر في نظرك منكر[4]، من هنا فإن الرجل عندما يستهتر بآداب الاحتشام فإن ذلك يعني وجود جرأةٍ لديه واستعداد لفعل المنكرات ومعنى ذلك فقدانه للشعور بالحياء أو الاستحياء، وهذا ينم عن فقده للإيمان أو ضعف إيمانه لأن الحياء من الإيمان وأما بالنسبة للمرأة فالأصل فيها هو الحياء، بل إن ذلك من مقتضيات فطرتها وزوال الحياء عن المرأة نقص في إيمانها وخروج عن الفطرة التي خلقت عليها ولعل تبرج المرأة وعدم احتشامها أبرز مظاهر زوال الحياء من المرأة لذلك فإن الاحتشام في الرجل والمرأة يعمل على تقوية مشاعر الحياء لديهما.

المقصد التاسع

أمرت الشريعة بالاحتشام إرتقاءً بالناس عما كان عليه الوضع عند الناس في الجاهلية من تبرج وتعرض للإثارة وتحلل شائن في صلة الرجال بالنساء حيث "كان رجال من العرب يتعرى

---

(١) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة للبهي الخولي، ص ١٦٦.

(٢) مناع القطان من حديث له في صحيفة المسلمون العدد ٥٢ بتاريخ ١٩٨٦/٢/١ م.

(٣) الحديث عن / رواية ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت" أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ٥٤/ رقم الحديث (٣٤٨٤).

(٤) الحجاب للمودودي ص ٢٥٦.

بعضهم أمام بعض دون حياءٍ أو ترددٍ، وكانوا لا يرون لزوم الاستتار عند الغسل أو قضاء الحاجة. وكانوا يطوفون بالكعبة عراة ويعتقدونه من أفضل العبادات حتى النساء كن يتعرين عند الطواف. وكنَّ يلبسن في عامة الأحوال لباساً يكشف عن بعض الصدور وعن جانب من الذراعين والكشح والساقين[1] وهي حالة توجد اليوم بعينها في أوروبا وأمريكا واليابان.

فلقن الإسلام النوع الإنساني أول درس في الحضارة في هذا الباب بقوله تعالى: "يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سؤاتكم وريشًا " الأعراف ٢٦ ففرض بهذه الآية ستر الجسم على كل رجلٍ وامرأة. وشدد النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن كشف العورة والنظر إليها، فقال صلى الله عليه وسلم: "ملعون من نظر إلى سوأة أخيه"[2]. "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا تنظر المرأة إلى عورة المرأة"[3] "إياكم والتعري، فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط، وحين يفضي الرجل إلى أهله"[4].

وبجانب هذه الأحكام قرر الإسلام حدوداً متباينة لعورات النساء والرجال[5].

والعورة في مصطلح الشرع ما يجب ستره من أعضاء الجسم، فقرر ما بين السرة والركبتين عورة الرجال، وأمروا ألا يكشفوه لأحد، ولا أن ينظروا إليه في غيرهم.

عن أبي أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ما فوق الركبتين من العورة وأسفل من السرة من العورة"[6] وقال صلى الله عليه وسلم: "عورة الرجل ما بين سرته إلى ركبته"[7]، وقال صلى الله عليه وسلم: "احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك"[8].

أما حدود العورة للنساء فقد جعلت أوسع من عورة الرجال فأمرن أن يخفين كل جسمهن – غير الوجه واليدين – عن كل الناس، وفيهم آباؤهن واخوتهن وسائر أقاربهن من الذكور ولم يستثن من ذلك إلا أزواجهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض، لم يصح أن يرى منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفه"(٩).

---

(١) الحجاب للمودودي ص ٢٧٠ وقد وثقه من الكتب المعتمدة في الحديث والتفسير.

(٢) أحكام القرآن للجصاص.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الآداب باب ما جاء في كراهية مباشرة الرجل الرجل وقال حديث حسن رقم الحديث (٢٨٠٢) جـ٤ ص٣٦٣.

(٤) الترمذي باب ما جاء في الاستتار عند الجماع من كتاب الآداب وقال حديث غريب رقم الحديث (٢٨٠٩) جـ٤ ص٣٦٦.

(٥) الحجاب للمودودي، ص ٢٧١ – ٢٧٣.

(٦) الدار قطني.

(٧) الدار قطني والبهيقي.

(٨) رواه الترمذي في باب حفظ العورة من كتاب الآداب وقال الترمذي حديث حسن رقم الحديث (٢٨٠٣) جـ٤ ص٣٦٤.

(٩) أبو داود مرسلاً في كتاب اللباس باب فيما تبدي المرأة من زينتها رقم (٤١٠٤).

فيعلم من جميع هذه الروايات أن جسم المرأة كله عورة إلا وجهها ويديها، فيجب أن تستر عورتها حتى عن أدنى أقاربها في البيت، ولا يجوز لها أن تكشف عورتها لأحدٍ غير زوجها سواء كان أباها أم أخاها وابن أخيها. ولا يحل لها أن تلبس لباساً رقيقاً يكشف عن عورتها أو يصفها.

وعموماً فإن آداب الاحتشام تهدف إلى إقامة ظاهر الإنسان على ما يلائم صلاح باطنه من الوقار والعفة. وذلك بتغيير ما ألف من رسوم الجاهلية وشاراتها الفاسدة. فقد كان للجاهلية رسوم فاسدة يتبعها كثير من النساء والرجال ولعل أبرز السمات تبرج النساء بإبرازهن محاسنهن وزينتهن للرجال وكذا بتبخترهن وتكسرهن في المشية أمام الرجال[1] فجاء نهي الإسلام عن ذلك بقوله تعالى: "ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى"[2] أي الجاهلية التي أدركها نساء ذلك العهد قبل ظهور الإسلام وأمرت النساء المسلمات بأن يدنين عليهن من جلابيبهن[3]، ليكون ذلك مظهر عفاف لهن وتكريم فقال تعالى: "يا أيها النبي قل لأزواجك، وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين"[4].

المقصد العاشر

أمرت الشريعة بالاحتشام تطهيراً للمجتمع من مظاهر التهتك وجعل المجتمع نظيفاً من المظاهر والهيجانات الحيوانية يقول سيد قطب رحمه الله: إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار.. فعمليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي والنظرة الخائنة والحركة المثيرة والزينة المتبرجة والجسم العاري، كلها لا تصنع شيئا إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون... إن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق، وإثارته في كل حين تزيد من عرامته.. فالنظرة تثير، والضحكة تثير. والدعابة تثير، والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات بحيث يبقى هذا الميل في حدوده الطبيعية ثم يلي تلبية طبيعية، وهذا هو المنهج الذي يختاره الإسلام، مع تهذيب الطبع، وتشغيل الطاقة البشرية بهمومٍ أخرى في الحياة غير تلبية دافع اللحم والدم"[5].

---

(١) يراجع الطبري في تفسير الآية في كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٦/١٢ طبعة دار الفكر لبنان ١٩٩٥م. الإسلام وقضايا المرأة، ص ١٦٤.

(٢) من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٣) وقد اختلفت كتب اللغة في المراد بالجلباب ولكن يؤخذ من مجموع أقوالها أنه هو الملاءة أو شيء يشبهها، قد يطول ويتسع حتى يكون كالملحفة وقد يقصر حتى يكون أوسع من الخمار تغطي به المرأة رأسها وصدرها وظهرها ... وقال ابن كثير نقلا عن عكرمة في معنى إدناء الجلباب أن تغطي به ثغرة نحرها أنظر: الإسلام وقضايا المرأة للبهي الخولى، ص ١٦٥.

(٤) الأحزاب آية ٥٩ ويراجع الطبري في تفسيره الآية ٥٦/١٢.

(٥) في ظلال القرآن ص ٢٥١١.

فالإسلام يقصد بالاحتشام تطهير الوسط الاجتماعي من كل محركات الشهوة وعوامل إغرائها وتهيجها بقدر الإمكان، حتى يكون لقوى الإنسان الفكرية والجسدية أن تنشأ وترتقي في جوٍ هادئ مطهر، ويتمكن الإنسان من أن يقوم بنصيبه من العمل لتعمير التمدن بقوةٍ موفورة مدخرة[1].

المقصد الحادي عشر

أمرت الشريعة بالاحتشام محافظةً على طهارة القلب من الخواطر الشيطانية والهواجس النفسانية والفتنة التي تأتي من خلال النظر إلى المتبرجات وقد أشار القرآن إلى هذا في قوله تعالى: "ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن" الأحزاب ٥٣.

ذلك أنه إذا لم تر العين لم يشته القلب، أما إذا رأت العين فقد يشتهى القلب وقد لا يشتهى، فالقلب عند عدم الرؤية أطهر، وعدم الفتنة عندئذٍ أظهر[2] إذ أن الرؤية هي سبب التعلق والفتنة[3] ولهذا فإن إطلاق البصر من وسائل مرض القلب ووقوع الفاحشة وغض البصر من أسباب السلامة من ذلك، ولهذا قال سبحانه: "وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون". فغض البصر وحفظ الفرج أزكى للمؤمنين في الدنيا والآخرة، ولهذا يقال أن غض البصر له ثلاث فوائد جليلة[4]: إحداها: حلاوة الإيمان ولذته التي هي أحلى وأطيب مما تركه لله فإن "من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه[5]" وأما الفائدة الثانية لغض البصر فإنه يورث نور القلب والفراسة، والفائدة الثالثة: قوة القلب وثباته وشجاعته.

والنظم القرآني يدل على أن آداب الاحتشام والحجاب مقصود بها كلا الجنسين من النساء والرجال وأنها تصب في تنقية باطن الإنسان وتطهير قلبه من كل عارض يشوش صفاءه فقال تعالى: "ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن" قال الإمام الطبري: "ذلك أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين... التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء وفي صدور النساء من أمر الرجال"[6].

ولا يمكن حصر هذه الآية في نساء النبي صلى الله عليه وسلم بل إن غيرهن أكثر حاجة إلى هذا الأدب فإذا كانت نساء النبي صلى الله عليه وسلم المطهرات من السفاح المحرمات علينا بالنكاح، الموصوفات بأنهن أمهات المؤمنين قد أمرن بالحجاب طهارة لقلوبهن وقلوب

(١) الحجاب لأبي الأعلى المودودي ص ٢٥٢.
(٢) السراج المنير ٢٦٦/٣ تفسير الرازي ٥٣٣/٦.
(٣) روح المعاني ٧١/٢٢ وإرشاد السارى ٢٨٦/٧ ويراجع في هذا تفسير القرطبي ٢٢٧/١٤ وتفسير القاسمي ٤٨٩٣/١٣ وأحكام القرآن لبن العربي ١٥٦٧/٣.
(٤) حجاب المرأة ولباسها في الصلاة للإمام ابن تيمية نقلاً عن مجموعة رسائل في الحجاب ص ٣٩ — ٤١.
(٥) كما ثبت في حديث رواه أحمد بسند صحيح.
(٦) يراجع الطبري في تفسير الآية.

أبنائهن المحرم عليهن نكاحهن، فما نقول في غيرهن من المحللات لنا بالنكاح، المتطلع لهن أهل السفاح، هل يجوز أن يكنَّ سافرات[1].

المقصد الثاني عشر

أمرت الشريعة بالاحتشام إبعاداً للإنسان عن مواطن الشبهة والريبه ومن أبرز الآداب الدالة على هذا المقصد تحريم الخلوة بالأجنبية سواءُ كان ذلك داخل البيت أم في أي مكان أخر، إلا أن يكون معها زوجها، أو ذو محرم لها... قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يخلون رجل بامرأة، إلا مع ذى محرم"[2]. وليس ذلك مؤسساً على سؤ الظن بخلق الرجل، أو خلق المرأة، إنما هو مؤسس على ما في طبيعة البشر من احتمال لاستجابة عند إيحاء الخلوة بالانفراد، والبعد عن الرقباء، وامتناع من يدخل عليها بغير إذًن، ونحوه مما يجعل النفس تستشرف لتذوق الممنوع[3]... وفي تصوير تلك الحالة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يخلون رجل بإمرةٍ إلا كان ثالثهما الشيطان"[4].

فإن لم تكن خلوة أو كانت خلوة، ولكن مع ذي محرمٍ، فليس ثمة من بأس أو حرمة.

خاتمة البحث

من المعلوم قطعاً أن الشريعة الإسلامية قد أنزلها الله تعالى لتحقيق مصالح العباد ودفع المفاسد عنهم في العاجل والآجل وفي هذا الإطار جاءت أحكام الشريعة بإيجاب الاحتشام لتحقيق مصالح عظيمة ودفع مفاسد كبيرة ولعل من أبرزها الآتي:

١) أمرت الشريعة بالاحتشام ستراً للعورة ودرءً للفتنة وأوجبت الستر بمقدار العورة وبما أن المرأة كلها عورة وكل جسمها مثير للفتنة لذلك أوجبت الشريعة على المرأة ستر جميع جسمها ما عدى الوجه والكفين.

٢) أمرت الشريعة بالاحتشام لما فيه من المحافظة على كرامة الإنسان فهو يجعل المرأة محاطة بالعفاف والسلوك الرفيع ويكسبها الاحترام والتقدير ويبعدها عن أذى الفساق وعن نظراتهم الوقحة وأعمالهم البذيئة.

---

(١) أضواء البيان ٧/٥٨٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب النكاح باب لا يخلونَ رجل بإمرأةٍ رقم الحديث (٥٢٣٣) جـ١٠/٤١٤ مع الفتح ومسلم في كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم رقم الحديث ٣٤١ ج٩ ص ١١٧ مع شرح النووي.

(٣) الإسلام وقضايا المرأة البهي الخولي ص ١٦٨.

(٤) رواه الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة رقم الحديث (٢١٧٢) جـ٤ ص٦٧ وفي كتاب الرضاع باب ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات رقم الحديث (١١٧٤) جـ٢ ص٣٩١.

٣) أمرت الشريعة بالاحتشام لما فيه من التأكيد على العفاف والذوق السليم فهو يصرف المرأة عن هدر همومها في ضروب اللباس الفاتن والمثير لغير زوجها ويعينها على قيامها بمسئوليتها الاجتماعية أو المهنية التي قد تفرضها حاجتها أو حاجة مجتمعها.

٤) أمرت الشريعة بالاحتشام لما فيه من دفع الأذى وذلك أن المرأة المؤمنة تتأذى من نظر الأجانب إليها لما في هذا النظر من خدش لحيائها والحجاب يقيها ذلك كما أن الاحتشام فيه دفع للأذى عن الآخرين الذين يثيرهم ويؤذيهم التبرج لما فيه من إثارة للغريزة وإساءة للأخلاق.

٥) أمرت الشريعة بالاحتشام لكونه تدبيراً وقائياً من الوقوع في الفاحشة أو ما يقرب إليها من مغريات التبرج والخلاعة.

٦) أمرت الشريعة بالاحتشام لما فيه من العمل علي الاستقرار النفسي عند المرأة وعند الرجل على حد سواء فالاحتشام يجعل المرأة لا تلهث مضطربة في إبراز مفاتنها للرجال وإثبات محاسنها للنساء وإنما تستر جمالها وتبديه لمن جاز له شرعاً أن يراه، والاحتشام يجعل نفوس الرجال تهدأ وترضى بما لديهم من زوجات بينما التبرج يجعلهم ينظرون إلى محاسن النساء ويوازنون بينهن وبين نسائهم وغالباً ما يتحسر زوج الدميمة عندما يرى محاسن غيرها.

٧) أمرت الشريعة بالاحتشام لما فيه من المحافظة على سنن الله في خلق الإنسان وذلك أن الاحتشام يجعل الإنسان يحيا في نطاق طبيعته وفطرته التي خلق عليها فيحيا الرجل في نطاق طبيعته الرجولية ولا يعبث برجولته باتخاذ شارات الأنثى وتحيا المرأة في نطاق طبيعتها وفطرتها التي خلقها الله عليها ولا تعبث بأنوثتها باتخاذ شارات الرجال تشبهاً بهم.

٨) أمرت الشريعة بالاحتشام لما فيه من تقوية الحياء في الإنسان فالاحتشام يقوي عند الإنسان الشعور بالخجل عن فعل المنكرات بينما الاستهتار يقوي الجرأة على فعل المنكرات ويقلل الشعور بالخجل والحياء.

٩) أمرت الشريعة بالاحتشام لما فيه من ارتقاءٍ بالإنسان عما كان عليه الوضع في الجاهلية من تبرج وتعرض للإثارة وتحلل شائن في صلة الرجال بالنساء.

١٠) أمرت الشريعة بالاحتشام لما فيه من تطهير للمجتمع عن مظاهر التهتك ومظاهر الهيجانات الحيوانية وتطهير الوسط الاجتماعي من محركات الشهوة وعوامل إغرائها وتهيجها لكي تتجه قوى الإنسان الفكرية والجسدية إلى ما فيه نفع وخير.

١١) أمرت الشريعة بالاحتشام لما فيه من المحافظة على طهارة القلب من الخواطر الشيطانية والفتنة التي تأتي من خلال النظر إلى المتبرجات.

١٢) أمرت الشريعة بالاحتشام لما فيه من إبعاد للإنسان عن مواطن الشبه والريبة ومن أبرز الآداب الدالة على هذا المقصد تحريم الخلوة بالأجنبية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحياء وأثره في شخصية المسلم

د. صلاح الشرع
أستاذ مشارك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الشارقة

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. ونشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ρ تسليماً كثيراً. وبعد،،،

فإن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء.

والأخلاق الإسلامية نابعة من عقيدة الشريعة الإسلامية التي حددها الوحي الإلهي في شريعته السمحاء.

والأخلاق هي الأزهار الفواحة العطرة والثمار الناضجة اليافعة التي تبهر الناظرين وتجذب النفوس وتسحر العقول لتقطفها واستنشاقها لروائحها العطرة الفواحة.

الحياء

الحياء: مأخوذ من الحياة، فلا حياء بدونه، وهو: خلق يودعه الله في النفوس التي أراد الله تكريمها فيبعث على الفضائل، ويدفع في وجوه الرذائل، وهو من خصائص الإنسان، وخصال الفطرة، وخلق الإسلام، والحياء شعبة من شعب الإيمان، وهو من محمود خصال العرب التي أقرها الإسلام ودعا إليها، قال عنترة العبسي:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

فآل مفعول الحياء إلى التحلي بالفضائل، وإلى سياج رادع، يصد النفس ويزجرها عن الرذائل. ومن ضلَّ عن الحياء أو فقده تردى حتى يكون من جملة الحيوان، إن الحياء مطلب شرعي بل هو خلق الإسلام كما قال النبي : «إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء»[1] والحياء هو: تغيّر وانكسار وانقباض يعتري النفس الإنسانية من الخوف ما يعاب به، وقيل هو: ماء الوجه[2].

وأنشد البغدادي:

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه ... ولا خير في وجهٍ إذا قلَّ ماؤه

حياءك فاحفظه عليك فإنما ... يدل على وجه الكريم حياؤه

والحياء خلق جميل يحول بين الإنسان وارتكاب المعاصي والآثام ويمنعه من التقصير في حق المولى جلَّ وعلا. قال النبي : «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[3].

وقد أحسن من قال:

إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً ... تقلب في الأمور كما يشاء

ولم يك للدواء ولا لشيء ... يعالجه به فيه عناء

فما لك للدواء في معاتبة الذي ... لا حياء لوجهه إلا الفناء

خصائص الحياء

إن الحياء هو مادة الخيرو الفضيلة، وبهذا وصفه النبي : «الحياء خير كله»[4].

وحسبك من هذه الفضائل:

الله يحب الحياء: قال النبي : «إن لكل دين خلقاً، وخلق الإسلام الحياء»[5].

الحياء من الإيمان: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله مرّ على رجلٍ من الأنصار، وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال له: «دعه. فإن الحياء من الإيمان»[6].

---

(١) انظر: موطأ مالك باب حسن الخلق/٩٠٥، والطبراني في المعجم الصغير ١٣/١ ـ ١٤، وابن ماجه في الزهد (٤١٨١)، ٢/ ١٣٩٩.

(٢) انظر: فتح الباري ٦٨/١.

(٣) انظر: صحيح البخاري في أحاديث الأنبياء باب (٥٤) (٣٤٨٣، ٣٤٨٤)، ٥٩٤/٦ ـ ٥٩٥، وفي باب الأدب باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت (٦١٢٠) ٥٣٩/١٠ ـ ٥٤٠.

(٤) انظر: صحيح مسلم: كتاب الإيمان باب الإيمان ٧/٢.

(٥) انظر: البيهقي: الجامع لشعب الإيمان طبعة الدار السلفية ٣٩٧/٣.

(٦) انظر: سنن أبي داود ٥٢٢/٢.

الحـياء لا يأتـي إلا بخير: عن عمران بن حصين قال: قال النبي : «الحياء لا يأتي إلا بخير»[1].

الحـياء يقـود إلى الجـنة: قال النبي : «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»[2].

حياء الله: قال ابن القيم: «وأما حياء الرب تعالى من عبده، فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام، ولا تعـرف تكتـنفه العقول، فإنه حياء كرمٍ، وبر، وجود، وجلال، فإنه تعالى حيي كريم، يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفراً، ويستحيي أن يعذب ذا شيبة شابت في الإسلام».

وقـد اتصف به النبي والصحابة الكرام، رضوان الله عليهم، عن أبي سعيد قال: «كان الـنبي أشـدُّ حياءً من العذراء في خدرها»[3] وفي رواية أنه إذا كره شيئاً عرف ذلك من وجـهه» وكـذلك كـان الجـيل الأول مـن صـحابة الـنبي الـذي ورثوا مكارم الأخلاق عنه كانوا أشد الناس حياءً.

وبـرز مـنهم نمـاذج رائعـة في الحـياء، كانـت الملائكـة تسـتحيي مـنهم. قـال الـنبي : «وأصـدقهم حـياء عـثمان» وكان الرسول والملائكة الكرام يستحيون من عثمان وقال الرسول الكريم : «ألا أستحيي من رجل تستحي منه الملائكة؟!»[4].

أبواب الحياء

الحـياء مـن الله: وهـو طـريق إلى كـل طاعـة واجتـناب كـل معصية وقد حث الشرع على الحـياء مـن الله فقـال الرسـول : «اسـتحيوا مـن الله حـق الحـياء، ومن استحى من الله حق الحـياء فلـيحفظ الـرأس ومـا وعـى، والبطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن ترك الآخرة ترك زينة الدنيا. ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء»[5].

والحياء من الناس: من أن تقع أعينهم على ما يعيبه.

إن الحـياء خاصـية بشـرية حبا الله بها الإنسان ليرتدع عن ارتكاب كل ما يشتهي، فلا يكـون كالبهيمة. ولذلك لما أكل آدم وحواء من الشجرة وبدت لهما سوآتهما ذهبا ـ يجمعان من

---

(١) انظر: صحيح البخاري في الأدب وصحيح مسلم في الإيمان (٣٧) ٦٣/١.

(٢) انظر: سنن الترمذي: كتاب البر، باب ما جاء في الحياء: «قال حديث حسن صحيح» ورواه الطبراني وسكت عنه في فتح الباري ٥٣٨/١٠.

(٣) رواه البخاري رقم ٣٢٩٨ ومسلم رقم ٤٢٨٤. سنن النسائي رقم ٢٦٠١، سنن ابن ماجه رقم ٤١٧٠.

(٤) رواه مسلم رقم ٤٤١٤.

(٥) انظر: سنن الترمذي عن عبدالله بن مسعود τ رقم ٢٤٦٠ وابن الأثير الجزري جامع الأصول في أحاديث الرسول طبعة دار الفكر لبنان ٦١٦/٣.

ورق الجنة ويشبكانه ببعضه في بعض، ويضعانه ويتكشف إلا بفساد هذه الفطرة من صنع إبليس وأعوانه، وقد كانت العرب في جاهليتها الأولى تستحي، بل كان الحياء ديدنهم، كما قال أبو موسى الأشعري لرجل من جشم عندما فرَّ هارباً، قال: فلما رآني ولّى عني هارباً فأتبعته وجعلت أقول له ألا تستحيي؟ ألست عربياً؟ ألا تتثبت؟ فكفَّ[1].

كل هذا يدل عباد الله على أهمية الحياء، لكن هؤلاء الذين نكسوا فطرة الله واتبعوا الشيطان أولئك في منأى من ذلك.

إن العُري صفة بهيمية لا يميل الإنسان إليه إلا وهو ينكس إلى حمأة الحيوانية، وإن رؤية العُري جمالاً فهو فساد في الذوق الإنساني.

عباد الله ماذا تفعل بيوت الأزياء ومصمموها في بيوت المسلمين اليوم؟ إن هذا الخبل الذي لا يفيق منه الناس رجالاً ونساءً وهو تنفيذ للمكيدة الشيطانية فمن صور ذهاب الحياء عند النساء اليوم ما ظهر في كثير منهن من عدم التستر والحجاب والخروج إلى الأسواق متطيبات متجملات لابسات لأنواع الحلي والزينة لا يبالين بنظر الرجال إليهن بل ربما يفتخرن بذلك، ومنهن من تغطي وجهها في الشارع، وإذا دخلت المعرض كشفت عن وجهها وذراعيها عند صاحب المعرض ومازحته في الكلام وخضعت له بالقول، لتطمع الذي في قلبه مرض.

ومن ذهاب الحياء من بعض الرجال أو النساء شغفهن باستماع الأغاني والمزامير من الإذاعات ومن أشرطة التسجيل، حتى أنهم يطلبون من الإذاعات إعادة بث هذه الأغاني ويهدونها إلى أقاربهم وأصحابهم.

وأين الحياء ممن يشتري الأفلام الخليعة ويعرضها في بيته أمام نسائه وأولاده بما فيها من مناظر الفجور وقتل الأخلاق وإثارة الشهوة والدعوة إلى الفحشاء والمنكر؟ أم أين الحياء من الموظف الذي يستهتر بالمسئولية، ويتعب المراجعين بحبس معاملاتهم؟ أم أين الحياء من التاجر الذي يخدع الناس ويغش السلع ويكذب عليهم؟ إن الذي حمل هؤلاء على النزول إلى هذه المستويات الوضيعة الهابطة هو قلة الحياء أو ذهابه.

إذا لم تخشَ عاقبة الليالي	ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير	ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير	وبقى العود ما بقي اللحاء[2]

---

(١) انظر: صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل الأشعريين. رقم ٤٥٥٤.

(٢) انظر: نظرة النعيم ١٨١١/٥ عن مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ٢.

ولا ينكـر أحـد أن من الحياء المأمور به شرعاً وعرفاً احتشام المرأة وتخلقها بالأخلاق التي تبعدها عـن مواقـع الفـتن، ومواضع الرِّيَب، والاحتشام تقتضيه الفطرة الإنسانية والتي بدورها ترجع إلى حكم منها:

الحكمة الأولى

أن الاحتشـام والتسـتر أمـر فطـري للنسـاء، تقتضـيه في أنفسـهن حاجـة إلى رجـل يقـوم بحمايـتهن، وحمايـة أولادهـن، الـذين يؤثرون على أنفسهن فهن مسوقات فطرياً نحو تحبيب أنفسهن للآخرين، وعدم جلب نفرتهم، وتجنب جفائهم واستثقالهم.

ثـم إن مـا يقـرب مـن سبعة أعشار النساء: إما متقدمات في السن أو دميمات لا يرغبن في إظهـر شـينهن أو دمامـتهن، أو أنهـن يحملن غيرة شديدة في ذواتهن يخشين أن تفضل عليهن ذوات الحسن والجمال، أو أنهن يتوجس خيفة من التجاوز عليهن وتعرضهن للتُّهم.

فهـؤلاء النسـاء يـرغبن فطـرةً في الـتحفظ والتسـتر، حـذراً مـن التعـرض والتجاوز عليهن وتجنـباً مـن أن يكـنّ موضـع تهمـة في نظـر أزواجهـن، بل أن المسنّات أحرص على التستر من غيرهن.

وربمـا لا تـتجاوز الاثنتين أو الثلاث من كل عشرة من النساء هن: شابات وحسناوات لا يخجلن من إبراز حسنهن ولا يتضايقن من إبداء مفاتنهن. وهؤلاء لسن بحجة. إذ من المعلوم أن الإنسـان يتضايق من نظرات من لا يحبه. وحتى لو فرضنا أن حسناء جميلة ترغب في أن يراها اثـنان أو ثلاثـة من غير المحارم، فهي حتماً تستثقل وتنزعج من نظرات سبعة أو ثمانية منهن بل تنفر منها[1].

المـرأة بكـونها رقـيقة الطـبع سـريعة التأثـر، تنفـر حتماً ما لم تفسد أخلاقها من نظرات خبيثة تصوّب إليها، والتي لها تأثير مادي كالسمر كما هو مجرّب. حتى أننا نسمع: أن كثيراً مـن نسـاء أوروبـا وهـن موطن التكشف والتبرج يشكين إلى الشرطة، من ملاحقة النظرات إليهن قائلات: إن هؤلاء السفلة يزجوننا في سجن نظراتهم.

نخلـص مما تقدم: أن رفع المدنية السفيهة للتستر، وإفساحها المجال للتبرج إنما هو أمر يـناقض الفطـرة الإنسـانية ـ وإن أمـر القـرآن الكـريم بالاحتشـام والتسـتر فضلاً عن كونه فطرياً يصـون النسـاء من المهانة والسقوط ومن الزلة والأسر المعنوي، ومن الرذيلة والسفالة، وهن معدن الرأفة والشفقة والرفيقات الأمينات لأزواجهن في المستقبل.

---

(١) انظر: اللمعات: ترجمة إحسان قاسم الصالحي ص ٣٠٠.

والنساء فضلاً عمّا ذكرناه يحملن في فطرتهن تخوفاً من الرجال الأجانب، وهذا التخوف يقتضي فطرة التحفظ، وعدم التكشف إذ ربما تنفض لذّةٍ غير مشروعة لبضع دقائق بتحمل أذى جمل جنين لتسعة أشهر ومن بعده القيام بتربية ولد لا حامي له زهاء تسع سنين[1].

ولوقوع مثل هذه الاحتمالات بكثرة تتخوف النساء فطرةً، خوفاً حقيقياً من غير المحارم «الأجانب» وتتجنبهم جبلة، فتنبهها خِلْقتُها الضعيفة تنبيهاً جاداً إلى التحفظ والتستر، وتندفع إلى ذلك. ليحول دون إثارة شهوة غير المحارم، وليمنع التجاوز عليها، وتدلها فطرتها على أن حجابها هو قلقها الحصين وخندقها الأمين {فلا يُؤذَيْنَ}.

ولقد طرق سمعنا أن: صبّاغ أحذية قد تعرض إلى زوجة رجل ذي منصب دنيوي كبير كانت مكشوفة المفاتن، وراودها جهاراً نهاراً. أليس هذا الفعل الشنيع، صفعة قوية على وجوه أولئك الذين لا يعرفون معنى الحياء من أعداء العفة والفضيلة؟

الحكمة الثانية

إن العلاقة الوثيقة والحب العميق، بين الرجل والمرأة ليسا ناشئين عما تتطلبه الحياة الدنيا، من حاجات فطرية فحسب فالمرأة ليست صاحبة زوجها في حياة دنيوية وحدها، بل هي رفيقته أيضاً في حياة أبدية خالدة.

فما دامت هذه صاحبته في حياة باقية فينبغي لها أن لا تلفت نظر غير رفيقها الأبدي وصديقها الخالد إلى مفاتنها، وألا تزعجه ولا تحمله على الغضب وسوء الظن والغيرة.

وحيث أن زوجها المؤمن بحكم إيمانه لا يحصر محبته لها في حياة دنيوية فقط ولا توليها محبّة حيوانية قاصرة على وقت جمالها، وزمن حسنها، وإنما تكنُّ له حبًّا واحتراماً خالصين دائمين، حتى وقت شيخوختها، وزوال حسنها، بل يدومان إلى حياة أبدية خالدة[2].

فإزاء هذا لا بد للمرأة أيضاً أن تخصّ زوجها وحده، بجمالها ومفاتنها، وتقتصر على محبتها له، كما هو مقتضى الإنسانية، وإلا ستفقد الكثير، ولا تكسب إلا القليل. ولذا جاء في الأثر: إن الزوجين إذا دخلا الجنة تكون المرأة لزوجها في الدنيا.

ثم إن ما هو مطلوب شرعاً: أن يكون الزوج كفؤًا للمرأة وهذا يعني ملاءمة الواحد للآخر ومماثلتها.

وأهم ما في الكفاءة هذه: هي كفاءة الدين.. كما هو معلوم.

(١) انظر: اللمعات: ترجمة إحسان قاسم الصالحي ص ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٢) انظر: اللمعات: ترجمة الصالحي ص ٣٠١ ـ ٣٠٢.

فما أسعد ذلك الزوج الذي يلاحظ تدين زوجه، ويقوم بتقليدها ويصبح ذا دين، فلا يفقد صاحبته الوفية، في حياة أبدية خالدة، إنها حياة سعيدة في كنف الإسلام والحرص على امتثال أمر الله وأمر رسوله.

وكم هي محظوظة تلك المرأة التي تلاحظ تدين زوجها، وتخشى أن تفرِّط برفيق حياتها، الأمين في حياة خالدة، فتتمسك بالإيمان والتقوى علاوة على ما تحظى به من أجر عند الله وحسنات تسجل لها.

والويل كل الويل، لذلك الرجل الذي ينغمس في سفاهة تفقده زوجه الطيبة الصالحة، ويا لتعاسة تلك المرأة التي لا تقلد زوجها التقي الورع، فتخسر رفيها الكريم الأبدي السعيد، والويل والثبور لذينك الزوجين الشقيين اللذين ينغمسان بعضهما البعض في الفسوق والفحشاء، فيشابها البهائم ويتسابقان في دفع أحدهما الآخر إلى النار، والبهائم غير مكلفة بشرع فلا حساب عليها، ولكن ابن آدم مكلف بشرع الله، وأُعطي عقلاً وفهماً ليتدبر ما في الإسلام من تكاليف: أوامر تُتبع، ونواهٍ تجتنب.

الحكمة الثالثة

إن سعادة العائلة في الحياة واستمرارها، إنما هو بدوام الثقة المتبادلة بين الزوجين واستمرار الاحترام اللائق والودّ الصادق بينهما، إلا أن التبرج والتكشف يخل بتلك الثقة ويفسد ذلك الاحترام والمحبة المتبادلة.

ففي محيط متكشّف مثل هذا تلاقي تسعاً من عشر متبرجات، أمامهن رجال يفوقون أزواجهن جمالاً، بينما لا ترى غير واحدة منهن، من هي أقلّ جمالاً من زوجها، والأمر كذلك في الرجال فلا يرى إلا واحدة من كل عشرين منهن، من هي أقل جمالاً من زوجته، بينما الباقون يرون أمامهم من يفقن زوجاتهم حسناً وجمالاً.

فهذا المحيط المتكشف المتبرج قد يؤدي إلى انبعاث إحساس دنيئ، وشعور سافل قبيح في النفس فضلاً عما يسببه من زوال ذلك الحب الخالص، وفقدان الاحترام، وهذا من حكمة غض البصر المأمور به شرعاً[1].

إن الإنسان لا يمكنه أن يحمل فطرة شعوراً دينياً حيوانياً، تجاه المحارم اللائي ينظر إليهن نظرته لأخته لأن المحارم تشعر بالرأفة والمحبة التابعين من صلة القربى، فهذا الشعور النبيل يحد من ميول النفس الشهوانية إلا أن كشف ما لا يجوز كشفه قد يثير لدى النفس الدنيئة حساً سافلاً خبيثاً لزوال الشعور بالحرمة.

---

(١) انظر: اللمعات: ترجمة الصالحي ص ٣٠٢.

وما ذلك إلا أن ملامح المحارم، تُميِّز بعلامات فارقة عن غيرهم، لذا فكشف تلك المواضع من الجسد يتساوى فيه المحرم وغيره لعدم وجود تلك العلامات الفارقة، التي تستوجب الامتناع عن النظر المحرم، ولربما يهيج لدى بعض المحارم السافلي ممن خفَّ الوازع الديني ونقص عندهم فهم تعاليم الإسلام، هوس النظرة الحيوانية، فمثل هذه النظرة سقوط مريع للإنسانية، تقشعرّ من بشاعتها الجلود وتأنف من عملها الحيوانات، حيث روي أن فلاحاً أراد أن يمتحن عجلاً عندما كبر، فعزله عن أمِّه وفي وقت الهيجان، أدخله الحظيرة معصوب العينين فنزى على أمه ثم فكّ العصابة عن عينيه، فنظر يميناً وشمالاً، ولم ير في الحظيرة معه غيره أمِّه، فأصيب بهيجان قفز معه على جدار الحظيرة، ثم واصل الجريان من مكان إلى مكان حتى وصل النهر فرمى بنفسه في جوفه فمات غرقاً[1].

الحكمة الرابعة

من المعلوم أن كثرة النسل مرغوب فيها دائماً، فليس هناك أُمَّة ولا دولة، لا تدعو إلى كثرة النسل، وقد قال الرسول الكريم ρ: «تناكحوا تكاثروا فإني أُباهي بكم الأمم يوم القيامة» وفي رواية أبي داود: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم». بيد أن رفع التستر وإفساح المجال أمام التبرج والتكشف يحد من الزواج، بل يقلل من التكاثر كثيراً، لأن الشباب مهما بلغ فسوقه، فإن يرغب في أن تكون صاحبته في الحياة، مصونة عفيفة، ولا يريدها أن تكون مبتذلة متكشفة مثله.

لذا تجده يفضل العزوبة على الزواج، إن لم يجد ما يبغيه، وربما ينساق إلى الفساد أما المرأة فهي ليست كالرجل، حيث لا تتمكن أن تحدد اختيار زوجها، فالمرأة: من حيث كونها مدبّرة لشئون البيت ومأمورة بالحفاظ على الأولاد من زوجها وأمواله، وكل ما يخصه، فهي تتصف بأعظم خصلة هي: الأمانة والثقة، إلا أن تبرجها وتكشفها يفسد هذه الأمانة، ويزعزع ثقة الزوج بها، فتُجرِّع الزوج آلاماً معنوية وعذاباً وجدانياً حتى أن الشجاعة والسخاء، وهما خصلتان محمودتان لدى الرجال، إذا ما وجدتا في النساء عدّتا من الأخلاق المذمومة لإخلالهما بتلك الأمانة والثقة، إذ تفضيان إلى الوقاحة والإسراف.

وحيث أن وظيفة الزوج غير قاصرة على الائتمان على أموالهما، بل تشمل حياتها والرحمة بها، والاحترام لها، فلا يلزمه ما يلزمها ـ أي الزوجة ـ ولا يفيد اختياره للزوجة، ويمكنه أن ينكح غيرها من النساء[2].

---

(١) انظر: اللمعات: ترجمة الصالحي ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٢) انظر: اللمعات: ترجمة الصالحي ص ٣٠٣.

إن بلادنـا ـ بـلاد المسـلمين ـ لا تقـاس ببلدان أوروبا، فهناك وسائل صارمة للحفاظ ـ إلى حـد مـا ـ علـى الشرف والعفاف، في وسط متبرِّج متكشّف، منها المبارزة وأمثالها، فالذي ينظر بخـبث، إلى زوج أحـد الشـرفاء، علـيه أن يُعلـق يده في عنقه مقدماً.. هذا فضلاً عن أن طبائع الأوروبيين باردة جامدة كمناخهم.

أمـا هنا في بلاد العالم الإسلامي خاصة، فهي من البلدان الحارة قياساً إلى أوروبا ومعلوم مدى تـأثير البيـئة في أخـلاق الإنسـان، ففـي تلـك الأصـقاع الـباردة، ولّـدت أناساً باردين، قد لا يؤدي التـبرج، الـذي يثير الهوى الحيواني، ويهيّج الرغبات الشهوانية إلى تعديات كثيرة، وفساد كبير ـ في قلوبهم ـ مثلما يؤدي إلى الإفراط والإسراف في المناطق الحارة، وفي أناس حساسين يُثارون بسرعة.

ومـع ذلك نسمع ونقرأ عندهم كثرة في التعديّات والتحريشات، التي ضج منها المجتمع، وتعالـت مـنها صيحات النساء، وامتلأت منها المحاكم. فالتبرج وعدم التستر، الذي يثير هوى النفس، ويطلق الشهوات من عقالها، في مثل هذه المناطق يؤدي حتماً إلى الإفراط وتجاوز الحد. وإلى ضـعف النسـل، وانهـيار القوى حيث إن الرجل الذي يمكنه أن يدفع حاجته بالفطرية في شـهر، أو في عشـرين يـوماً، يظـن نفسـه مضـطراً إلى دفعهـا كـل بضعة أيام. وحيث أن هناك عوارض شرعية ـ كالحيض ـ تُجنبه أهله، وقد تطول خمسة عشر يوماً ـ تراه ينساق إلى الفحش إن كان مغلوباً لنفسه.

ثـم إن أهـل المـدن ينبغي لهم، ألا يقلدوا أهل القرى والأرياف في حياتهم الاجتماعية ولا يعـرفوا التسـتر فـيما بيـنهم، لأن أهـل القـرى يشغلهم شاغل العيش، وهم مضطرون إلى صرف جهـود بدنـية قـوية، لكسب معيشتهم، وكثيراً ما تشترك النساء في أشغال متعبة، لذا لا يـهيج ما قد ينكشف في أجزاء من أجسامهن الخشنة، شهوات حيوانية لدى الآخرين، فضلاً عن أنه لا يـوجد في القرى سفهاء عاطلون بقدر ما هم موجودون في المدن، فلا تبلغ مفاسدها إلى عُشر ما في المديـنة ـ ومجـتمع القـرية صـغير معـروف يَبينُ فيه كل شيء، تخشى عواقبه المدينة بعكس ذلك مع ضعف الرقابة على الشباب ولذا لا تقاس المدن على القرى والأرياف.

وفي بلاد الغرب والشرق، لما انتشر التبرج مع عدم وجود الحجاب، جاء الاختلاط في الدراسة وفي العمـل، ونتج عن ذلك إحصائيات سنوية تقدر بالملايين عن الإجهاض والأولاد غير الشرعيين، مما جعل العقلاء يضجّون، ويرون الحلّ فيما وضعه الإسلام للمرأة من حشمةٍ ووقار.

إن المـرأة في هـذه الـبلاد ـ ولله الحمد ـ وصلت إلى أرقى مراتب التعليم، وحَصلت على أعلى الشـهادات التعليمـية. وهـي تعمل في كثير من المجالات التي تناسبها، فهناك الطبيبة، والمعلمة، والمديـرة، وأسـتاذة الجامعـة، والمشـرفة، والباحثة الاجتماعية وكل هؤلاء وغيرهن يؤدين دورهن في نهضة الأمة وبناء أجيالهن. لم يمنعهن من ذلك حجابهن وسترهن وحياؤهن وعفتهن.

لقد أثبتت المرأة المسلمة ـ في هذه البلاد ـ أنها تستطيع خدمة نفسها ومجتمعها وأمتها دون أن تتعرض لما تتعرض له المرأة في كثير من البلدان من تبذّل وامتهان، ودون أن تكون سافرة أو متبرجة أو مختلطة بالرجال الأجانب.

إن هذه التجربة التي خاضتها المرأة في بلادنا تثبت خطأ مقولة دُعاة التبرج والاختلاط «إن النساء في بلادنا طاقات معطلة لا يمكن أن تُستثمر إلا إذا خلعت حجابها وزاحمت الرجال في مكاتبهم وأعمالهم {كَبُرَتْ كَلمةً تخرجُ من أفواهِهِم إن يقولون إلا كَذِباً}[1]».

ماذا يريدون؟!

إن هؤلاء لا يريدون حضارة ولا مدنية ولا تقدماً ولا رقياً.. إنهم يريدون أن تكون المرأة قريبة منهم.. يريدونها كلأً مباحاً لشهواتهم.. يريدونها سلعة مكشوفة لنزواتهم.. يريدون العبث بها كلما أرادوا.. والمتاجرة بها في أسواق الرذيلة.. إنهم يريدون امرأة بغير حياء ولا عفاف.. يريدون امرأة غريبة الفكر والتصور والهدف والغاية.. يريدون امرأة تجيد فنون الرقص.. وتتقن ألوان الغناء والتمثيل.. يريدون امرأة متحررة من عقيدتها وإيمانها وطهرها وأخلاقها وعفافها..

الرد على من اتهم الدعاة إلى الحجاب

أما هؤلاء فحدِّث عنهم ولا حرج.. إنهم يكذبون.. ويعلمون أنهم يكذبون.. يقول: إن الدعاة إلى الفضيلة ينظرون إلى المرأة نظرة جسدية، أما إذا تركت المرأة تلبس ما تشاء فسوف تختفي تلك النظرة وسوف يكون التعامل بين الرجل والمرأة على أساس من الاحترام المتبادل.

والحقيقة التي لا مراء فيها تكذِّب هذه الدعوى وتفضح تلك المقولة.

إن الحجاب أعظم معين للمرأة للمحافظة على عفتها وحيائها، وهو يصونها عن أعين السوء ونظرات الفحشاء، وقد أقرَّ بذلك الذين ذاقوا مرارة التبرج والانحلال واكتووا بنار الفجور والاختلاط، والحقُّ ما شهدت به الأعداء!! تقول الصحفية الأمريكية "هيلسيان ستاسنبري" بعد أن أمضتْ في إحدى العواصم العربية عدة أسابيع ثم عادت إلى بلادها: «إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيّد الفتاة والشاب في حدود المعقول، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي فعندهم أخلاق موروثة تحتِّم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم. وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية، التي تهدم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا.. امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا».

---

(١) انظر: الكهف: ٥.

فهـذه امـرأة أمـريكية تدعـو إلى الحجاب بعد أن رأت التمزق الأسري والانحلال الخلقي يعصف بمجتمعها.

أمريكية توصينا بالتمسك بأخلاقنا الإسلامية الجميلة، وعاداتنا الحسنة.

أمـريكية تحـذرنا مـن مغـبّة الاخـتلاط والإباحـية الـتي أدت إلى فسـاد المجتمعات في أوروبا وأمريكا.

فأبشـري يافـتاة الإسـلام.. وقـرّي بحجابـك عيناً.. واعلمي أن المستقبل لهذا الدين، وأن العاقبة للمتقين، ولو كره الكارهون.

وأخـيراً أسـأل الله أن يمـنّ علينـا وعلـى جمـيع المسـلمين باتباع كتابه الكريم، والتمسكٍ بهـدي نبـيه ﷺ وأن يعصـمنا مـن مضـلات الفـتن واتباع شهوات النفوس، وأن يرينا الحق حقاً ويـرزقنا اتـباعه، والـباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، إنه خير مسئول وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه.

المراجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ صحيح البخاري: مطبوع على هامش فتح الباري، طبعة دار الفكر.
٣ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، طبعة دار الفكر.
٤ ـ صحيح مسلم، طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.
٥ ـ أوجز المسالك إلى موطأ مالك لمحمد زكريا الكاندهلوي الطبعة الثالثة.
٦ ـ سنن الترمذي: تحقيق أحمد شاكر، محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة البابي الحلبي.
٧ ـ سنن أبي داود: طبعة الحلبي.
٨ ـ سنن البيهقي: طبعة الدار السلفية.
٩ ـ ابن منظور: لسان العرب، طبعة دار إحياء التراث.
١٠ ـ جامع الأصول في أحاديث الرسول ـ طبعة دار الفكر ـ لبنان.
١١ ـ إحياء علوم الدين، للغزالي ـ طبعة دار القلم.
١٢ ـ اللمعات: ترجمة إحسان قاسم الصالحي.
١٣ ـ الآداب: للبيهقي.
١٤ ـ مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، حسين بن محمد.
١٥ ـ هدي الساري مقدمة فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، طبعة الريان.

بسم الله الرحمن الرحيم

المبادئ والركائز التي تستند إليها قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة

د. موسى مصطفى شحادة
أستاذ القانون العام المساعد
رئيس شعبة البحوث القانونية
والخبير بمركز بحوث شرطة الشارقة

مقدمة عامة

تمثل قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة والصادرة استناداً إلى التعليمات المحلية رقم (١) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام وقرار المجلس التنفيذي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م عنصرين هامين من عناصر ما يسمى بالفقه الإداري "النظام العام". هذين العنصرين هما: تحقيق السكينة العامة والمحافظة على الآداب والأخلاق العامة، علماً أن عناصر النظام العام هي (الأمن العام والصحة العامة والسكينة العامة والآداب والأخلاق العامة).

ويقصد بالنظام العام الأسس والمفاهيم والمعتقدات التي يقوم عليها المجتمع ـ سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ـ السائدة في الدولة وهي قابلة للتطور بحسب ظروف المكان والزمان.

فقواعد النظام العام قواعد آمرة لا يجوز مخالفتها لأن هذه القواعد تستهدف المحافظة على القيم والمثل العليا، وكونها تتكون عن طريق التقاليد والأعراف والمبادئ العامة. وهذا يعني أن قواعد الاحتشام والسلوك العام قواعد آمرة لا يجوز مخالفتها لأن مصدرها العرف والعادات والتقاليد.

قبل أن نحدد المبادئ والركائز التي تستند إليها قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة نرى من المفيد أن نبين النظام القانوني لقواعد الاحتشام والسلوك العام من خلال الموضوعات التالية:-

١-التشريعات القانونية الخاصة بقواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة.
٢-السند القانوني لقواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة.
٣-الهدف من قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة.
٤-نطاق تطبيق قواعد الاحتشام والسلوك العام من حيث (الأشخاص والمكان والزمان).
٥-القيمة القانونية لتدابير الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة.

المبحث الأول: النظام القانوني لقواعد الاحتشام والسلوك العام

أولاً: التشريعات القانونية الخاصة بقواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة

أصدر حاكم إمارة الشارقة التعليمات المحلية رقم (١) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة ليعمل بها اعتباراً من ١٦ يونيو ٢٠٠١م.

ولوضع هذه التعليمات موضع التطبيق، أصدر المجلس التنفيذي بإمارة الشارقة قراره رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م مبيناً الأسس والقواعد والآليات الكفيلة بتطبيق هذه التعليمات تطبيقاً صحيحاً اعتباراً من ٢٦ سبتمبر ٢٠٠١م.

ولغايات تسهيل تنفيذ قرار المجلس التنفيذي أصدر مدير عام شرطة الشارقة القرار الإداري رقم (٣٠٨) لسنة ٢٠٠١م بشأن تنفيذ قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة ليتزامن تطبيقه مع بدء سريان قرار المجلس التنفيذي.

والسؤال الذي يتبادر فوراً إلى الذهن عن السند القانوني لإصدار مثل هذه التعليمات والقرارات وعن الهدف أو الغاية من إصدارها ونطاق تطبيقها والقيمة القانونية لتدابير الاحتشام والسلوك العام.

ثانياً: السند القانوني لقواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة

تنص المادة (٤٤) من دستور دولة الإمارات العربية المتحدة الحالي لسنة ١٩٧١ على أن "احترام الدستور والقوانين والأوامر الصادرة من السلطات العامة تنفيذاً لها ومراعاة النظام العام واحترام الآداب العامة، واجب على جميع سكان الاتحاد".

وفي نطاق أشكال توزيع الاختصاصات بين الاتحاد والإمارات (الولايات)، يوجد شكلان رئيسيان من حيث المبدأ لتوزيع الاختصاصات:

الأول: هو إيراد بيان حصري باختصاص الاتحاد على أن يكون الاختصاص بباقي الأمور للإمارات (الولايات).

الثاني: هو إيراد اختصاصات الإمارات (الولايات) على سبيل الحصر على أن يكون الباقي للاتحاد.

وعموماً فإن أغلب الدول ذات الاتحاد الفيدرالي تأخذ بالأسلوب الأول وهو أن يكون اختصاص الاتحاد وارداً على سبيل الحصر، ولعل السبب في ذلك هو أن أغلب الدول ذات الاتحاد الفيدرالي نشأت بسبب اتحاد دول كانت مستقلة عن بعضها قبل تكوين الاتحاد. لذلك فإن وجود الاتحاد يفرض على الإمارات (الولايات) أن تتنازل عن جزء من اختصاصاتها لتلبية الحاجة إلى قيامه مع احتفاظ الإمارات بالباقي من الاختصاصات.

ومن الدول التي أخذت بالأسلوب الأول الولايات المتحدة الأمريكية ودولة الإمارات العربية المتحدة، ومن الدول التي أخذت بالأسلوب الثاني كندا وجنوب أفريقيا(٦٢).

بالنسبة لدولة الإمارات العربية المتحدة فقد ورد توزيع الاختصاصات بين الاتحاد والإمارات في الباب السابع من دستورها تحت عنوان "توزيع الاختصاصات التشريعية والتنفيذية والدولية بين الاتحاد والإمارات". فقد نصت المادة (١٢٠) من هذا الباب على الشؤون أو الموضوعات التي يختص الاتحاد فيها بالتشريع والتنفيذ اختصاصاً حصرياً "ينفرد الاتحاد بالتشريع والتنفيذ في الشؤون التالية ..."(٦٣). ونصت المادة (١٢١) على الشؤون الخاضعة للاختصاص التشريعي للاتحاد دون الإخلال بما هو منصوص عليه في المادة السابقة، "ينفرد الاتحاد بالتشريع في الشؤون التالية ..."(٦٤). وأكدت المادة (١٢٢) من الدستور على أن "تختص الإمارات بكل ما لا تنفرد فيه السلطات الاتحادية بموجب أحكام المادتين (١٢٠) و (١٢١) السابقتين".

وهذا ما نصت عليه المادة (١١٦) من الدستور في الباب السادس تحت عنوان "الإمارات" بقولها "تتولى الإمارات جميع السلطات التي لم يعهد بها هذا الدستور للاتحاد..".

استكمالاً لأشكال توزيع الاختصاصات بين الاتحاد والإمارات نصت المادة (١١٧) من الدستور على أن "يستهدف الحكم في كل إمارة بوجه خاص، حفظ الأمن والنظام داخل أراضيها وتوفير المرافق العامة ورفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي فيها".

يستفاد من هذه النصوص ما يلي:

١-يتوجب على جميع سكان دولة الإمارات العربية المتحدة وبصرف النظر عن جنسياتهم احترام دستور الدولة وقوانينها، وكذلك مراعاة النظام العام والآداب العامة في الدولة.

٢-تحتفظ كل إمارة من الإمارات بالاختصاصات التشريعية والتنفيذية في كل ما لم ينفرد به الاتحاد بموجب المادتين (١٢٠)، (١٢١) من الدستور.

٣-أن مباشرة سلطة الضبط الإداري داخل كل إمارة والمحافظة على النظام العام فيها من اختصاص كل إمارة استناداً لنص المادة (١١٧) من الدستور.

بـناء علـى ذلك فإن من حق كل إمارة أن تتخذ كافة الإجراءات والتدابير الخاصة بأمنها والمحافظة على نظامها العام بشرطين:

I- أن لا يـتعدى نطـاق هـذه الـتدابير والإجراءات حدود الإمارة، أي النطاق الجغرافي للإمارة (الاختصاص المكاني).

II- عدم المساس بالنظام العام لدولة الاتحاد ككل.

نسـتنتج ممـا سبق أن السند القانوني لإصدار التعليمات المحلية بشأن الاحتشام والسلوك العـام والقـرارات الصـادرة تنفـيذاً لهـا هو الدستور ذاته، وخاصة المادتان (٤٤) و (١١٧) منه، علـى اعتـبار أن هذه التعليمات والقرارات تعد من قبيل تدابير الضبط الإداري والتي تهدف إلى المحافظـة علـى الـنظام العـام في إمـارة الشـارقة بجمـيع مدلـولاته وهي (الأمن العام، والصحة العامـة، والسـكينة العامـة والآداب والأخـلاق العامـة)، شريطة أن لا يتعدى نطاق تطبيق هذه التدابير حدود الإمارة بالإضافة إلى عدم مساسها بالنظام العام لدولة الاتحاد ككل.

ثالثاً: الهدف من قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة

تسعى التعليمات المحلية بشأن الاحتشام والسلوك العام والقرارات الصادرة تنفيذاً لها إلى تحقيق هدفين رئيسيين:

١- هـدف مباشر: وهو حفظ المجتمع وعاداته وتقاليده وأعرافه وسلوكياته وقيمه الأصيلة والمـوروثة مـن العادات الدخيلة والإفرازات السلبية التي تمس منظومة القيم الاجتماعية في دولة الإمارات العربية المتحدة، وبصفة خاصة في إمارة الشارقة.

كمـا تهـدف هـذه التعلـيمات والقـرارات إلى صـيانة مقـومات وركائـز المجتمع بهدي من الشـريعة الإسـلامية السـمحاء. وكـذلك تـوفير بيـئة مجتمعية وأسرية راقية وفق عادات وتقاليد المجـتمع الأصـيلة وثقافـته وتـراثه ووفـق تعلـيمات الشـريعة الإسـلامية ممـا يكفـل حفظ أفراد المجتمع وأبنائه من كل المظاهر الدخيلة.

وهـذا مـا أكدتـه المادتـان (١) و (٢) مـن التعليمات المحلية رقم (١) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشـام والسـلوك العـام، حـيث نصـت المـادة رقـم (١) علـى أن "تهدف هذه التعليمات إلى حمايـة المجـتمع مـن العـادات الدخـيلة وصـيانة مقوماته المستندة إلى الشريعة الإسلامية الغراء وتصون السلوك العام للأفراد".

كمـا ألـزمت المـادة رقـم (٢) "جمـيع الأفـراد مراعاة الاحتشام وقواعد السلوك القويم وفقاً لتعالـيم الشـريعة الإسـلامية الغـراء والمحافظـة علـى عـادات وتقالـيد المجـتمع وحمايـتها من العادات الدخيلة".

وبنفس المعنى ألزمت المادة رقم (٢) من قرار المجلس التنفيذي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام "جميع الأفراد في إمارة الشارقة مراعاة تعليمات الاحتشام والسلوك العام واحترام الآداب وتقاليد البلاد". وهذا ما تبنته المادة رقم (٣) من القرار الصادر عن شرطة الشارقة رقم (٣٠٨) لسنة ٢٠٠١م بشأن تنفيذ قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة.

٢- <u>هدف غير مباشر</u>: وهو الوقاية من الجريمة على اعتبار أن التشريعات الصادرة في أي دولة من الدول (الدستور، والقانون، والنظام، والتعليمات، والقرارات) تشكل كقاعدة عامة، الإطار القانوني والركيزة الأساسية للوقاية من الجريمة ومكافحتها. وتتمثل هذه السياسة في سن التشريعات وإصدار الأنظمة واللوائح والتعليمات والقرارات وتعديلها كلما دعت الحاجة إلى ذلك لمواجهة المظاهر السلبية في المجتمع ووضعها في إطار قانوني كوسيلة واقية تردع مرتكبيها.

صحيح أن التعليمات المحلية بشأن الاحتشام والقرارات الصادرة لها لم تجرم أفعالاً على غرار قانون العقوبات، وإنما وضعت الأسس والقواعد والآليات للاحتشام ومراعاة السلوك العام واحترام النظام العام والآداب العامة متمثلة في اللباس المحتشم وفي سلوكيات الأفراد كالكف عن المعاكسة والتسكع ودخول الأماكن المخصصة للنساء والخلوة غير المشروعة.. الخ. ونصت على مجموعة من التدابير الضبطية لمخالفة من لا يتقيد بهذه القواعد.

وخلاصة القول فإن تطبيق قواعد الاحتشام والسلوك العام في المجتمع سيكون لها تأثير غير مباشر على الوقاية من الجريمة ومنعها "فالوقاية خير من العلاج"، فكم من جريمة اغتصاب وقعت على نساء مستلقيات على شواطئ عامة بملابس شبه عارية، وكم من حالات التهجم والتحرش وقعت على نساء يظهرن بملابس غير محتشمة ومثيرة لضعاف النفوس. وكم من ألفاظ جارحة ألقيت على مسامع النساء والفتيات اللواتي يبالغن في إبراز أجسادهن ومفاتنهن، وكم من مناظر مؤذية وغير مألوفة تثير استهجان المارة والمتسوقين ولا تمت بصلة لعاداتنا وتقاليدنا وديننا الحنيف.

رابعاً: نطاق تطبيق قواعد الاحتشام والسلوك العام من حيث (الأشخاص والمكان والزمان):

١-<u>نطاق التطبيق من حيث الأشخاص</u>

تطبق قواعد الاحتشام والسلوك العام على جميع الأفراد في إمارة الشارقة. وهذا ما أكدته المادة (٢) من التعليمات المحلية رقم (١) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام الصادرة عن حاكم إمارة الشارقة بقولها "على جميع الأفراد مراعاة الاحتشام وقواعد السلوك القويم..". وبنفس المعنى نصت المادة (٢) من قرار المجلس التنفيذي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام على أن "يراعي جميع الأفراد في إمارة الشارقة تعليمات الاحتشام والسلوك العام ...".

وقد فصلت المادة رقم (٢/أ) من القرار الإداري رقم (٣٠٨) لسنة ٢٠٠١م بشأن تنفيذ قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة الصادر عن مدير عام شرطة الشارقة نطاق تطبيق قواعد الاحتشام والسلوك العام من حيث الأشخاص بقولها "يطبق هذا القرار على جميع الأشخاص المقيمين والعاملين والزائرين والمتواجدين بالإمارة".

٢-نطاق التطبيق من حيث المكان

I- القاعدة:

إن نطاق تطبيق قواعد الاحتشام والسلوك العام من حيث المكان هو إمارة الشارقة ولا يمتد تطبيقها إلى الإمارات الأخرى للاتحاد.

وقد فصلت المادة (٢/ب) من القرار الإداري رقم (٣٠٨) لسنة ٢٠٠١م نطاق التطبيق من حيث المكان بقولها "يطبق هذا القرار في:

- جميع الوزارات والدوائر والهيئات والمؤسسات الحكومية في الإمارة.
- جميع المرافق العامة والخاصة بالإمارة.
- الأسواق بجميع أنواعها.
- المتنزهات والحدائق العامة ومناطق الترفيه في الإمارة.
- المتاحف والأماكن السياحية المختلفة في الإمارة.
- الشواطئ العامة.

II- الاستثناء:

استثنى القرار بعض الأماكن الخاصة من التطبيق وعلى وجه الخصوص:

- المنازل لما للمنازل من حرمة لا يجوز انتهاكها أو دخولها إلا بأذن من الجهات المختصة (النيابة العامة والمحاكم).
- المتنزهات الخاصة.
- حمامات السباحة والشواطئ الخاصة كشواطئ الفنادق والشواطئ المحاذية للمنازل.
- المؤسسات التعليمية العامة والخاصة بمختلف أنواعها ودرجاتها كالمدارس والمعاهد والجامعات والكليات والأكاديميات...الخ.
- قاعات الأفراح.

٣- نطاق التطبيق من حيث الزمان

يبدأ سريان تطبيق التعليمات المحلية رقم (١) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام من تاريخ صدورها وهو ١٦ يونيو ٢٠٠١م ونشرها في الجريدة الرسمية (مادة ٥).

أما بالنسبة لقرار المجلس التنفيذي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام فيبدأ سريانه بعد ثلاثة أشهر من تاريخ صدوره في ٢٦ يونيو ٢٠٠١م ونشره في الجريدة الرسمية، أي بتاريخ ٢٦ سبتمبر ٢٠٠١م (مادة ٩).

ويبدأ نفاذ القرار الإداري رقم (٣٠٨) لسنة ٢٠٠١م الصادر عن مدير عام شرطة الشارقة في ٢٦ سبتمبر ٢٠٠١م (مادة ١٢). أي جاء تطبيقه ليتزامن مع تطبيق قرار المجلس التنفيذي.

خامساً: القيمة القانونية لتدابير الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة

تعتبر تدابير الضبط المنصوص عليها في قرار المجلس التنفيذي وقرار مدير عام شرطة الشارقة من قبيل "تدابير الضبط الإداري" التي تهدف إلى حفظ النظام العام في المجتمع. ويترتب على ذلك تقييد السلطات المختصة باتخاذ التدبير الضبطي المناسب على المخالف لقواعد الاحتشام والسلوك العام من بين التدابير المنصوص عليها حصراً وفقاً لقاعدة "مشروعية التدبير الضبطي المتخذ بحق المخالف".

وأن هذه التدابير لا تعتبر عقوبات بالمعنى القانوني والاصطلاحي، لذلك فإن اتخاذ هذه التدابير لا يمنع من اللجوء إلى رفع الدعاوى الجنائية أو المدنية بحق المخالفين عند الاقتضاء.

المبحث الثاني: المبادئ والركائز التي تستند إليها قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة

لقد تضمنت التعليمات المحلية بشأن الاحتشام والسلوك العام والقرارات الصادرة تنفيذاً لها وخاصة قرار المجلس التنفيذي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م عدداً من المبادئ والركائز الهامة التي يتوجب على الجهات المنوط بها التنفيذ مراعاتها وأخذها بعين الاعتبار عند تنفيذ التدابير الضبطية بحق المخالفين، ومن أهم هذه المبادئ:

١- مبدأ عدم المساس بالحريات العامة.
٢- مبدأ عدم الإخلال بالمساواة أمام المرافق العامة.
٣- مبدأ عدم الإخلال بالعقوبات المقررة في القوانين السارية.
٤- مبدأ التناصح والإرشاد والأسلوب الحسن في النشر والإعلان والتنفيذ.
٥- مبدأ التدرج في التطبيق.
٦- مبدأ التناسب أو الملاءمة بين السلوك المخالف وتدابير الضبط المتخذة.
٧- مبدأ التنسيق والتعاون بين جهاز الشرطة والجهات المعاونة للشرطة في تطبيق تدابير الضبط.

أولاً: مبدأ عدم المساس بالحريات العامة

يجب على الجهة المنوط بها تنفيذ قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة (شرطة الشارقة بصفة أساسية، والموظفون العموميون المختصون ومسؤولو الأمن والحراس ومن في حكمهم العاملون في الجهات الخدمية كجهات معاونة للشرطة)، احترام الحريات العامة للأفراد الواردة في الباب الثالث من دستور دولة الإمارات العربية المتحدة أثناء تطبيقها هذه القواعد. ولا تستطيع تقييد هذه الحريات إلا استثناء عندما تستلزمها مصلحة النظام العام وبصفة مؤقتة وبالقدر الضروري ودون توسع أو تجاوز.

وهذا ما أكدته الإعلانات والمواثيق العالمية لحقوق الإنسان والبروتوكولات الملحقة بها. فقد نصت المادة رقم (٤) من إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي الصادر في ٢٦ أغسطس ١٧٨٩ على أن "الحرية يمارسها كل فرد بالقدر الذي يسمح للآخرين بممارستها بنفس المدى". ونصت المادة رقم (٢) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة ١٩٤٨ على أن "لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في هذا الإعلان دون تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر، ودون تفرقة بين الرجال والنساء".

وقد حاول مجلس الدولة الفرنسي أن يوازن في أحكامه المتعددة بين متطلبات وتدابير الضبط وضمان الحريات العامة انطلاقاً من المبادئ التي حددتها إعلانات ومواثيق واتفاقيات حقوق الإنسان. هذا التوازن بينه مفوض الحكومة لدى مجلس الدولة الفرنسي السيد CORNEILLE بعبارته المشهورة التي جاءت في مذكرته القانونية حول حكم مجلس الدولة بعنوان "Baldy" بقوله "الحرية هي القاعدة وقيود الضبط هي الاستثناء". بمعنى أنه يجب تفسير النصوص التشريعية واللائحية الخاصة بالحريات العامة تفسيراً ضيقاً وفقاً لمبدأ إيثار الحرية على قيود وتدابير الضبط الإداري التي تتخذها سلطات الضبط. بناء على ذلك فإنه لا يجوز لسلطات الضبط الإداري أن تتدخل في الحريات العامة للأفراد إلا حينما يتهدد النظام العام بأحد عناصره ومدلولاته (الأمن العام، والصحة العامة، والسكينة العامة، والآداب والأخلاق العامة). وأن يكون التدخل في أضيق الحدود وبصفة مؤقتة وبالقدر الضروري واللازم للمحافظة على النظام العام ودون توسع أو تجاوز. ولا يجوز أن يصل الأمر إلى التحريم المطلق والتام لممارسة الحريات العامة، لأن ذلك يعنى إلغاء هذه الحريات وهذا غير مشروع.

وتختلف سلطات الضبط الإداري في تقييد الحريات العامة بغية حفظ النظام العام تبعاً لقيمة الحريات، فتضيق هذه السلطات في مواجهة الحريات الأساسية أو الجوهرية كحرية

العقيدة والرأي والصحافة والمسكن والتنقل، بينما تتسع هذه السلطات في مواجهة الحريات الأقل أهمية كحرية التظاهر أو التجمهر أو الاعتصام. كما وتختلف هذه السلطات حسب الظروف، فتضيق في الظروف العادية وتتسع في الظروف الاستثنائية.

وقد تمسك الفقه بهذه المبادئ لدرجة أن عززت موقف القضاء الإداري الذي غالباً ما يعطي الأولوية والأفضلية للحريات العامة على قيود الضبط الإداري بغرض المحافظة على النظام العام في المنازعات التي يفصل فيها.

وقد عبرت المادة الأولى من قرار المجلس التنفيذي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام عن مبدأ عدم المساس بالحريات العامة بصورة واضحة وصريحة بقولها "دون مساسٍ بالحريات العامة التي كفلها الدستور ...".

ثانياً: مبدأ عدم الإخلال بالمساواة أمام المرافق العامة

يجب على الجهات المختصة بتنفيذ قواعد الاحتشام والسلوك العام احترام مبدأ مساواة الجميع أمام القانون واللوائح، وبصفة خاصة مبدأ المساواة أمام المرافق العامة، أثناء تطبيقها لهذه القواعد، لأن مبدأ المساواة بين الأفراد بمفهومه العام يعد من المبادئ الأساسية التي أكدتها الأديان السماوية والمواثيق الدولية والتشريعات القانونية وخاصة دساتير الدول وكذلك أحكام القضاء.

والمساواة بين الناس حقيقة ظاهرة في النظام الإسلامي بناء على قوله تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير"(٦٥). ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "الناس سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى". وقد أرسى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مبدأ المساواة بقوله "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً".

وقد نص على مبدأ المساواة إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي لسنة ١٧٨٩ في المواد (١، ٦)، حيث نصت المادة الأولى على "أن الناس يولدون ويعيشون أحراراً ومتساويين أمام القانون ...". أما المادة (٦) فنصت على "إن جميع المواطنين متساوون أمام القانون في الكرامة والحقوق والوظائف العامة ...". وقد أكد هذا المبدأ الاعلان العالمي لحقوق الإنسان لسنة ١٩٤٨ في مادته الأولى بقوله "يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة وفي الحقوق..". وقد أكد دستور دولة الإمارات العربية المتحدة هذا المبدأ في المادة (٢٥) بقوله "جميع الأفراد لدى القانون سواء، ولا تمييز بين مواطني الاتحاد بسبب الأصل أو الموطن أو العقيدة الدينية أو المركز الاجتماعي".

ويجد مبدأ المساواة أمام المرافق العامة حدوده الطبيعية في نظرية الانتفاع وفي نظرية المرفق العام. كما ويجد نطاقه ومجاله في قانون المرافق العامة أو ما يمكن أن يطلق عليه مجموعة القواعد العامة والمبادئ الأساسية للمرافق العامة وخاصة مبدأ دوام سير المرفق العام، ومبدأ قابلية المرفق للتغيير والتبديل.

ويقتضي هذا المبدأ مساواة جميع الأفراد أمام المرافق العامة. ولا يقصد بالمساواة في هذا الصدد المساواة المطلقة وإنما المساواة النسبية، أي المساواة بين الأفراد الذين تتحقق فيهم الشروط والأحوال التي فرضها المرفق. وكذلك المساواة القانونية وليست المساواة الواقعية، أي المساواة المستمدة من نصوص القانون واللوائح وليست المساواة المستمدة من الواقع.

وتطبيقاً لذلك فإنه يتعين أن يكون الإجراء الضبطي الذي تتخذه سلطات الضبط الإداري للمحافظة على النظام العام عاماً في مواجهة الأفراد ومحققاً لمبدأ المساواة وخاصة الأفراد المتساويين في مراكزهم القانونية وظروفهم وأحوالهم.

وقد أكدت المادة (٢) من التعليمات المحلية رقم (١) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام مبدأ المساواة أمام المرافق العامة بقولها "على جميع الأفراد مراعاة الاحتشام والسلوك القويم وفقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية الغراء والمحافظة على عادات وتقاليد المجتمع وحمايتها". وبنفس المعنى قررت المادة (٢) من قرار المجلس التنفيذي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام بأن "يراعي جميع الأفراد في إمارة الشارقة تعليمات الاحتشام والسلوك العام واحترام آداب وتقاليد البلاد ....".

يستفاد من هذه النصوص أن الأفراد الذين يلتزمون بقواعد الاحتشام والسلوك العام والآداب العامة يوضعون على قدم المساواة القانونية في الانتفاع والاستفادة من خدمات المرافق العامة في إمارة الشارقة.

وبمفهوم المخالفة فإن الأفراد الذين لا يلتزمون بهذه القواعد يجوز حرمانهم من بعض الخدمات التي تقدمها هذه المرافق حرماناً مؤقتاً حتى إزالة أسباب المخالفة، ولا يعد ذلك إخلالاً بمبدأ المساواة أمام المرافق العامة. وهذا ما نصت عليه المادة (٤/٦) من قرار المجلس التنفيذي، حيث أجازت لسلطات الضبط المختصة عدم تقديم أية خدمة للمخالف لقواعد الاحتشام والسلوك العام ما لم يقم بإزالة المخالفة. وأيضاً نصت على ذلك المادة رقم (١/٧) من قرار المجلس التنفيذي حيث أجازت لسلطات الضبط الإداري المختصة منع المخالف من دخول الدوائر والمؤسسات والهيئات الحكومية والأماكن الخدمية الأخرى ما لم يقم بإزالة المخالفة المنسوبة إليه مع مراعاة حالات الضرورة.

وخلاصة القول فإنه لا يعد إخلالاً بمبدأ المساواة أمام المرافق العامة حرمان الأشخاص الذين يخالفون قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة من الاستفادة من خدمات المرافق العامة لأن المساواة لا تكون إلا بين المتساوين في المراكز القانونية وفي الظروف والأحوال.

ثالثاً: مبدأ عدم الإخلال بالعقوبات المقررة في القوانين السارية:

يقتضي على الجهات المنوط بها تنفيذ قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة عدم الإخلال بالعقوبات المقررة في القوانين العقابية النافذة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وخاصة قانون العقوبات الاتحادي رقم (٣) لسنة ١٩٨٧. وهذا ما أكدته المادة رقم (٧) من قرار المجلس التنفيذي بقولها "مع مراعاة المادتين (٥) و (٦) من هذا القرار ودون إخلال بالعقوبات المقررة في القوانين السارية يجوز لشرطة الشارقة ...".

وتختلف المسؤولية الجنائية عن المسؤولية عن مخالفة قواعد الاحتشام والسلوك العام من حيث الأساس والهدف والأركان ونطاق التطبيق.

١-من حيث الأساس: تتمثل المسؤولية الجنائية نتيجة لارتكاب الشخص أفعالاً مجرمة ينص عليها قانون العقوبات أو أية قوانين عقابية أخرى ويكون لكل فعل عقوبة محددة وفقاً لقاعدة "لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص"، بينما تثور المسؤولية عن مخالفة قواعد الاحتشام والسلوك العام نتيجة لإخلال الشخص بتعليمات قواعد الاحتشام والسلوك العام والقرارات الصادرة استناداً لها وهي قواعد وسلوكيات غير مقننة تتعلق بالنظام العام والآداب العامة. وإن ذكر بعض هذه السلوكيات في نصوص القرار التنفيذي المشار إليه أعلاه جاءت على سبيل المثال لا الحصر كما هو الحال في المخالفات التأديبية للموظف العام، كما لم يضع لها المشرع عقوبات وإنما تدابير ضبطية كلفت النظر والتعهد بعدم تكرار المخالفة...

٢-من حيث الهدف: تهدف المسؤولية الجنائية إلى مكافحة الجريمة عن طريق توقيع العقوبات على مرتكبي هذه الجرائم باسم ولمصلحة المجتمع. أما المسؤولية عن مخالفات قواعد الاحتشام والسلوك العام فتهدف إلى حث الأفراد في إمارة الشارقة على احترام النظام العام والآداب العامة عن طريق التدابير الضبطية التي تتخذها السلطات المختصة حماية للمجتمع من العادات الدخيلة وصيانة مقوماته المستندة إلى الشريعة الإسلامية الغراء.

٣-من حيث الأركان: فالمسؤولية الجنائية لها ركنان مادي يتمثل في سلوك الفاعل (فعلاً أو امتناعاً) وركن معنوي هو القصد الجنائي أو الإرادة الآثمة. أما المسؤولية عن مخالفات قواعد الاحتشام والسلوك العام فعناصرها مخالفة قواعد الاحتشام والسلوك العام والآداب والتقاليد (عنصر مادي) والنتيجة المتمثلة في الإخلال بهذه القواعد.

٤- <u>من حيث التطبيق</u>: تسري أحكام قانون العقوبات أو أية قوانين عقابية أخرى على كل من يرتكب جريمة في إقليم دولة الإمارات العربية المتحدة. بينما تسري قواعد الاحتشام والسلوك العام على الأفراد المقيمين والعاملين في إمارة الشارقة وكذلك الزائرين للإمارة والمتواجدين بها.

لذا فإن تطبيق قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة من قبل سلطات الضبط المختصة يجب أن لا يؤدي بأي حال من الأحوال إلى الإخلال بتطبيق قانون العقوبات أو أية قوانين عقابية نافذة في الدولة. خاصة وأن المخالفات الواردة بالمادتين (٢،٣) من قرار المجلس التنفيذي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م، والمادة (٣) من القرار الإداري رقم (٣٠٨) لسنة ٢٠٠١م أثارت بعض الخلط واللبس في الفهم والتطبيق ما بينها وبين الجرائم التي تقابلها في قانون العقوبات الاتحادي، وذلك على النحو الآتي:-

١. الفقرة (٤) من المادة (٣) من القرار الإداري تنص على " ... عدم ارتياد الرجال للأماكن المخصصة للنساء والفتيات، مع عدم الاقتراب منها إلا في ظروف مبررة تتفق مع عادات وتقاليد المجتمع وبالقدر الضروري".

وتقابلها المادة (٢/٣٥٩) من قانون العقوبات والتي تنص على "... كما يعاقب بذات العقوبة كل رجل تنكر بزي امرأة ودخل مكانا خاصا بالنساء أو محظورا دخوله آنذاك لغير النساء ...".

٢. الفقرة (٥) من ذات المادة من القرار تنص على " ... تجنب الخلوة غير المشروعة وغيرها من السلوكيات والتصرفات الأخرى المشبوهة والتي تخرج عن عادات وتقاليد المجتمع وتخدش الحياء".

وتقابلها المادة (٣/٣١٢) من قانون العقوبات والتي تنص على "... تحسين المعصية أو الحض عليها أو الترويج لها، أو إتيان أي أمر من شأنه الإغراء على ارتكابها".

٣. الفقرة (٧) من ذات المادة تنص على "... عدم إتيان أي فعل من أفعال معاكسة الفتيات والتي تخدش الحياء العام".

وتقابلها المادة (١/٣٥٩) من قانون العقوبات والتي تنص على " يعاقب بالحبس ... من تعرض لأنثى على وجه يخدش حياءها بالقول أو الفعل في طريق عام أو مكان مطروق".

ولتطبيق قانون العقوبات الاتحادي على تلك الأفعال والسلوكيات يجب توفر ركني المسؤولية الجنائية في تلك الأفعال وهما الركن المادي (سلوك الجاني) والركن المعنوي (الإرادة والقصد الجنائي)، وإذا لم يتوفر هذان الركنان فهنا يجوز تطبيق تدابير الضبط المنصوص عليها في قرارات الاحتشام والسلوك العام، على اعتبار أن هذه الأفعال والسلوكيات تمس النظام العام بأحد عناصره القانونية وخاصة تحقيق السكينة العامة والمحافظة على الآداب والأخلاق العامة.

رابعاً: مبدأ التناصح والإرشاد والأسلوب الحسن في النشر والإعلان والتنفيذ:

١- مبدأ التناصح والأسلوب الحسن في النشر والإعلان

أكد قرار المجلس التنفيذي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام على جميع الجهات المكلفة بحملات التوعية والتثقيف بقواعد الاحتشام والسلوك العام والآداب العامة وخاصة: الوزارات والدوائر الحكومية والهيئات والمؤسسات العامة، والهيئات والمؤسسات الخدمية الخاصة، والفنادق والشقق المفروشة وما في حكمها، وهيئات السياحة ووكالات السفر، والسفارات والقنصليات والملحقيات الأجنبية الموجودة بالدولة وكذلك سفارات الدولة وقنصلياتها وملحقياتها بالخارج، والمؤسسات التعليمية العامة والخاصة بمختلف أنواعها ودرجاتها وأية جهة أخرى ذات علاقة، مراعاة مبدأ التناصح والأسلوب الحسن في نشر واعلان الكتيبات والمطبوعات والملصقات الخاصة بقواعد الاحتشام والسلوك العام لما لذلك من أثر إيجابي على تقبل الأفراد لهذه القواعد والالتزام بها.

٢- مبدأ التناصح والأسلوب الحسن في التنفيذ

الزم قرار المجلس التنفيذي بشأن الاحتشام والسلوك العام سلطات الضبط المختصة باتباع النصيحة والإرشاد والأسلوب الحسن والحضاري أثناء تطبيق قواعد الاحتشام والسلوك العام بما يساعد في التوعية بالمخالفات السلوكية وإزالة أسبابها.

ومثال ذلك ألزمت المادة رقم (٧) الفقرات (٢، ٣) من قرار المجلس التنفيذي شرطة الشارقة كجهة مختصة بالتنفيذ لفت نظر المخالفين شفاهة أو خطياً حسب مقتضى الحال بموضوع المخالفة بما يساعد على التوعية والإرشاد وإزالة أسباب المخالفة، وكذلك تزويد المخالفين بحسن نية بالكتيبات، والمطبوعات الإرشادية، الصادرة بشأن التوعية قبل أخذ التعهدات الخطية اللازمة في حالة تعمد تكرار المخالفة.

ونعتقد أن اتباع هذا الأسلوب سيكون له مردود إيجابي على مدى اقتناع الأفراد بمراعاة قواعد الاحتشام والسلوك العام من تلقاء أنفسهم وبمحض إرادتهم.

خامساً: مبدأ التدرج في تطبيق قواعد الاحتشام والسلوك العام:

نصت المادة رقم (١) من قرار المجلس التنفيذي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام على وجوب مراعاة مبدأ التدرج في تطبيق وتنفيذ قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة بقولها "... مع مراعاة التدرج في تنفيذها صوناً للمجتمع وحماية له من العادات الدخيلة".

وقد جاء التأكيد على هذا المبدأ من خلال تدابير الضبط الإداري، التي أجازت تعليمات الاحتشام وقواعد السلوك العام والقرارات الصادرة تنفيذاً لها، للجهات المختصة بالتنفيذ، اتخاذها حسب الأولوية ووفقاً لمبدأ التدرج في التنفيذ. حيث تبدأ هذه التدابير عادة بتنبيه المخالف ولفت نظره شفاهة بموضوع المخالفة طالبة منه إزالة أسبابها، كما يجوز لفت نظره خطياً بموضوع المخالفة طالبة منه عدم تكرارها وتزويد الأفراد الذين يخالفون بالكتيبات والمطبوعات الإرشادية التي تساعدهم وتبصرهم بالمخالفات وكيفية إزالتها، وفي حالة تعمد تكرار المخالفة يجوز أخذ التعهدات الخطية اللازمة على المخالفين، وأخيراً يجوز حرمان المخالف من بعض الخدمات التي تقدمها الدوائر والمؤسسات الحكومية والمرافق الخدمية الأخرى حتى إزالة أسباب المخالفة.

إن تطبيق مبدأ التدرج في تنفيذ قواعد الاحتشام والسلوك العام تطبيقاً صحيحاً يوجب على الجهات المختصة بتنفيذ هذه القواعد أن تقوم بالحملات التوعوية والتثقيفية والتنويرية والإعلامية اللازمة للتبصير بقواعد الاحتشام والسلوك العام وخاصة الأفعال والسلوكيات المخالفة والتي تتناقض مع عادات وتقاليد وأعراف المجتمع وقيمه الأصيلة النابعة من التعاليم الإسلامية السمحاء. ويكون ذلك من خلال الكتيبات والمطبوعات والملصقات والنشرات والمحاضرات والندوات والبرامج الموجهة للجمهور من خلال الأجهزة المرئية أو المسموعة أو من خلال الصحافة.

سادساً: مبدأ التناسب أو الملاءمة بين السلوك المخالف وتدابير الضبط المتخذة:

مقتضى هذا المبدأ أن تراعي الجهات المنوط بها تنفيذ قواعد الاحتشام والسلوك العام عند اتخاذها تدابير الضبط الإداري على الشخص المخالف لهذه القواعد مدى تناسبها وملاءمتها مع درجة خطورة الفعل أو السلوك المقترف من قبل الشخص على النظام العام في إمارة الشارقة وقيم المجتمع وعاداته وتقاليده، آخذة بعين الاعتبار حالات الضرورة والظروف الاستثنائية والاستعجال وغيرها من الاعتبارات الإنسانية والاجتماعية والثقافية ...الخ.

ونحن نعتقد أنه إذا كان من حق الجهات المنوط بها تنفيذ قواعد الاحتشام والسلوك العام تقدير خطورة الفعل أو السلوك المخالف لهذه القواعد وما يناسبه من تدبير ضبطي إلا أن ذلك رهن بما يلي:

١-أن يكون التدبير الضبطي المتخذ بحق المخالف من بين التدابير المنصوص عليها في تعليمات الاحتشام والسلوك العام والقرارات الصادرة استناداً لها. بمعنى أنه لا يحق لهذه الجهات اتخاذ تدابير ضبط إداري لم ترد ضمن قائمة التدابير المحددة حصراً. وهذا ما نطلق عليه "مشروعية التدبير الضبطي المتخذ بحق المخالف".

٢-أن لا يكون هناك غلو في استعمال الجهات المنوط بها التنفيذ لسلطاتها التقديرية. ومن صور هذا الغلو عدم الملاءمة الظاهرة بين خطورة الفعل أو السلوك المخالف وبين التدبير الضبطي المتخذ.

سابعاً: مبدأ التنسيق والتعاون بين جهاز الشرطة والجهات المعاونة للشرطة في تطبيق تدابير الضبط

أكدت تعليمات الاحتشام والسلوك العام والقرارات الصادرة استناداً لها على ضرورة التنسيق والتعاون بين جهاز الشرطة المنوط به تنفيذ تدابير الضبط بصورة أساسية وبين الجهات المعاونة للشرطة (الموظفون العموميون المختصون ومسؤولو الأمن والحراس ومن في حكمهم العاملون في الجهات الخدمية) في تطبيق وتنفيذ واتخاذ تدابير الضبط على المخالفين لقواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة.

ويظهر هذا التنسيق والتعاون بصفة أساسية من خلال نص المادة رقم (٦) من قرار المجلس التنفيذي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م والمادة رقم (٧) من قرار مدير عام شرطة الشارقة رقم (٣٠٨) لسنة ٢٠٠١م.

فقد أوجبت هذه النصوص على الجهات المعاونة للشرطة بأن تخطر الشخص المخالف لقواعد الاحتشام والسلوك العام بأنها ستقوم بالتبليغ عليه لدى الشرطة لاتخاذ التدابير والإجراءات المناسبة بحقه في حالة عدم إزالة أسباب المخالفة رغم التنبيه عليه بإزالتها. وفي مرحلة تالية تقوم هذه الجهات باستدعاء الشرطة لاتخاذ إجراءاتها طالما لم يستجب المخالف للإجراءات السابقة على ذلك.

إن التعاون والتنسيق بين الشرطة والجهات المعاونة لها سيكون له وبدون شك أثر فعال في تطبيق قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة. وكذلك في زيادة درجة الوعي والإدراك لدى الأفراد بضرورة تجنب الأفعال والسلوكيات التي تتناقض مع النظام العام والآداب العامة في المجتمع.

خاتمة

أن تحقيق النظام العام بجميع مدلولاته القانونية (الأمن العام والصحة العامة والسكينة العامة والآداب والأخلاق العامة) في أي دولة من الدول هو أمر حيوي وهام لحياة الجماعة واستقرارها. فالنظام العام الذي هو هدف الضبط الإداري لا يتحقق إلا عبر عدد من الوسائل تستخدمها سلطات الضبط الإداري وعلى رأسها حق إصدار لوائح مستقلة في مجال الضبط الإداري والتزام سلطات الضبط بالتدخل في حدود أغراض الضبط الإداري.

ترتيباً لذلك أصدر حاكم إمارة الشارقة التعليمات المحلية رقم (١) لسنة ٢٠٠١م بشأن الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة بهدف حفظ المجتمع وعاداته وتقاليده من العادات الدخيلة. وقد وضع قرار المجلس التنفيذي رقم (١٢) لسنة ٢٠٠١م هذه التعليمات موضع التطبيق من خلال تحديد عناصر الاحتشام والسلوك العام المتمثلة في اللباس المحتشم، وارتياد المساجد ومرافقها باللباس اللائق بقدسيتها، وارتياد الشواطئ العامة بالملابس غير الفاضحة، وتجنب الخلوة غير المشروعة، وعدم دخول الأماكن المخصصة للنساء، والكف عن التسكع ومعاكسة الفتيات وأي صورة من صور الإزعاج كالصياح الشديد واستخدام الألفاظ النابية.

حاولنا في هذا البحث أن نبين النظام القانوني لقواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة من خلال تحديد التشريعات الخاصة بقواعد الاحتشام والسلوك العام والسند القانوني من إصدارها والهدف منها ونطاق تطبيقها من حيث الأشخاص والمكان والزمان والقيمة القانونية لتدابير الضبط التي يحق اتخاذها بحق المخالفين.

وقد بينا أن قواعد الاحتشام والسلوك العام قامت على عدد من المبادئ الدستورية العليا كمبدأ عدم المساس بالحريات العامة، وعدم الإخلال بمبدأ المساواة أمام المرافق العامة، ومبدأ عدم الإخلال بتطبيق العقوبات المقررة في قانون العقوبات الاتحادي وأية قوانين عقابية سارية المفعول، ومبدأ التدرج في التطبيق، ومبدأ الملاءمة بين التدبير المتخذ والسلوك المخالف، وغيرها من المبادئ التي تساعد على التطبيق ومنها وأهمها مبدأ التناصح والإرشاد الحسن في النشر والإعلان والتنفيذ ومبدأ التنسيق والتعاون بين جهاز الشرطة والجهات المعاونة للشرطة في التطبيق.

من كل ما سبق نرى تسجيل الملاحظات والتوصيات التالية :-

١- يحق لكل إمارة في الاتحاد أن تتخذ كافة الإجراءات والتدابير الخاصة بالمحافظة على النظام العام والآداب العامة فيها بشرطين:

- أن لا يتعدى الأمر النطاق الجغرافي للإمارة.
- عدم المساس بالنظام العام لدولة الاتحاد ككل.

٢- تسعى قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة إلى تحقيق هدفين :-

- هدف مباشر: وهو حفظ المجتمع وعاداته وتقاليده وأعرافه وقيمه من العادات الدخيلة وصيانة مقومات وركائز المجتمع بهدي من الشريعة الإسلامية السمحاء.
- هدف غير مباشر: وهو الوقاية من الجريمة حيث يؤدي تطبيق قواعد الاحتشام والسلوك العام إلى الحد من الجرائم وخاصة الجرائم الأخلاقية أو المرتبطة بالعرض، فالوقاية خير من العلاج.

٣- تطبق قواعد الاحتشام والسلوك العام على جميع الأفراد في إمارة الشارقة مقيمين وعاملين وزائرين ومتواجدين فيها. كما يطبق في جميع الوزارات والدوائر والهيئات والمؤسسات الحكومية في الإمارة، وجميع المرافق العامة والخاصة، والأسواق والمتنزهات والحدائق العامة، والأماكن السياحية والشواطئ العامة، وتستثني من ذلك بعض الأماكن الخاصة كالمنازل وحمامات السباحة الخاصة وقاعات الأفراح.

٤- إن تطبيق قواعد الاحتشام والسلوك العام في إمارة الشارقة يجب أن لا يتعارض مع المبادئ الدستورية العليا كمبدأ عدم المساس بالحريات العامة، ومبدأ عدم الإخلال بالمساواة أمام المرافق العامة، ومبدأ عدم الإخلال بالعقوبات المقررة في القوانين السارية.

٥- هناك العديد من المبادئ والتوجيهات التي يجب مراعاتها عند تطبيق قواعد الاحتشام والسلوك العام ومنها: مبدأ التناصح والإرشاد والأسلوب الحسن في النشر والإعلان والتنفيذ، ومبدأ التدرج في التطبيق، ومبدأ الملاءمة بين السلوك المخالف والتدبير المتخذ من قبل السلطة المختصة باتخاذه، ومبدأ التنسيق والتعاون بين جهاز الشرطة والجهات المعاونة للشرطة في التطبيق.

٦- شرطة الشارقة هي الجهة الوحيدة المختصة باتخاذ تدابير الضبط المنصوص عليها. ويحق للجهات المعاونة للشرطة كالموظفين العموميين المختصين ومسؤولي الأمن والحراس ومن في حكمهم العاملين في الجهات الخدمية تبليغ الشرطة لاتخاذ التدابير المناسبة بحق المخالفين لقواعد الاحتشام والسلوك العام في حدود مواقع عملهم.

٧- تعتبر تدابير الضبط المنصوص عليها في تعليمات وقرارات الاحتشام والسلوك العام من قبيل "تدابير الضبط الإداري" ويترتب على ذلك تقييد السلطات المختصة باتخاذ التدبير الضبطي من بين التدابير المنصوص عليها حصراً وفقاً لقاعدة "مشروعية التدبير الضبطي المتخذ بحق المخالف".

٨- اتخاذ تدابير الضبط المنصوص عليها بحق المخالفين لقواعد الاحتشام والسلوك العام لا يمنع من اللجوء إلى رفع الدعاوى المدنية أو الجنائية عند الاقتضاء.

٩- إن مدى استجابة الأفراد لتنفيذ قواعد الاحتشام والسلوك العام بمحض أرادتهم يعتمد في المقام الأول على السلطات المنوط بها التنفيذ ومدى ما تتمتع به من خصال حميدة وأهمها: الموضوعية والنزاهة والحيدة والتسامح والعفة والحكمة والعدل والشفافية والمقدرة على الإقناع بأسلوب مهذب وبهدي من الشريعة الإسلامية السمحاء والأسلوب الحسن في التعامل.

١٠- نرى ضرورة مشاركة القطاع الخاص في الإمارة في حملات التوعية والنشر والإعلان تحت أشراف ورقابة وتوجيه وموافقة الأمانة العامة للمجلس التنفيذي.

١١- نرى ضرورة تعميم فكرة المحاضرات التنويرية والتثقيفية لتشمل مختلف القطاعات العامة والخاصة في الإمارة للتعريف بقواعد الاحتشام والسلوك العام وأهميتها في حفظ النظام العام والآداب العامة في المجتمع وكذلك عقد الندوات والحلقات العلمية والتليفزيونية لشرح تعليمات الاحتشام والسلوك العام والقرارات الصادرة تنفيذاً لها بالطريقة العلمية وبالطريقة الصحيحة.

بسم الله الرحمن الرحيم

ضوابط اللباس الشرعي للمرأة المسلمة

د. عبد الله ابراهيم الموسى
مدرس في وزارة التربية والتعليم
محاضر في جامعة عجمان
دولة الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فقد عُرف العرب بغَيْرتهم على نسائهم، بل وأد كثير منهم البنات خوفاً من لحوق العار، فكانت المرأة رمز كرامتهم وعزّهم، وكانوا يتباهون بسترها وحجابها، فهذا الأعشى ميمون يصف فتاته قائلا:

كأنهـــا درّة زهـــراء أخـــرجها غوّاص دارين يخشى دونها الغرقا

والدّرة تكون عادةً في أعماق البحار، لا يراها ولا يصل إليها الغوّاص الماهر ولم يكن هذا الحجاب عبادة وتقوى، إنما كان تقليداً وعادة اجتماعية، كما قال مالك بن عجلان السالمي لأخته عندما خرجت سافرةً حاسرةً:

(فضحتني ونكست رأسي وأغضضت بصري) فلم يقل لها: خالفت ربك وأغضبت إلهك الذي أمرك بالستر. فما هو إلا العرف الاجتماعي الذي يلحق العار بمن يخالفه. وكان هذا الحجاب منه بما هو خاص بالرأس، كالنقاب، واللثام، والخمار، والنصيف، والبرقع والقناع. ومنه ما هو خاص بالجسد يستره كله، مثل الملاءة، والربطة، والجلباب والإزار[1].

إلاّ أن هذا الحجاب لم يكن مطّرداً عند الجميع، فمنهم من يلبسه ومنهم من لا يقيم له وزناً، وآخرون يتهاونون بالعري، بحيث لا تختلف عنه حال الأمم المهذبة الراقية اليوم اختلافاً يذكر،

---

(١) مجلة الأحمدية عدد (١) محرم ١٤١٩هـ مايو ١٩٩٨، بحث للدكتورة زينب محمد صبري بيره حكلي، الصفحات: ٣٥٢، ٣٧٤، ٣٩٦.

فكان رجال من العرب يتعرى بعضهم أمام بعض بدون حياء أو تردد[2]، وكانوا لا يرون لزوم الاستتار عند الغسل أو قضاء الحاجة، وكانوا يطوفون بالكعبة عراةً، حتى النساء كنّ يتعَرَّيْن عند الطواف[3]. وهذه الحالة بعينها في أوربا وأميركا واليابان وغيرها من الدول الراقية اليوم[4].

وعندما جاء الإسلام، كان لباس المرأة المسلمة في أول مراحل الدعوة على نحو ما كانت عليه في الجاهلية، إلى أن نزلت آية الحجاب، وهي قوله تعالى: [وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب][5]. فامتثل النساء أمر الله عز وجل بإيمان مطلق واستسلام كامل، واحتجبن حجاباً تاماً بحيث لم يبدُ من أجسامهن شيء حتى صرن كأنهنَّ الغربان، وفوق هذا أحاط الإسلام المرأة بسياج من العفة والحياء، فنهاها عن التبرج وإظهار الزينة خارج بيتها، في الوقت الذي أباح لها أن تتزين لزوجها كما تشاء، وتتطيب وتتخضب وتكتحل، وتلبس من الثياب أجملها وأرقها[6].

وسارت النساء على هذا النهج من الطهر والعفة والحياء والحشمة. ببركة الإيمان بالله ورسوله، لا يعرفن التكشف ولا التبذل، حتى عند اجتماعهن ببعضهن أو بمحارمهن، واستمرت هذه السنة القويمة بهن قرناً بعد قرن إلى عهد قريب، حيث دخل في كثير من النساء ما دخل، من فسادٍ في اللباس والأخلاق، وذلك من نتائج المؤامرات على الإسلام والحجاب من قبل الأعداء، ودعاة السفور من أبناء هذه الأمّة تحت شعار الإصلاح وتحرير المرأة وغيرها من الشعارات المعسولة في ظاهرها الهدامة في حقيقتها[7].

الحكمة من الحجاب

الحجاب لغةً: الستر، تقول: حجب الشيء يحجبه حجباً وحجاباً، وحجبه: ستره، وامرأة محجوبة: قد سترت بسترٍ[8] ومنه الحاجب: الذي يقف على باب الأمير والوالي يمنع الدخول عليه إلا بإذن. وتحقيقاً لهذا المعنى – الستر، العزل – كانت غاية الحجاب، وهو حفظ بصر الرجال وقلوبهم من التعلق بالنساء. قال قتادة: (إذا أقبلت المرأة جلس الشيطان على

---

(٢) روى مسلم (٣٤١) كتاب، باب: الاعتناء بحفظ العورة، أن المسور بن مخرمة قال: أقبلت بحجر أحمله ثقيل وعليّ إزار خفيف. قال: فانحلّ إزاري ومعي الحجرٍ لم أستطع أن أضعه حتى بلغت به إلى موضعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ارجع إلى ثوبك فخذه ولا تمشوا عراة ".

(٣) كانت المرأة في الجاهلية تطوف عريانة وتقول: من يعيرني تطوافاً تجعله على فرجها وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... فما بدا منه فلا أحله

وكان إعطاء الكسوة لمثل هذه السائلة يعدّ من البرّ !

(٤) المودودي، الحجاب: ٢٦٩-٢٧٠.

(٥) الأحزاب: ٥٣.

(٦) ر: حجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، د. محمد فؤاد البرازي: ٧٥-٧٦.

(٧) من أمثال هؤلاء: رفاعة الطهطاوي، قاسم أمين، هدى شعراوي، سعد زغلول في مصر، وجميل صوفي، ومعروف الرصافي في العراق وغيرهم.

(٨) ابن منظور، لسان العرب: ٢٨٩/١ مادة (حجب).

رأسها؛ فزينها لمن ينظر، فإذا أدبرت جلس على عجزها فزينها لمن ينظر) وعلى هذا فلا يحل للرجل أن ينظر إلى المرأة، ولا المرأة إلى الرجل، فإن علاقته بها، وقصدها منه كقصده منها[*].

فالحجاب راعى ضرورات الحشمة والاحترام والعفاف، بالمحافظة على كرامة المرأة من نظرات السوء، وهو بالوقت ذاته لا يعيقها عن مزاولة مختلف المهام الدينية والدنيوية[9]. وبالغ الحكمة من الحجاب في قوله تعالى: [ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن][10].

شروط اللباس الشرعي

يصدق اللباس الشرعي على عدة مسميات تلبسها المرأة، معظمها قديم التسمية، منها ما هو خاص بالرأس كالخمار، ومنها ما هو خاص بالجسد أبرزها العباءة والجلباب، وهذا الأخير منطوق القرآن الكريم [يدنين عليهن من جلابيبهن][11]. وليست هذه التسميات القديمة والحديثة هي اللباس الشرعي حصراً، إنما هذه تسميات عربية للباس عربي، وربّ مسميات وأشكال أخرى من اللباس تنطبق عليها مواصفات اللباس الشرعي (كالمانطو والتراشكوت ونحوه). فما شروط اللباس الشرعي للمرأة عموما ؟

ثمة شروط اتفق الفقهاء عليها جملة، وإن اختلفوا في جزئياتها، هي شروط اللباس الشرعي:

١-أن يكون ساتراً لجميع بدنها.

٢-أن يكون كثيفاً لا يشف عما تحته.

٣-أن يكون واسعاً لا يصف الجسم.

٤-أن لا يكون لباس زينة.

٥-أن لا يكون لباس شهرة.

٦-ألا يشبه لباس الرجال.

٧-ألا يشبه لباس الكافرات.

سنتحدث عن كل شرط بالتفصيل، على النحو التالي:

الشرط الأول: أن يكون اللباس ساتراً للبدن

اتفق الفقهاء على هذا الشرط من حيث ستر البدن عموماً، واختلفوا في جزء منه: الوجه واليدين. فذهب فريق إلا أن كشفهما ليس عورة، وهم: الحنفية والمالكية[12] واستدلوا بما يلي:

(*) ر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٢٢٧/٢ سورة النور.

(٩) بيضون، المرأة والحياة الاجتماعية في الإسلام: ١١٦.

(١٠) الأحزاب (٥٣).

(١١) الأحزاب (٥٩).

(١٢) ر: ابن عابدين، الحاشية: ٧٨/٢، الحطاب، مواهب الجليل: ١٨١/٢.

١-بقوله تعالى: [ولا يبدين زينتهنّ إلا ما ظهر منها][١٣] قالوا المستثنى الوجه والكفّان، وزاد الحنفية القدمين. وهو مذهب سعيد بن جبير وعطاء والأوزاعي[١٤]. قال ابن عطية: (ويظهر لي بحكم ألفاظ الآية أن المرأة مأمورة بألا تبدي وأن تجتهد في الإخفاء لكل ما هو زينة، ووقع الاستثناء فيما يظهر بحكم ضرورة الحركة فيما لا بد منه، أو إصلاح شأن ونحو ذلك) ولما كان الغالب من الوجه والكفين ظهورهما عادةً وعبادة، وذلك في الصلاة والحج فيصلح أن يكون الاستثناء راجعاً إليهما[١٥].

٢-حديث عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: "كان الفضل رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت امرأة من خثعم – وفي رواية وضيئة – فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشقّ الآخر فقالت: إن فريضة الله أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة، أفأحجُّ عنه ؟ قال: نعم، وذلك في حجة الوداع"[١٦]. قال المستدلون على جواز كشف الوجه: لو لم تكن هذه المرأة كاشفةً عن وجهها لما نظر إليها الفضل، ولو كان كشف الوجه عورة لأمرها بستره صلى الله عليه وسلم، بل اكتفى بتحويل وجه الفضل. قال ابن بطال: (في الحديث الأمر بغضّ البصر خشية الفتنة، ومقتضاه أنه إذا أمنت الفتنة لم يمتنع، ويؤيده أنه صلى الله عليه وسلم لم يحوّل وجه الفضل حتى أَدمَنَ النظرِ إليها لإعجابه بها فخشي الفتنة عليه ...... وفيه دليل على أن ستر المرأة وجهها ليس فرضاً لإجماعهم على أن للمرأة أن تبدي وجهها في الصلاة ولو رآه الغرباء)[١٧].

٣-حديث سهل بن سعد – رضي الله عنه _ قال: "إن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فصعّد النظر إليها وصوّبه، ثم طأطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه... الحديث"[١٨]. قالوا: لو لم تكن كاشفة الوجه لما صعّد الرسول صلى الله عليه وسلم النظر إليه وصوبه، ولو كان الكشف حراماً لأمرها بستره صلى الله عليه وسلم.

٤-حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: "شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكئا

---

(١٣) النور: ٣١.
(١٤) ر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢٨/١٢، سورة النور.
(١٥) ر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢٩/١٢. سورة النور.
(١٦) البخاري (١٨٥٥) كتاب: جزاء الصيد، باب حجّ المرأة عن الرجل. مسلم (١٣٣٤) كتاب الحج، باب: الحج عن العاجز لزمانة وهرم نحوهما .
(١٧) ابن حجر. فتح الباري: ١٢/١١، حديث (٦٢٢٨) كتاب الاستئذان، باب: بدء السلام.
(١٨) البخاري (٥١٢٦) كتاب النكاح، باب: النظر إلى المرأة قبل التزويج.

علـى بـلال، فأمـر بـتقوى الله وحـثّ علـى طاعـته، ووعظ الناس وذكّرهم، ثم مضى حتى أتى النسـاء فوعظهنّ وذكّرهن فقال: تصدقن فإن أكثركنَّ حطب جهنم، فقامت امرأة سعفاء الخدين فقالـت: لم يـا رسـول الله؟ قـال: لأنكنّ تكثرن الشكاة وتكفرن العشير، قال: فجعلن يتصدقن مـن حليِّهن يلقين في ثوب بلال من أقرطهنّ وخواتمهنّ"[19] فقالوا: لو لم تكن هذه المرأة مكشوفة الوجه لما استطاع الراوي أن يصفها بأنها سعفاء الخدّين.

هـذه الأدلـة وغيرهـا كانـت تُكـأة الفـريق الأول[20]. أمـا القائلون بوجوب ستر الوجه، وهم الشافعية على الأصح والحنابلة[21] فقد استدلوا بما يأتي:

١-بتفسـير بعـض السـلف لقوله تعالى: [ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها][22] بأن المستثنى ظاهـر الزينة وهي الثياب، وهو قول ابن مسعود، وقال ابن عباس والمسور ابن مخرمة وقتادة: ظاهر الـزينة الكحل والسوار والخضاب[23]، فبقي الوجه والكفان داخلين في عموم ما يحظر كشفه، وعليه فلا يحل لغير الزوج والمحرم النظر إلى شيء منها إلا لضرورة، كالمعالجة وتحمل الشهادة[24].

٢-مـا فهمـه الصحابة من قوله تعالى: [يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهنّ][25].

- قـال علـي بـن أبـي طلحة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهنّ في حاجة أن يغطين وجوههنّ من فوق رؤوسهنّ بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة.

- وقال محمد بن سيرين: سألت عبيدة السلماني عن قول الله عز وجل: [يدنين عليهن مـن جلابيـبهنّ] فغطـى وجهـه ورأسه وأبرز عينه اليسرى[26] وهذه اللبسة مستعملة في كثير من بلاد المسلمين الآن، وهي تغطية الوجه وإظهار العينين.

٣-حـديث عائشة - رضي الله عنها - قالت: "كان الركبان يمرّون بنا ونحن مع رسول الله صـلى الله علـيه وسـلم مُحْـرمات، فـإذا حـاذوْا بـنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزنا كشفناه"[27].

---

(١٩) مسلم (٨٨٥) كتاب صلاة العيدين. بدون باب.
(٢٠) ر: حجاب المسلمة، د. البرازي: ١٤٣-١٤٦.
(٢١) ر: الشربيني، مغني المحتاج: ١٢٨/٣، ابن قدامة، المغني: ٦٧٢/١.
(٢٢) النور: ٣١.
(٢٣) ر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: ٢٢٨/١٢ سورة النور.
(٢٤) ر: حجاب المسلمة، د. البرازي: ١٤٧.
(٢٥) الأحزاب: ٥٩.
(٢٦) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٥٦٩/٣ سورة الأحزاب.
(٢٧) أبو داود (١٨٣٣) كتاب المناسك، باب: في المحرمة تغطي وجهها.

٤-حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ولا تنتقب المرأة الحرام ولا تلبس القفازين"[٢٨]. قال ابن تيمية: (وهذا مما يدلّ على أنّ النقاب والقفازين كانا معروفين في النساء اللاتي لم يُحْرِمنَ، وذلك يقتضي ستر وجوههنّ وأيديهنّ)[٢٩].
هذه أبرز أدلة الفريق الثاني، القائل بوجوب ستر الوجه، اقتصرنا عليها خشية الإطالة.

الترجيح بين الفريقين:

من استعراض أدلة الفريقين تبين لنا حجية كلّ منهما، فمن قال بجواز كشف الوجه استند إلى أدلة نصية واستنباط عقلي قوي، ومن قال بوجوب ستره استند إلى مثل ذلك، فكلاهما يعتمد على دليل، وبين الفريقين موطن متفق عليه، وهو أن الوجه واليدين ليسا عورة إذا لم تخرج المرأة ولم يرها الأجانب. فالقائلون بوجوب الستر لم يقولوا بوجوبه في البيت أو مع المحارم أو في الخلاء، إنما حين ملاقاة الرجال أو عند توقع ذلك حين الخروج من البيت، وقالوا جميعاً بكشف وجهها في الصلاة، وأدلتهم تنصّ على ذلك: (إذا خرجن من بيوتهن... يغطين وجوههن) (فإذا حاذوْا بنا - أي الرجال - سدلت إحدانا جلبابها... فإذا جاوزنا كشفناه). فوقت وجوب الستر عندهم حين ملاقاة الرجال، ولها أن تكشف فيما وراء ذلك.

ويبدو أن هذا الرأي وجيه معلل بوجوب درء الفتنة التي قد تحصل بالنظرة، والتي سماها الباري سبحانه في الحديث القدسي سهماً من سهام إبليس، والرجل لا يتأثر برؤية المرأة كثيراً ما لم ير وجهها. ومما يرجح هذا المذهب:

١-أن أدلة القائلين بالستر صريحة الدلالة على ستر الوجه، بخلاف أدلة الآخرين، فهي تفتقر إلى نصّ صريح.

٢-تعامل المسلمات على ستر وجوههن من يوم فرض الحجاب إلى يوم ضعف الوازع الديني عند المسلمين. يقول الغزالي: (لم يزل الرجال على ممر الزمان مكشوفي الوجوه، والنساء يخرجن متنقبات) ويقول ابن حجر: (استمرار العمل على جواز خروج النساء إلى المساجد والأسفار متنقبات لئلا يراهن الرجال)[٣٠].

٣- إنّ أدلة وجوب ستر الوجه ناقلة عن الأصل، وأدلة جواز كشفه مبقية على الأصل، والناقل عن الأصل مقدم، كما هو معلوم عن الأصوليين. لأن الأصل بقاء الشيء على ما كان عليه، فإذا وجد الدليل الناقل عن الأصل دلّ على طروء الحكم على الأصل. فالناقل معه زيادة علم، وهو إثبات تغيير الحكم الأصلي، والمثبت مقدم على النافي.

---

(٢٨) أبوداود (١٨٢٥) كتاب المناسك، باب: ما يلبس المحرم.
(٢٩) ابن تيمية، الفتاوي: ١٥/٣٧١-٣٧٢.
(٣٠) ابن حجر، فتح الباري: ٩/٢٤٨.

٤- في الستر درء للفتنة، ولاسيما في هذا الزمان الذي ظهر فيه الفساد، ولا يخفى أن الوجه مجمع المحاسن ومعيار الجمال [٣١]. وإن الشرع الحنيف فرّق في الحكم بين النظر إلى من هم مظنة فتنة كالشابات وبين من هم غير ذلك كالقواعد من النساء، وبين من هم مظِنّة الشهوة كعامة الرجال، وبين من هم غير ذلك كغير أولي الإربة منهم كل ذلك يرجح مذهب القائلين بوجوب ستر الوجه. فاللباس الساتر للبدن هو ما كان ساتراً الوجه والكفين حين تخرج المرأة من بيتها وتكون عرضة لرؤية الرجال، بخلاف لباسها في البيت وفي الصلاة ومع محارمها فهو ليس كذلك.

الشرط الثاني: أن يكون اللباس ثخيناً لا يشفّ عما تحته

الغاية من الثوب أن يستر ما تحته من الجسد، فإن كان شفّافاً بحيث يُرى الجسد من تحته، أو بعض الأعضاء، فلا يسمى ساتراً وتكون المرأة كما وصفها صلى الله عليه وسلم كاسيةً عاريةً، فهي كاسيةٌ ظاهراً وتسميةً، عاريةٌ حقيقةً، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "صنفان من أهل النار لم أرهما: قومٌ معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهنّ كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"[٣٢]. قال النووي (كاسيات من نعمة الله عاريات من شكرها، وقيل: معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً بحالها ونحوه، وقيل: معناه تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها)[٣٣]. وفي حديث أم سلمة - رضي الله عنها - قوله صلى الله عليه وسلم: "... كم من كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة"[٣٤] قال ابن حجر في شرحه: (قال ابن بطال... من جهة أنه صلى الله عليه وسلم حذّر من لباس الرقيق من الثياب الواصفة لأجسامهنّ لئلا يَعْرَيْن في الآخرة)[٣٥].

وعلى هذا، فالثوب الرقيق الشفّاف ليس محرماً لذاته، إنما لأنه يُرى ما تحته، فإذا لبست المرأة فوقه أو تحته ثوباً آخر زالت علة التحريم، والله أعلم.

الشرط الثالث: أن يكون اللباس واسعاً لا يصف

لما كانت الغاية من اللباس الستر، اقتضى أن يكون لباس المرأة واسعاً، بحيث لا يصف جسمها وأعضاءها، فيغري أهل الفساد، بل إن هذه الثياب الضيّقة أصبحت في زماننا لوناً من

---

(٣١) ر: حجاب المسلمة، د. البرازي: ١٩٠-١٩٣.

(٣٢) مسلم (٢١٢٨) كتاب: اللباس والزينة، باب: النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات.

(٣٣) مسلم شرح النووي: ١٤/٣٥٦-٣٥٧.

(٣٤) البخاري (٥٨٤٤) كتاب اللباس، باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتجوّز من اللباس والبسط.

(٣٥) ابن حجر، فتح الباري: ١٠/٣١٥.

ألوان الإغراء والإفساد والفتنة، وأصبحت المرأة سلعة رخيصة تُعرضُ بواسطتها الألبسة و(الموديلات) دون إقامة وزنٍ لقيمةٍ أو خُلُق ! فتظهر بهذه الألبسة الضيقة. ويصدق عليها قوله صلى الله عليه وسلم " كاسيةٌ عارية " فجسدها مكسوٌّ لا ترى بشرتها، إلا أن حجم جسدها وأعضائها ظاهر، موصوف بهذا اللباس بدقّة. لذلك جاءت تسميات عدة، للباس المرأة، تُعرّف بأنها ألبسة واسعة، فالجلباب مثلاً، وصفه ابن منظور بقوله: (ثوب أوسع من الخمار، دون الرداء، تغطي له المرأة رأسها وصدرها، وقيل: هو ثوب واسع دون الملحفة تلبسه المرأة، وقيل: هو الملحفة)[٣٦]. وهكذا العباءة[٣٧] والملاءة[٣٨] وغيرها.

ولقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم مما يصف جسم المرأة وأعضاءها، كما جاء في حديث أسامة بن زيد – رضي الله عنه – قال: كساني رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية كثيفة مما أهداها له دحية الكلبي، فكسوتها امرأتي، فقال: "ما لك لم تلبس القبطية[٣٩]؟ قلت: كسوتها امرأتي، فقال: مُرْها فلتجعل تحتها غِلالة، فإني أخاف أن تصف حجم عظامها"[٤٠].

فكل ما يصف جسم المرأة من الألبسة الضيقة (كالبنطال) ونحوه لا يجوز، لأنه يصف مفاتنها. ولقد أرشد صلى الله عليه وسلم دحية الكلبي أن يلبس امرأته ثوباً تحت القباطي حتى لا يصفها قائلاً: "وأمر امرأتك أن تجعل تحته ثوباً لا يصفها"[٤١].

الشرط الرابع: ألا يكون اللباس لباس زينة

الأصل في لباس المرأة أن يستر جسدها وزينتها، ليردّ أعين الناظرين عنها، لعموم قوله تعالى: [ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن... الآية][٤٢] فإن كان الثوب مزيناً لافتاً للنظر فلا يتحقق المقصود من معنى اللباس، فتبقى الأنظار نحو المرأة مصوّبة، والقلوب منشغلة، إذ الأصل في الزينة أن تكون في البيت وللزوج، ولاتظهر للآخرين إلاما استثناه القرآن الكريم: [ولا يبدين زينتهن إلاّ ما ظهر منها][٤٣] فإن من طبيعة الإنسان أن يتعلق قلبه بكل ماله صلة

---

(٣٦) لسان العرب: ٢٧٢/١، مادة (جلب).
(٣٧) ر: المرجع السابق: ١١٨/١ مادة (عبأ).
(٣٨) ر: المرجع السابق: ١٦٠/١. مادة (ملأ).
(٣٩): القبطية: الثوب من ثياب مصر. رقيقة بيضاء، منسوب إلى القبط وهم أهل مصر. قال عمر رضي الله عنه: لا تُلبسوا نساءكم القباطي، فإنه إن لا يشفّ فإنه يصف. ر: ابن منظور، لسان العرب: ٣٧٣/٧، مادة (قبط).
(٤٠) أحمد، المسند: ٢٠٥/٥.
(٤١) أبوداود (٤١١٦) كتاب اللباس، باب: في لباس القباطي للنساء.
(٤٢) النور: ٣١
(٤٣) الآية السابقة.

بالنساء، إذ يثير ذلك مكامن الشهوة عنده، ولذا قال تعالى: [ولا يضربن بأرجلهنّ ليعلم ما يخفين من زينتهن][٤٤] قال ابن كثير: (كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوته ضربت برجلها الأرض، فيسمع الرجل طنينه. فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك، وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستوراً فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي)[٤٥] وعلى هذا فالألوان الصارخة والمزركشة تثير نوازع الشهوة لدى الرجال، فيكونون عرضة للفتنة التي تنشأ من رؤية وجه المرأة أو جسدها. ولقد أدّب القرآن الكريم أمهات المؤمنين – رضوان الله عليهن – وسائر النسوة بقوله: [وَقَرْنَ في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى][٤٦]. يقول سيد قطب: (وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها حليها، أكثر مما تثيرها رؤية جسد المرأة ذاته)[٤٧]. فاللباس الصامت بلونه غير المثير، وخياطته المعتادة، الخالي من الحلي والنقوش والزركشة هو لباس المرأة المسلمة المحتشمة.

الشرط الخامس: أن لا يكون اللباس لباس شهرة

التواضع من سمات ديننا، وسنة من سنن نبينا صلى الله عليه وسلم القائل: "إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد"[٤٨] أما حبُّ الظهور والتعالي والمفاخرة فصفات مذمومة في كل شيء، قال تعالى: [إن الله لا يحب كل مختال فخور][٤٩]. فمن شروط اللباس الشرعي أن لا يكون متميزاً عما يلبسه المجتمع – ذكوراً أو إناثاً – يقصد به صاحب الشهرة، حتى يعرف بذلك، بل ينبغي أن يلتزم بعادات مجتمعه وبلده، إلا إذا اعتادوا لباساً غير شرعي، كأن يكون ضيقاً، أو قصيراً غير ساتر. فينبغي الخروج عليه، لذا جاء الوعيد في ذلك، كما يروي ابن عمر – رضي الله عنهما – في حديث شريك يرفعه: "من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله "زاد أبوعوانة" ثم تلهب فيه النار"[٥٠] قال ابن تيمية: (وتكره الشهرة من الثياب، وهو المترفع الخارج عن العادة... ومن لبسه فخراً وخيلاء كان آثماً فإن الله لا يحب كل مختال فخور)[٥١].

---

(٤٤) الآية السابقة نفسها.
(٤٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: ٣/٣١٤، سورة النور.
(٤٦) الأحزاب: ٥٩.
(٤٧) الظلال: ٤/٢٥١٤ سورة النور.
(٤٨) أبوداود (٤٨٩٥) كتاب الأدب، باب: في التواضع.
(٤٩) لقمان: ١٨.
(٥٠) أبوداود (٤٠٢٩) كتاب اللباس، باب: في لبس الشهرة.
(٥١) الفتاوى: ٢٢/١٣٨-١٣٩.

الشرط السادس: ألا يشبه اللباس لباس الرجل

نهى الإسلام عن أن يتشبه الرجل والمرأة كل منهما بالآخر، لا في اللباس، ولا في الصوت، ولا في المشية. وذلك لأن الله تعالى خلق لكل منهما طبيعة يختلف فيها عن الآخر. فتشبه كل منهما بالآخر يعتبر خروجاً على ناموس الحياة، وتمرداً على ما فطرهما الله تعالى عليه، فتزول الفوارق الطبيعية، ويفقد كل منهما خصائصه التي يتميز بها، وتقل رغبة الرجل في المرأة المسترجلة، ويضمر ميل المرأة إلى الرجل المخنث، وتضيق دائرة الزواج الشرعي، مما يدفع هؤلاء إلى النزوع نحو الرذيلة والفساد لتلبية رغبتهم الجنسية، فتحلّ الرذيلة مكان الفضيلة، والشذوذ الجنسي محلّ الزواج الشرعي، وهذا ما تعانيه المجتمعات الغربية من رقّ الجنس وعبودية الشهوة، حتى وصل السقوط ببعض النساء من اتخاذ الكلب خِدْناً تستغني به الفتاة الشاذة عن الزوج[٥٢]. ووصل الأمر ببعض الرجال بأن تحولوا إلى نساء بواسطة عمليات جراحية وتناول (الهرمونات) الأنثوية ! من أجل دفع هذا الفساد كله جاء الوعيد الشديد في التشبه بالجنس الآخر عموماً. فعن عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال"[٥٣] ومن المعلوم أن اللعن لا ينصب إلا على من عصى الله تعالى بذنب كبير قال ابن حجر: (قال الطبري: المعنى لا يجوز للرجال التشبه بالنساء في اللباس والزينة التي تختص بالنساء ولا العكس قلت: وكذا في الكلام والمشي، فأما هيئة اللباس فتختلف باختلاف عادة كل بلد، فربّ قوم لا يفترق زيُّ نسائهم من رجالهم في اللبس، لكن يمتاز النساء بالاحتجاب والاستتار)[٥٤]. كما جاء اللعن صريحاً على من تشبه بلباس الجنس الآخر. فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يلبس لِبسة المرأة، والمرأة تلبس لِبسة الرجل"[٥٥]. وسواء هذا التشبه في لباس البدن أم في غطاء الرأس، فقد روت أم سلمة – رضي الله عنها – أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهي تختمر فقال: "ليّة لا ليّتين" قال أبوداود: (معنى قوله " ليّة لا ليتين " يقول: لا تعتمّ مثل الرجل، لا تكرره طاقاً أو طاقين)[٥٦]. وقال الخطابي تعليقاً عليه: (يشبه أن يكون إنما كره لها أن تلوي الخمار على رأسها ليّتين

---

(٥٢) ر: حجاب المسلمة، د. البرازي: ٣١١-٣١٢.

(٥٣) البخاري (٥٨٨٥) كتاب اللباس، باب: المتشبهون بالنساء والمتشبهات بالرجال، أبوداود (٤٠٩٧) كتاب اللباس، باب: في لبس النساء.

(٥٤) فتح الباري: ٣٤٥/١٠.

(٥٥) أبوداود (٤٠٩٨) كتاب اللباس، باب: في لباس النساء.

(٥٦) أبوداود (٤١١٥) كتاب اللباس، باب: في الاختمار.

لئلا تكون إذا تعصبت بخمارها صارت كالمتعممّ من الرجال، يلوي أطراف العمامة على رأسه، وهذا على معنى نهيه النساء عن لباس الرجال، والرجال عن لباس النساء)[٥٧].

فعلى هذا لا ينبغي للمرأة أن تقدم على أي لباس خاصّ بالرجال، من ثوب أو قميص أو حذاء أو نحوه. ومن المؤسف أن ترى المرأة لا تفترق عن الرجل في شيء: في لباسها وحلاقة شعرها وحركتها وكلامها ! ومن الرجال ما يقارب حاله حال المرأة أيضاً، في شعره الطويل المسترسل وألوان لباسه وحلاقة لحيته وشاربه، بل هناك من يلبس القلائد والأساور، وبرزت طائفة في أوربا سميت (الجنس الثالث) لا تتميز بصفات الذكورة الحقة ولا الأنوثة الحقة، وأصبحت عبئاً ثقيلاً على المجتمع، لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً[٥٨].

الشرط السابع: ألا يشبه اللباس لباس الكافرات

كما نهى الإسلام عن تشبه الرجل بالمرأة والعكس نهى عن التشبه بالكافرات عموماً، وذلك ليتميز المسلمون بشخصيتهم الإيمانية، فقد روى ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من تشبه بقوم فهو منهم"[٥٩]، قال المناوي: (أي من تزيّا في ظاهره بزيهم، وفي تعرَفه بفعلهم، وفي تخلّقه بخلقهم، وسار بسيرتهم وهديهم في ملبسهم وبعض أفعالهم)[٦٠]، بل جاء النهي صريحاً بالمخالفة، كما جاء في حديث شداد بن أوس عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم"[٦١] فالصلاة جائزة بلبس الحذاء وبنزعة، ولكن لما كان اليهود لا يصلون بنعالهم فجاء الأمر بالصلاة بها ولو لمرة واحدةٍ، لأن ذلك مخالفة لعملهم، وهو طاعة لله ورسوله. وجاء النهي عن التشبه بهم في اللباس صريحاً في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ ثوبين معصفرين فقال: "إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها"[٦٢]. وعلى هذا فلا يجوز لبس لباس الكافرين ولو كان ساتراً، وذلك لمعنى آخر، وهو التشبه بهم، كلباس الراهبات مثلاً، وكذلك لبس ما كان فيه صور أو صلبان أو شعار من شعاراتهم. وقد وقع كثير من المسلمين في هذا المحظور، ولاسيما الشباب منهم، فيلبسون ملابس عليها رسوم وصور أعلام الفنّ وكتابات باللغات الأجنبية لا يعرف معناها، ولا يفهم مرماها، إنما هو الانبهار بالغرب والتقليد الأعمى لهم في كل شيء، ومن

---

(٥٧) أبوداود: ٣٦٣/٤، الحديث السابق.

(٥٨) ر: المرأة بين الجاهلية والإسلام، محمد حامد الناصر وخولة درويش، ص١٨٩.

(٥٩) أبوداود (٤٠٣١) كتاب اللباس، باب: في لباس الشهرة.

(٦٠) فيض القدير: ١٠٤/٦.

(٦١) أبوداود (٦٥٢) كتاب الصلاة، باب: الصلاة في النعل.

(٦٢) مسلم (٢٠٧٧) كتاب اللباس والزينة، باب: النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر.

المؤسف أن كثيراً من المسلمين عندما يسافرون إلى بلادهم يخلعون لباسهم الإسلامي – ذكوراً وإناثاً – ويلبسون لباس الأجانب !.

الخاتمة

وبعد، فهذه دراسة سريعة قدمتها في ضوابط اللباس الشرعي للمرأة، أرجو أن أكون قد حققت بعض الغرض العلمي المطلوب، كما أرجو أن يصاحبها الإخلاص والنية الطيبة.

وقد تبيّن لنا مما سبق أن ظاهرة الحجاب كانت موجودة قبل الإسلام كعادة وعرف اجتماعي يُنكر على من خالفه، لا أكثر، لا صلة له بعقيدة وثواب وعقاب، وهناك من لا يلتزم به، بل كانوا يتعرّوْن أحياناً، وعندما جاء الإسلام أمر بالحجاب شريعةً، وحدد ضوابط العورة عند الرجل والمرأة، وجعل ستر ذلك شرطاً لبعض العبادات.

ولقد استخلص العلماء مواصفات اللباس الشرعي من عدة أدلّة، فأصبحت بذلك شروط لباس المرأة سبعةً هي: كونه ساتراً للبدن، على اختلاف بين الفقهاء في حدود عورة المرأة في غير الصلاة، وأن يكون اللباس ثخيناً لا يشفّ عما تحته، واسعاً لا يصف حجم المرأة ولا أعضائها، غير لباس زينة ملفتٍ للنظر، غير لباس شهرة يعرف به لا بسه متميزاً عن الناس، لا يشبه لباس الرجال، ولا يشبه لباس الكافرات.

هذا هو لباس المرأة المسلمة، فإن التزمت به تحلّت بالفضيلة والحشمة، وأعانت الرجال على حفظ البصر، ودرأت الفتنة حقيقة. فالجمال الحقيقي جمال الحشمة والعفاف، لا جمال التكشف والتعرّي. وأختم بحثي هذا بكلام سيد قطب رحمه الله تعالى، يقول: (لقد رفع الإسلام ذوق المجتمع الإسلامي، وطهّر إحساسه بالجمال، فلم يعد الطابع الحيواني للجمال هو المستحب، بل الطابع الإنساني المهذّب، وجمال الكشف الجسدي جمال حيواني، يهفو إليه الإنسان بحسّ الحيوان، مهما يكون من التناسق والكمال. فأما جمال الحشمة فهو الجمال النظيف، الذي يرفع الذوق الجمالي، ويجعله لائقاً بالإنسان، ويحيطه بالنظافة والطهارة في الحسّ والخيال)[٦٣].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

المصادر والمراجع

١- البرازي، د. محمد فؤاد، حجاب المسلمة بين انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، ط/٣ ١٤٢٠-٢٠٠٠ نشر أضواء السلف – الرياض.

(٦٣) الظلال: ٢٥١٣/٤، سورة النور.

٢- بيضون، تغاريد، المرأة والحياة الاجتماعية في الإسلام، ط/١ ١٤٠٥-١٩٨٥، نشر مركز الكتب الثقافية - بيروت.
٣- ابن تيمية، أحمد عبد الحليم، الفتاوى، نشر مجمع الملك فهد - ١٤١٦ - ١٩٩٥ - المدينة المنورة.
٤- ابن حجر، احمد بن علي، فتح الباري، ط/١ ١٤٠٧ - ٩٨٧ - دار الريان للتراث - القاهرة.
٥- الحطاب، محمد بن محمد، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ط/١ ١٤١٦- ٩٨٥ - دار الكتب العلمية - بيروت.
٦- أحمد، المسند، دار صادر - بيروت.
٧- أبوداود، سليمان بن الأشعث، السنن، ط/١ ١٣٩٣ - ١٩٧٣ - تحقيق عزة عبيد الدعاس وعادل السيد - دار الحديث - بيروت.
٨- الشربيني، محمد، مغني المحتاج ط/١٣٧٧-١٩٥٨ - نشر مكتبة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة.
٩- ابن عابدين، محمد امين، رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار - ط/١ ١٤١٥-٩٩٤ - دار الكتب العلمية - بيروت.
١٠- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن - الطبعة القديمة، ليس فيها تاريخ ومحل الطبع.
١١- ابن قدامة، محمد عبد الله، المغني - ط/ دار الفكر العربي ١٤١٤-١٩٩٤ - بيروت.
١٢- ابن كثير، إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، ط/ ٢ - ١٤١٣-١٩٩١ - دار الخير - بيروت.
١٣- المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير نشر دار الحديث - القاهرة.
١٤- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، نشر دار صادر، ط/١ — ١٤١٠ -١٩٩٠.
١٥- المودودي، أبو الأعلى - الحجاب.
١٦- الناصر، محمد حامد وخولة درويش، المرأة بين الجاهلية والإسلام - ط١ - ١٤١٣ - دار الرسالة - مكة المكرمة.
١٧- النووي، يحيي بن شرف، شرح مسلم - ط/١ - دار القلم - بيروت.
١٨- مجلة الأحمدية، عدد (١) محرم ١٤١٩ - ١١٩٨ - دار البحوث - دبي.

بسم الله الرحمن الرحيم

مدى الحماية التي يوفرها قانون العقوبات الاتحادي للاحتشام والسلوك العام

د. ممدوح خليل البحر
كلية القانون ـ جامعة الشارقة
دولة الإمارات العربية المتحدة

أولاً: المقدمة

يرجع سبب ظهور هذه الظاهرة إلى تعقد الحياة الحضرية وما أصاب دور الأسرة من ضعف كبير، حيث امتصت الشواغل الحياتية والاقتصادية في المدن جل انتباه أرباب الأسر بحيث أعجزتهم عن ممارسة سلطاتهم الأبوية في رعاية أبنائهم حتى صار هؤلاء الأبناء لا يحسون بوجود سلطة ترعاهم أو هيئة تضبط سلوكهم، وهذا هو الذي يسر لهؤلاء الوقوع في شبكة الانحراف والإجرام.

كما وأن فشل المدارس الحالية في غالبية أقطار العالم في توفير التهذيب الخلقي للتلاميذ الصغار وللشباب بوجه عام وعدم إمداد هذه الفئات بتعليم يتجاوب مع استعداداتهم الطبيعية الأمر الذي أدى إلى هجران الصغار والشباب لمدارسهم أو لمهنهم، وذلك أن الجو الخانق الذي تعيشه الغالبية العظمى من أطفال المدن والبيوت المكتظة بسكانها وتكتل المجموعات البشرية في عمارات ضيقة متجانسة تفتقر إلى الرقع الخضراء لترويح الأطفال أدى كل ذلك إلى ضجر الأطفال والشباب بحياتهم فهرعوا إلى الشوارع دونما رقيب.

لقد فقد الإنسان المعاصر الإحساس بشخصيته في وسط حضاري خانق، وفقدت الأسرة سلطاتها على أبنائها. وفقدت المدرسة قدرتها على توجيه الصغار والشباب نحو وظيفة اجتماعية بناءة، وقد أدى كل هذا إلى ظاهرة البؤس الذي يحسه شباب اليوم وضيقهم بحياتهم الرتيبة الكئيبة والتي أدت إلى انحرافهم السلوكي.

لقد جاء في أهداف الاستراتيجية الأمنية العربية ومقوماتها الصادرة عن مجلس وزراء الداخلية العرب بتاريخ ١٩٨٣/١٢/٧، وجوب تحصين المجتمع العربي ضد الجريمة بالقيم الأخلاقية والتربوية النابعة عن أحكام الشريعة الإسلامية الحنيفة، بما يعصم هذا المجتمع من الزلل والانحراف وترشيد السياسة الجنائية العربية باستقاء قواعدها من مبادئ الشريعة الإسلامية وتضمينها الوسائل التي تحول دون نشوء الميول الإجرامية والإجراءات المانعة لوقوع الجريمة والعقوبات والتدابير اللازمة لإصلاح المجرم.

إننا لا نجد في هذا المجال غير الرجوع إلى الدين الإسلامي، وهو دين الفطرة ودين الحق، والاعتصام بشريعته التي تشكل الملجأ السامي للمقاومة النفسية التي تعترض الدوافع الإجرامية، حيث أن الالتزام بقواعد الدين الحنيف هو الذي يقلل من تأثير الدوافع الشريرة الدخيلة على الإنسان وهو الذي يزيل آثارها.

إن الدين الإسلامي الحنيف هو القوة المثالية الجبارة التي ترتقي فوق كل خوف إنساني أو عجز وهو النظام الأخلاقي السلوكي المتكامل الذي يقوم على معتقدات سامية تنظم العلاقة الروحية بين الإنسان والذات الإلهية الموجهة للحياة من كل الوجوه.

إن الدين الإسلامي الذي يعطي الشعور التام والطمأنينة والاستقرار وهو الذي يحدد له هويته وانتماءه لجماعته وقبول قيمها ومعتقداتها السائدة.

إن الدين الإسلامي هو الذي يمثل عامل ضبط النفس وينظم عناصر شخصية الإنسان من الداخل ويوفر له الانسجام النفسي من خلال حياة سوية في مجتمعه وذلك حين يندمج حسه الديني بحسه نحو مفردات حياته اليومية.

فالدين يحفظ للفرد وللمجتمع أخلاقه من خلال ربط هذه الأخلاق بحياة الإنسان اليومية وحاجاته الملحة، أليس الدين هو الحل لغالبية العلل التي يئن منها المجتمع المعاصر ويعاني منها الإنسان الذي يعيش حياة هذا العصر.

إن التسلح بالفضيلة هو الذي يكسب المجتمع المناعة الكافية ضد أمراض العصر، فلا يتأثر المجتمع بنزوات فردية أو بعوارض سلوكية أخرى.

لقد آن الأوان لإفساح المجال للقيم الأخلاقية النابعة من الدين لتأخذ دورها في تطبيع الإنسان، هذا المخلوق المتوحش الذي يتصرف بعفوية طاغية وأنانية متلهفة على إشباع غرائزه الحيوانية.

إن أعداء الإسلام لازالوا يتربصون لتقويض بنيان الإسلام الشامخ وإضعاف ثمرته، ولهذا فلا مجال لإعطاء هؤلاء الفرصة للنيل من الحلول الإسلامية التي ييسرها الإسلام لحل المشكلات المستحدثة.

إن شريعة الله تتصف بالخلود الذي يمنحها الصلاحية لكل زمان ومكان ويؤهلها القدرة على مواجهة الحوادث ومعالجة المشكلات التي تطرأ في كل حين.

ثانياً: الجرائم المنصوص عليها في قانون العقوبات الاتحادي رقم (٣) لسنة ١٩٨٧

وردت في قانون العقوبات الاتحادي عدة نصوص تجرم وتعاقب بعض الأفعال التي تعد من قبيل المساس بالحياء والاحتشام والسلوك العام وهذه الجرائم هي:

أولاً : جريمة الفعل الفاضح العلني.

ثانياً : جريمة التعرض لأنثى على وجه يخدش حياءها.

ثالثاً : جريمة دخول رجل متنكرا في المكان الخاص بالنساء.

رابعاً : جريمة تحريض المارة على الفسق.

وهذا ما سوف نتناوله بشيء من الإيجاز:

الجريمة الأولى ـ جريمة الفعل الفاضح العلني

نصت المادة (٣٥٨) من قانون العقوبات الاتحادي على أنه: "يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر من أتى فعلاً فاضحاً مخلاً بالحياء. ويعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة من ارتكب فعلاً مخلاً بالحياء مع أنثى أو صبي لم يتم الخامسة عشر ولو في غير علانية".

تتطلب هذه الجريمة توافر الأركان التالية:

الركن الأول: الفعل الفاضح المخل بالحياء

يتخذ الركن المادي صورة الفعل الفاضح المخل بالحياء ومؤدى ذلك ضرورة أن نكون بصدد فعل، وأن يكون ذلك الفعل فاضحاً أو مخلاً بالحياء.

١- أن يكون هناك فعل : يعطي المشرع للفظ الفعل في جريمة الفعل الفاضح مدلولاً أضيق من المدلول العام للفعل، فالفعل في مدلوله العام حركة عضوية إرادية، ومؤدى ذلك أن القول أو الكتابة يعدان من قبيل الأفعال، لكن المشرع يستبعد من نطاق الفعل في جريمة الفعل الفاضح العلني الكتابة والأقوال والسبب في ذلك أن هذه الأفعال يعاقب عليها بنصوص تشريعية أخرى وبالتالي لا يعد من قبيل الفعل الفاضح التفوه بأقوال أياً كانت درجة فحشها، كذلك يخرج من نطاق الفعل الفاضح إرسال رسالة تتضمن عبارات بذيئة وفاضحة أو عرض فيلم سينمائي أو تلفزيوني يتضمن مناظر فاضحة، لأن هذه الأعمال تخضع لجريمة الإخلال بالآداب العامة.

٢- أن يكون الفعل فاضحاً ومخلاً بالحياء : لم يضع المشرع الاتحادي معياراً يحدد فيه متى يكون الفعل فاضحاً ومخلاً بالحياء، لذا فلا مفر من الرجوع إلى آراء الفقهاء، والذي يمكن استخلاصه في هذا النطاق وهو أن الحياء الذي تمثل هذه الجريمة اعتداءً عليه هو شعور

عـام يخـتلف باخـتلاف الزمان والمكان، فهو يتوقف على مجموعة من القيم الأخلاقية والدينية ومجمـوعة مـن العـادات والتقالـيد السـائدة في بيـئة معيـنة، ومؤدى ذلك أن فكرة الحياء فكرة نسـبية. فمـا يعـد فعـلاً فاضحاً في قرية قد لا يعد كذلك في مدينة، وما يعد فعلاً فاضحاً داخل مدينة قد لا يعد كذلك على شاطئ.

ومـن المسـلم به أن الفعل الفاضح يقع بأفعال أقل فحشاً من الاغتصاب، مثال ذلك تقبيل المـرأة أو التربيت على الكتف أو الإمساك بيدها أو ظهور الشخص عارياً في ميدان عام أو كشف عوراته. والفعل الفاضح بتعريفه السابق قد يقع من المرأة والرجل سواء بسواء.

الركن الثاني: ركن العلانية في جريمة الفعل الفاضح العلني

إن علـى تجـريم الفعـل الفاضح هي الاعتداء على الشعور العام بالحياء، وهذا الاعتداء لن يـتحقق إلا إذا تم الفعـل علانـية أي يـتم في مكـان وظـروف تسـمح للغـير بمشـاهدته ورؤيـته، والعلانية قد تتحقق في مكان عام كما قد تتحقق في مكان خاص.

١- العلانـية في مكـان عام: يعنى بالمكان العام المكان الذي يستطيع أي شخص أن يمر مـنه أو يـدخل فـيه سـواء دون قـيد أو بعـد اسـتيفاء شرط خاص أو أداء مقابل معين كالشوارع والحدائق والميادين والساحات العامة، فإذا ارتكب الفعل في هذا المكان توافرت العلانية أياً كان وقـت ارتكابـه ويسـتوي أن يشـاهد أحـد هـذا الفعـل أو لم يشاهده أحد إذا كان من الممكن أن يشـاهده أحـد. وتـتحقق العلانـية أيضـاً إذا كـان المكـان عامـاً بالتخصيص أي يسمح للجمهور بالدخول فيه أوقات محددة كالمساجد والنوادي والمدارس والمسارح. فإذا ارتكب الفعل في الوقت والمكان المحددين لدخول الجمهور تحققت العلانية.

٢- العلانـية في المكـان الخـاص: المكـان الخـاص، هـو مكان لا يجوز لغير أصحابه أو المقـيمين فـيه الدخـول أو الإطـلاع علـى مـا يجـري فيه مثال ذلك المساكن والغرف في الفندق، القاعدة أن الجريمة لا تقوم إلا إذا كان المكان الخاص مما يسمح للغير الإطلاع ومشاهدة ما يدور فيه. كأن تكون الأبواب أو النوافذ مفتوحة.

الركن الثالث: الركن المعنوي

يـتخذ الـركن المعـنوي صـورة القصد الجنائي، أي العلم والإرادة، فيجب أولاً أن يعلم أن فعلـه مخـل بالحـياء وبناءً على ذلك إذا تمزقت ملابس شخص فأظهرت عوراته دون أن يدري فـلا يعـد مـرتكباً للفعـل الفاضـح، ويجـب كـذلك أن يعلم المتهم ان فعله علني، ويكفي في هذا الصـدد أن يـتوقع المـتهم أن شخصـاً يشاهده فعلاً. ويجب ثالثاً أن تتجه إرادة المتهم إلى الفعل الفاضـح العلـني، وتطبـيقاً لـذلك أن الشـخص الذي يحاول إصلاح هندامه في مكان عام فيظهر جزء من جسمه يعد عورة لا يتوافر لديه القصد الجنائي.

عقوبة الجريمة: جعل المشرع هذه الجريمة جنحة وحدد عقوبتها بالحبس الذي لا تقل مدته عن ستة أشهر.

الجريمة الثانية: جريمة التعرض لأنثى على وجه يخدش حياءها

نصت الفقرة (٣٥٩) من قانون العقوبات الاتحادي على أنه : " يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنة وبغرامة لا تزيد على عشرة آلف درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين من تعرض لأنثى على وجه يخدش حياءها بالقول أو الفعل في طريق عام أو مكان مطروق" تستلزم هذه الجريمة توافر ركنين أساسيين هما الركن المادي والركن المعنوي.

أولاً: الركن المادي

عبر المشرع الاتحادي عن الركن المادي لهذه الجريمة بقوله : "من تعرض لأنثى على وجه يخدش حياءها بالقول أو الفعل في طريق عام أو مكان مطروق". فيتعين أولاً أن يكون هناك تعرض لأنثى على وجه يخدش حياءها:

ونعني بالتعرض هو "التحرش" والمعاكسة والحيلولة بين الأنثى وبين استعمالها لحريتها على النحو الذي حددته القيم السائدة في المجتمع، فالتعرض يضع عقبة بين الأنثى وبين التمتع بهذه الحرية. ولكن المشرع لا يعني هنا التعرض المادي الذي يحول بين المجني عليه والتمتع بحرية التنقل والتي جرمها المشرع الاتحادي في المادة (٣٤٤) من قانون العقوبات.

فهذه الجريمة تنال من حرية الأنثى في السير في الطريق العام أو عند ارتياد الأماكن العامة المطروقة إذا ما علمت أن هناك من يتعرض لها في هذه الأماكن على وجه يخدش حياءها، الأمر الذي يحدوها إلى إيثار السلامة وعدم السير في هذه الأماكن حفاظاً على شعور الحياء لديها.

ويجب أن يكون التعرض من شأنه خدش حياء الأنثى أياً كانت، فالمشرع لا يريد بهذا النص حماية حياء بعض الفئات وإنما يريد أن يحمي حياء الكافة، ومؤدى ذلك أن هذه الجريمة تقوم حتى لو كان المجني عليها مشهوداً لها بسوء الأخلاق، بل وحتى لو رضيت واستحسنت ما صدر من الجاني (المتحرش) فمعيار خدش الحياء هو معيار موضوعي وليس شخصياً.

ويتعين ثانياً أن يكون ذلك عن طريق قول أو فعل:

والقول قد يكون صريحاً في خدشه للحياء، وقد يكون ظاهره الطهر والنقاء وباطنه الفحش والفساد مثال ذلك أن يقترب الرجل من الفتاة ويلقي عليها عبارات المدح والاستحسان أو أن يدعوها إلى نزهة والفعل قد يكون ظاهر الدلالة على الفحش، فمن الإشارات ما يندى له الجبين ولكن لا يشترط أن يصل الفعل إلى هذه الدرجة من القبح، إذ يكفي أن يقف أمامها، أو يوجه إليها بعض إشارات الترحيب.

ويتعين ثالثاً: أن يكون ذلك في طريق عام أو مكان مطروق:

فالتعرض للأنثى في مكان خاص لا تقوم به هذه الجريمة، حتى ولو كان من يوجد في مكان عام يستطيع أن يسمع أو يرى هذه التحرش أو المعاكسة، ولكن لا يشترط أن يكون التعرض للأنثى عن طريق الجهر بالقول، فالعلانية تتحدد بمكان القول أو الفعل، فإذا كنا بصدد مكان عام قامت الجريمة حتى ولو لم يجهر الجاني بعباراته، كما لو بث هذه العبارات همساً في أذن الفتاة.

ثانيا: الركن المعنوي

يتخذ الركن المعنوي صورة القصد الجنائي، أي اتجاه إرادة الجاني إلى ارتكاب النشاط المكون للجريمة مع علمه بأن هذا النشاط من شأنه أن يخدش حياء الأنثى، فلا يشترط أن تتجه إرادة الجاني إلى خدش حياء الفتاة، وإنما يكفي مجرد علمه بذلك وبالتالي فإن القصد يتوافر حتى ولو كان الجاني يقصد اللهو أو العبث أو السخرية.

عقوبة الجريمة: حدد المشرع عقوبة هذه الجريمة بالحبس مدة لا تزيد على سنة وبغرامة لا تزيد على عشرة آلاف درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين.

الجريمة الثالثة: جريمة دخول رجل متنكراً في المكان الخاص بالنساء

نص المشرع على هذه الجريمة في الفقرة الثانية من المادة (٣٥٩) من قانون العقوبات الاتحادي بقولها: "كما يعاقب بذات العقوبة كل رجل تنكر بزي امرأة ودخل مكاناً خاصاً بالنساء أو محظوراً دخوله آنذاك لغير النساء فإذا ارتكب الرجل جريمة في هذه الحالة عد ذلك ظرفاً مشدداً".

وتستلزم هذه الجريمة توافر الأركان التالية:

١ ـ تنكر رجل بزي امرأة

هذه الجريمة لا يرتكبها إلا رجل ويستوي أن يكون شاباً أو عجوزاً، متزوجاً أم غير متزوج، ويفترض أن الرجل قد تنكر في لباس النساء بحيث يبدو لناظريه أنه امرأة، ويستوي أن يكون هذا التنكر كلياً أو جزئياً طالما كان مظهره يبعث على الاعتقاد بأنه امرأة.

٢ ـ أن يدخل مكانا خاصا بالنساء أو محظورا دخوله في أوقات محددة لغير النساء

لا يكفي التنكر في ذاته لقيام هذه الجريمة، فالرجل الذي يرتدي ملابس النساء ويتزين مثلهن بحيث يبدو للناظرين أنه امرأة ويتجول في الأماكن العامة المخصصة للنساء والرجال لا يعد مرتكباً لهذه الجريمة. ولكن إذا استغل هذا التنكر ودخل في الأماكن المخصصة للنساء فإن الجريمة تتحقق كالحمامات وصالونات الحلاقة الخاصة بالنساء.

والأماكن المخصصة للنساء قد يكون تخصيصها مطلقاً بحيث لا يجوز لغير النساء دخولها وفي أي وقت مثل الحمامات الخاصة بالنساء، وفي هذه تتحقق الجريمة، إذا دخل رجل متنكراً حتى ولو لم يوجد نساء في وقت دخوله وقد يكون التخصيص مؤقتاً كما لو حددت أياماً معينة أو ساعات محددة في اليوم للنساء مثال ذلك ما يحدث في بعض الحدائق وبعض الأندية في هذه الحالة تتحقق الجريمة إذا دخل في هذه الأوقات ولو لم توجد أي امرأة، فالمشرع يحمي حرمة المكان في ذاته أكثر من حمايته لحياء من يوجد فيه لذلك فإنه لا يشترط وجود شخص بالمكان.

٣ ـ يشترط أن ترتكب هذه الجريمة عمداً

فالمشرع لا يعاقب عليها إذا وقعت عن طريق الخطأ، فالشخص الذي يتنكر في زي امرأة ويدخل مكاناً خاصاً بالنساء دون علمه به أي على سبيل الخطأ لا يعتبر مرتكباً لهذه الجريمة.

عقوبة الجريمة: إذا توافرت العناصر السابقة فإن العقوبة تكون الحبس مدة لا تزيد على سنة وبغرامة لا تزيد على عشرة آلاف درهم أو بإحدى هاتين العقوبتين.

الجريمة الرابعة: جريمة تحريض المارة على الفسق

نص المشرع على هذه الجريمة في المادة (٣٦٠) من قانون العقوبات الاتحادي بقوله: "يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ستة أشهر من وجد في طريق عام أو مكان مطروق يحرض المارة على الفسق بالقول أو الإشارة ".

ودراسة هذه الجريمة تستوجب بيان أركانها والعقوبة المحددة لها:

١ ـ تحريض المارة على الفسق بإشارات أو أقوال

يقصد بالتحريض هنا ارتكاب نشاط من شأنه تنبيه أذهان العامة إلى وجود شخص مستعد للفسق، إذ لا يشترط فيه أن يكون موجهاً شخص بعينه، كما لا يشترط أن يتحقق التنبيه فعلاً.

ويستوي أن يكون المحرض ذكراً أو أنثى وقد يكون المحرض هو الذي يعرض نفسه على المارة للفسق أو أن يكون وسيطاً في عملية الفسق، مثال ذلك القواد الذي يعمل لحساب امرأة تحترف البغاء (الدعارة) فيتصيد لها الرجال من الطريق العام.

والتحريض يتعين أن يكون موضوعه الفسق، وهذا الأخير لا يتمثل فقط في إشباع لذة جسمانية. وإنما يشمل أيضاً إفساد الأخلاق بأي طريقة كانت كإرسال ابنته للرقص في محلات الملاهي أو لمجالسة الرجال والتحدث إليهم في محل معد للدعارة أو غير ذلك من طرق الإفساد. وليس من الضروري لقيام الجريمة أن يتحقق الفسق وترتكب الفحشاء فعلاً.

وقد حدد المشرع الاتحادي وسائل التحريض فجعلها القول أو الإشارة، ومؤدى ذلك أن هذه الجريمة لا تقع بكتابة أو رسم، والقول لا يشترط الجهر به، إذ تتحقق الجريمة حتى لو

حصل همساً في الآذان. والإشارة ذات مدلول واسع فتشمل الابتسامة والسير البطيء الخليع والالتفاف نحو الآخرين والنظر إليهم بطريقة تنم عن الدعوة إلى مقدمات الفاحشة.

وفي كل الأحوال فإنه لا يشترط أن يكون القول أو الفعل قبيحاً في ذاته، وإنما يكفي أن يستمد ويستشف قبحه من الغرض منه، وهو أمر تستخلصه محكمة الموضوع من ظروف القضية وملابساتها.

٢ ـ أن يكون المكان عاماً

عبّر المشرع عن المكان العام بقوله "طريق عام أو مكان مطروق.." فهو يشمل الشوارع والميادين والحدائق والساحات والطرقات وكافة الأماكن التي يرتادها الناس ويستطيع أن يأتي فيها الجاني هذا السلوك القبيح.

٣ ـ الركن المعنوي للجريمة

يتخذ الركن المعنوي لهذه الجريمة صورة القصد الجنائي أي العلم بماديات الجريمة والإرادة المتجهة إلى تحقيق هذه الماديات ويكفي أن تتجه نية الجاني إلى حدوث الفسق.

عقوبة الجريمة: اعتبر المشرع هذه الجريمة جنحة وعاقب عليها بالحبس الذي لا تقل مدته عن ستة أشهر.

الخاتمة

نرى ضرورة تحصين المجتمع ضد الجريمة وذلك بنشر القيم الأخلاقية والتربوية النابعة من أحكام الشريعة الإسلامية بما يعصم هذا المجتمع من الزلل والانحراف وترشيد السياسة الجنائية وذلك باستقاء قواعدها من مبادئ الشريعة الإسلامية وتضمينها الوسائل التي تحول دون انتشار الرذيلة.

فالرجوع إلى الدين الحنيف دين الفطرة التي فطر الناس عليها، دين الحق، والاعتصام بالشريعة الإسلامية التي تشكل الملجأ والملاذ.

إن الالتزام بقواعد الدين الحنيف هو الذي يقلل من تأثير الدوافع الشريرة الدخيلة على الإنسان.

فالإسلام هو النظام الأخلاقي السلوكي المتكامل الذي يقوم على معتقدات سامية تنظم العلاقة الروحية بين الإنسان وخالقه.

فالدين يحفظ للفرد وللمجتمع أخلاقهما، لقد آن الأوان لإفساح المجال للقيم الأخلاقية النابعة من الدين الإسلامي لتأخذ دورها في تطبيع الإنسان وتهذيب سلوكه، وبالتالي نقضي على كل الآفات التي تعد اعتداءً على الحياء والاحتشام والسلوك العام.

بسم الله الرحمن الرحيم

وسائل الاتصال ودورها في نشر سلوك الاحتشام

د. مساعد بن عبد الله المحيا
قسم الإعلام - كلية الدعوة والإعلام
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مدخل إلى البحث

الحمد الله والصلاة والسلام على رسوله.. وبعد،

ينظر إلى وسائل الاتصال عامة والقنوات التلفزيونية على نحو أخص على أنها من أبرز الوسائل التي ينبغي استثمارها في تعليم الجمهور كثيرا من السلوكيات والممارسات الجيدة والصحيحة، كما أن آخرين ينظرون إليها في هذا الجانب بالذات على أنها من أكثر الوسائل التي أسهمت في تعليم الجماهير كثيرا من الممارسات السلوكية غير المرغوبة.

ومن هنا فإن كثيرا من المربين والمهتمين بالعملية التعليمية والتربوية يحرصون على دعوة القائمين على هذه الوسائل إلى الاهتمام بالمضامين والأنماط البرامجية التي تقدمها حتى تتسق والجهود التربوية التي تبذلها المؤسسات الاجتماعية والتربوية من جهة وبين مختلف وسائل الاتصال من جهة أخرى. ولعل أبرز الممارسات السلوكية التي يتهم بها التربويون والعاملون في الحقل الدعوي وسائل الاتصال، بل يكاد يجزم بعضهم بذلك أن ثمة برامج كثيرة تقدمها عدد من تلك المحطات تتقاطع في أكثر الأحيان مع جهودهم الدعوية والتربوية ولا سيما في جانب الحجاب[1]

---

(١) الحجاب بمعناه العام هو المنع والستر وهو فرض على كل مسلم من رجل أو امرأة الرجل مع الرجل والمرأة مع المرأة وأحدهما مع الآخر كل مما يناسب فطرته وجبلته ووظائفه الحياتية التي شرعت له، فالفوارق الحجابية بين الجنسين حسب الفوارق الخلقية والقدرات والوظائف المشروعة لكل منهما، لكن الذي نعنيه هنا بالحجاب حجاب المرأة المسلمة وهو مما يجب على جميع نساء المؤمنين لكن طبيعة هذا الحجاب محل خلاف بين أهل العلم إذ هناك من يرى أن الحجاب يقصد به التزام الحجاب الشرعي الساتر لجميع البدن بما في ذلك الوجه والكفان انظر بكر بن عبد الله أبو زيد، حراسة الفضيلة (مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢١) ص ٢٤ وص ٢٦ وهناك من يرى أن الحجاب يشمل ستر البدن دون الوجه والكفين انظر محمد ناصر الدين الألباني، حجاب المرأة المسلمة.

الشرعي للمرأة والسلوك المحتشم..و برغم أن ثمة تباينا في الآراء لدى الباحثين والدارسين الإعلاميين إزاء قدرة وسائل الاتصال وعلى نحو خاص المحطات التلفزيونية على تغيير أنماط السلوك لدى الجمهور إلا أن مما أصبح محل اتفاق لدى كثيرين منهم أن لهذه المحطات تأثيرات ذات طبيعة تراكمية[1]، بمعنى أنه إذا كان من المقبول القول بأن ثمة عوامل وصعوبات جمة تكتنف عملية التأثير في السلوك لدى الفرد فإن مما أصبح مسلما به أن هذه الوسائل لها ولبرامجها على المدى الطويل تأثيرات يصعب إنكارها بحال..

إن المتأمل في كثير من برامج عدد من القنوات الفضائية العربية وغير العربية يلحظ دون عناء أنها أضحت تمطر جمهورها بمواد كثيرة ومتعددة تظهر كثيرا من مفاتن المرأة بأوضاع وأشكال مختلفة، كما تعمل تلك القنوات على عرضها وهي تقدم أو تشارك أو تمثل بملابس تبدو فيها غير محتشمة، بل إن عددا من برامج هذه القنوات الفنية والرياضية والأزياء والإعلانات أصبحت تغص بمظاهر لا تتمتع بأي ضوابط تذكر حتى غدت حالة شاذة تتقزز منها النفس وينفر منها حتى أولئك الذين لا يرون مانعا من ظهور المرأة متزينة ومتكشفة؟..

إن أقل ما يمكن أن تحدثه هذه الأنماط المتعددة من البرامج من تأثير هو أنها تكاد أن تنجح في جعل قلوب كثير من المشاهدين كما وصفهم الحديث كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.. وذلك نتيجة طبيعية للتأثيرات التراكمية التي ولا تزال تركتها هذه المواد؟؟.

إن تنامي ظاهرة السلوك غير المحتشم في كثير من المحطات التلفزيونية وما تشتمل عليه من مشاهد غرامية وما تحظى به من قبول ومتابعة لدى فئات كثيرة من جمهور هذه المحطات وهو أمر يؤكده حجم الإعلان الذي تحظى به هذه البرامج والمحطات!! حتى ممن يفترض أنهم يقفون سدا منيعا أمام تنامي هذه الظواهر!!.. أقول إن تنامي هذه الظاهرة خلقت شعورا من الإحباط لدى كثير من التربويين والدعاة والمعنيين بصلاح بيوتهم وأسرهم حتى لم يعد كثير منهم يتناولها إلا لماما برغم خطورة آثارها على المستوى الفردي والأسري والاجتماعي، ولذا فإن من الحري أن يتم تناول هذه الظاهرة من خلال عدة بحوث ودراسات نظرية إعلامية واجتماعية ووصفية ميدانية وتحليلية تكشف عن حقيقة هذه الممارسات والآثار المترتبة عليها في مجتمعاتنا وتعمل على إبرازها.. إضافة إلى دراسات نظرية وعملية تكشف وتحدد الكيفية المثلى لتوظيف هذه المحطات في نشر الحجاب الشرعي وتعليم الناس ضرورة وأهمية السلوك المحتشم..

---

(١) انظر محمد عبد الرحمن الخطيف، كيف تؤثر وسائل الإعلام دراسة في النظريات والأساليب،(الرياض مكتبة العبيكان. ١٤١٥) ص ص ١٥-٢٧ وانظر دنيس مكويل، الإعلام وتأثيراته دراسة في بناء النظرية الإعلامية، تعريب عثمان العربي (الرياض، دار الشبل للنشر والتوزيع، ١٤١٢)، ص ١٨٥، وانظر ملفين ل.ديفلير، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف (القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع، ١٩٩٣)، ص ٢٨٣.

لذا وبما أن جامعة الشارقة بالتعاون مع مجلة الشقائق تقيمان ندوة في هذا الجانب، وحيث إن أحد محاور هذه الندوة العلمية يتناول" السبل التي تمكن للاحتشام في المجتمع" ولما كانت وسائل الاتصال الجماهيرية إحدى أهم الوسائل التي ينبغي استثمارها وتفعيلها لتسهم في نشر السلوك المحتشم والحجاب الشرعي بين المسلمات في مختلف أرجاء هذه البسيطة تنشره ليكون أكثر تمكنا وبقاء، لا سيما وأن هذه الوسائل اليوم تمارس في أكثر الأحيان هذا الدور بسلبية أو بطريقة خاطئة.. فقد حرصت على المشاركة في ذلك عبر بحث بعنوان (وسائل الاتصال ودورها في نشر سلوك الاحتشام).

الدراسات السابقة:

يعد موضوع وسائل الاتصال ودورها في سلوك الاحتشام من الموضوعات التي لم يتم تناولها على نحو واسع وواضح عبر دراسات علمية ميدانية أو تحليلية أو نظرية إذ لا تزال الدراسات المتوفرة عن هذا الجانب حسب علم الباحث محدودة بوصف ذلك من الجوانب التي يصعب تناولها من الناحية التطبيقية إضافة إلى أن ثمة جدلا حول هذا الموضوع وعدم قناعة لدى البعض في أهمية تناوله، إضافة إلى عدم وضوح ملامحه وأبعاده الأساسية التي ترتبط بما تشتمل عليه وسائل الاتصال من مضامين وأشكال تتقاطع مع السلوك المحتشم في كثير منها وتقود إلى تأثيرات على الأسرة في المجتمع المسلم وقيمها وثقافتها. كما أن البعض يشير إلى أن البحوث العلمية حول جوانب مما ترتبط به هذه الظاهرة قليلة و" كثير مما هو موجود ومتوفر يغلب عليه طابع التنظير والتخمين غير المبني على دراسات علمية يتحكم الباحثون فيها بكثير من عواملها ليصلوا إلى نتائج محددة ودقيقة[1] ومع هذا الشح في الدراسات فإن من الممكن القول بأن عددا من الدراسات التي تناولت تأثيرات وسائل الاتصال على الفرد في مجتمعاتنا العربية هي بشكل أو بآخر تناولت جوانب مما تشير إليه هذه الدراسة حيث قدمت بعض الدراسات الميدانية عددا من النتائج التي كشفت عن وجود تأثيرات للقنوات الفضائية مرتبطة بالقيم والأخلاق والسلوكيات المرتبطة بالهوية الإسلامية[2] وما سأشير إلى جوانب منه خلال فصول

---

(١) عبد الله الحقيل، تأثير مشاهدة القنوات الفضائية على متابعة الإعلام السعودي، ١٤١٨ بحث غير منشور ص ١٣.

(٢) مثل الدراسة إبراهيم الشامسي حول تأثيرات البث التلفزيوني المباشر غير الأقمار الصناعية على الموروث الثقافي والاجتماعي في دولة الإمارات العربية المتحدة، ودراسة حمزة أحمد بيت المال، استقبال القنوات التلفزيونية الفضائية في المملكة العربية السعودية، دراسة حالة عن مدينة الرياض، ودراسة حمود بن عبد العزيز البدر، القنوات الفضائية إيجابيات مشاهدتها وسلبياتها ودراسة سعود دهلوي، تأثيرات القنوات التلفزيونية الفضائية على البنية والعلاقات الاجتماعية: التأثيرات الأمنية على المجتمع، ودراسة صالح أبو أصبع وتوفيق يعقوب، استخدامات مشاهدة التلفزيون، دراسة حالة لاستخدام طالبات جامعة الإمارات للتلفزيون عل ضوء نظرية الاستخدامات والاشباعات ودراسة عبد الحافظ عواجي صلوي، تأثري وسائل الإعلام السعودية في ترتيب أولويات اهتمام الجمهور بالقضايا الخارجية ودراسة عبد اللطيف العوفي، الهوية الثقافية الوطنية والقنوات الفضائية على متابعة الإعلام السعودي، ⇐

هـذا البحث، كما أن هناك عددا من الدراسات التحليلية انتهت إلى نتائج مهمة في هذا الصدد [١]. كما أن هناك دراسات أخرى نظرية تناولت هذه التأثيرات[٢]. ولذا فإن ما ستضيفه هذه الدراسة التي نحن بصددها أنها دراسة عملت على رصد جوانب من هذه التأثيرات إضافة إلى كونها الدراسة الأولى في جوانب دور وسائل الاتصال في دعم سلوكيات الاحتشام.

مشكلة البحث:

علـى ضوء ما أشار إليه الباحث في مدخل البحث والدراسات السابقة حول أهمية موضوع البحث وحاجة المكتبة الإعلامية إلى دراسة تتناول كيفية استثمار وسائل الاتصال في دعم سلوكيات الاحتشام لا سيما بعد أن أصبحت وسائل الاتصال تعمل بطريقة عكسية في تحقيق ذلك.. يمكن تحديد مشكلة البحث فيما يلي:

- كيفية استثمار وسائل الاتصال وتوظيفها تجاه نشر سلوك الاحتشام.
- واقع اهتمام وسائل الاتصال في نشر سلوك الاحتشام.
- الآثار المترتبة على ضعف اهتمام مواد وسائل الاتصال بالسلوك المحتشم.
- جوانب مقترحة لتفعيل اهتمام وسائل الاتصال بسلوكيات الاحتشام.

تساؤلات البحث:

بناء علـى طبيعة هـذه الدراسة والأهداف التي تسعى إلى الوصول إليها وفي إطار مراجعة الدراسات السابقة وفي ضوء المشكلة البحثية فإن هذه الدراسة تسعى إلى الإجابة عن التساؤلات الرئيسة التالية:

س١: كيف يمكن توظيف وسائل الاتصال في نشر سلوك الاحتشام؟

س٢: ما مدى اهتمام وسائل الاتصال في نشر سلوك الاحتشام؟

س٣: ما الآثار السلبية لمضامين ومواد وبرامج وسائل الاتصال على الجمهور؟

س٤: ما الآفاق المستقبلية للسلوك المحتشم عبر وسائل الاتصال؟

⇐ ودراسة مساعد بن عبد الله المحيا حول دوافع استخدام وسائل الاتصال الإلكترونية ومدى الإشباع الذي تحققه، وغيرها من الدراسات التي اشتملت على جوانب من تأثيرات هذه القنوات على أنماط السلوك.

(١) مثل دراسة أحمد عبد الملك حول توصيف عام للقنوات التلفزيونية الفضائية في العالم العربي / دول مجلس التعاون ودراسة حمزة بيت المال ومحمد قاري سمرقندي حول تحليل مضمون المواد التلفزيونية بمحطات تلفزيون دول مجلس التعاون الخليجي. دراسة حالة لتلفزيونات المملكة العربية السعودية والكويت وعمان وأبوظبي ودراسة محمد معوض إبراهيم حول برامج الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال عبر القنوات التلفزيونية الفضائية لدول الخليج العربي. الواقع والمستقبل ودراسة مساعد بن عبد الله المحيا حل القيم في المسلسلات التلفازية ودراسة محمد منير حجاب، المحتوى الثقافي للفلم المصري، ودراسة عدلي سيد محمد رضا، صورة الأب والأم في المسلسلات العربية بالتلفزيون.

(٢) مثل بحث سيد محمد الشنقيطي، القنوات الفضائية المآخذ والإيجابيات ودراسة محمد الرميحي حول تفعيل دور الإعلام الخليجي في ظل الواقع الإعلامي والمعلوماتي الحديث (الطرق والوسائل).. وغير ذلك من الدراسات.

نوع البحث ومنهجه:

نظرا إلى أن هذا البحث يسعى إلى التعرف على كيفية توظيف هذه الوسائل في نشر سلوك الاحتشام ومدى اهتمامها في ذلك كما تستهدف التعرف على الآثار السلبية لمضامين وسائل الاتصال على الجمهور وكيف سيكون مستقبلها فأن هذه الدراسة تعد دراسة وصفية تسعى إلى وصف تلك الظواهر ودراستها ولأن هذه الدراسة تعد من البحوث الوصفية فإن المنهج الملائم لها هو المنهج الاستقرائي والوثائقي وذلك عن طريق استقراء وتتبع ما اشتملت عليه الدراسات والتراكمات العلمية.

الفصل الأول: أهمية توظيف وسائل الاتصال في نشر سلوك الاحتشام

يشهد العالم اليوم ثورة واسعة وتقدما كبيرا في مجال وسائل الاتصال والاتصالات وتدفق المعلومات عبر مختلف الوسائل التكنولوجية، وعلى نحو خاص وسائل الاتصال المسموعة والمرئية والمقروءة، حتى أصبح هذا العالم بمثابة القرية الإلكترونية التي لا يغيب عن أي فرد فيها ما يحدث في أطرافها، ونتيجة لذلك فقد ظلت العديد من الدول والمؤسسات تتنافس في استخدام هذه الوسائل لما تتميز به من إمكانات وخصائص وقدرات ولاسيما في بيئتنا العربية للاستحواذ على أكبر قدر من الجماهير، الأمر الذي جعل الكثيرين من التربويين والمعنيين بشؤون المجتمعات المسلمة يتساءلون عن الدور الذي ينبغي أن تقوم به هذه الوسائل تجاه نشر سلوك الاحتشام بعد أن أضحى كثير من مضامين هذه الوسائل يسهم في دعم السلوك غير المحتشم في مجتمعاتنا المسلمة وهو ما يهدد جوانب من قيم وأخلاقيات هويتنا الدينية والثقافية في ظل ظهور مفاهيم تتعلق بالوحدة الثقافية العالمية؟ وتدعو إلى القضاء على المعايير القيمة سواء الدينية أو المجتمعية...

وقبل أن نتحدث عن الممارسات السلبية لوسائل الاتصال ولا سيما فيما يتعلق بنشر السلوك غير المحتشم واللباس المتبرج[1] فإن من الضروري أن نبرز أولا قدرتها على العمل على نشر السلوك المحتشم لدى جمهورها وذلك من خلال توظيف هذه الوسائل توظيفا جيدا والعمل على استثمارها فينقل كثير من المضامين ذات العلاقة بسلوك الاحتشام والتأكيد على أهمية الحجاب الشرعي وضرورة محافظتها عليه، إذ من المتوقع أن يكون لهذه الجهود أثر بارز في حاضر مجتمعاتنا المسلمة وصياغة مستقبلها، ولعل من أبرز الجوانب التي ينبغي الاهتمام بها في هذا الصدد ما يلي:

---

(١) التبرج هو التزين- وتبرجت السماء أي تزينت بالكواكب (المعجم الوسيط)-قال البخاري التبرج أن تخرج المرأة محاسنها، نقلا عن سهيلة زين العابدين حماد، مسيرة المرأة السعودية إلى أين (جدة،الدار السعودية،١٤١٢) ص٢٩ قال فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين-رحمه الله- (التبرج لأن تتزين المرأة للرجال باللباس والزينة والقول والمشية ونحو ذلك مما تظهر به نفسها للرجال وتوجب لفت النظر إليها.) ويقول الشيخ عبد العزيز بن الباز بأن التبرج هو إظهار الزينة والمحاسن كالرأس والوجه والعنق والصدر والذراع والساق ونحو ذلك من الزينة انظر عبد العزيز الباز، التبرج وخطر مشاركة المرأة الرجل في ميدان عمله،(الرياض، مكتبة دار اليقين، بدون تاريخ) ص٤.

أولا: العناية بتنمية روح الإخلاص لدى العاملين في هذه الوسائل

لعل من أبرز السمات التي يتسم بها الخطاب الإسلامي أنه يغرق كثيرا في الحديث حول ما تعانيه الأمة الإسلامية من ضعف وتبعية.. في مقابل تفوق أعدائها في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية والإعلامية.. ولذا فإن من المهم تجاوز ذلك إلى العمل على تشخيص أسباب هذا الواقع وكيفية التغلب عليها وتحقيق العلاج الناجح لها إذ ذلك يظل مطلبا ضروريا يعتني به الجميع لا سيما من خلال التغيير في أساليب تناوله ليجدد ذلك في النفوس الأمل ويحيي روح التفاؤل.

إن ثمة أسبابا قادت الأمة حتى بلغ بكثير من مجتمعاتنا وأسرها إلى ضعف العناية بالحجاب والتهاون في أمر الاحتشام، لعل من أبرزها ضعف الصلة بالله وعدم الاستقامة على دينه أو البعد عن منهجه وكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولذا كان من أبرز ما تفقده العديد من وسائل الاتصال في عالمنا الإسلامي لكي تقوم بدور فاعل في التذكير بأهمية الاحتشام هو ضعف الإخلاص لله عز وجل إذ قل أن تجد اليوم في عالمنا الإسلامي من يبذل لأمته متجردا لله حريصا على أن تبلغ من المجد غايته ومن الخير أجمعه... وهو أمر يكاد يشمل الأفراد في كافة المؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية والسياسية والإعلامية... فكم من الآباء والأمهات في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم يحرصون لدى قيامهم بممارسة مسؤولياتهم التربوية على أن تكون تلك الجهود تصب في مصلحة الأمة؟ وكم من المعلمين والأساتذة عندما يقومون بواجباتهم التعليمية يحرصون على أن تكون جهودهم تلك لبنات تثمر بناء قويا ومتينا وصلاحا للفرد وأن تتجاوز كونها فقط عملا يوميا يتكسبون منه؟؟، وكم من الإعلاميين والكتاب الذين يتجردون فيما يقومون به لله فلا يشغلهم في الحقيقة سوى كيف يرتقون بالفرد والأمة في ميادين العطاء والخير؟؟، في مقابل الكثيرين جدا ممن يسعون فيسيئون ويهدمون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

إن الحديث عن الإخلاص حديث عن أمر عز أن يجده المرء في مجتمعاتنا الإسلامية إلا لدى أولئك الذين ابتاعوا رضا الله عز وجل وطمعوا في ثوابه وقليل ما هم، أما أولئك الذين يقدمون في كل أمر مصالحهم ومكاسبهم على حساب مصالح الأمة فهم مع كثرتهم غثاء لا تفيد منهم شيئا إن لم يترتب على عملهم ضرر قل أو أكثر...

إن ثمة وسائل إعلامية ومؤسسات تعليمية في عالمنا الإسلامي ظلت ولمدة طويلة قليلة الإنتاجية نتيجة لأن الذي كان يتسنم إدارتها لم يكن يهمه سوى تحقيق أعلى قدر من المصالح الشخصية عبر بوابة هذه الوسيلة أو تلك المؤسسة، في حين أنها عندما حظيت بمن يتمتع بقدر وافر من الإخلاص والعطاء ارتفعت معدلات إنتاجيتها وازدادت خدماتها وامتدت ونمت والعكس صحيح أيضا.

إن الإخلاص يظل في مجتمعاتنا مظهرا مهما من مظاهر الالتزام بدين الله وجزءا لا يتجزأ من الاستقامة فمن لا يملك ذلك الالتزام وتلك الاستقامة قل أن يكون مخلصا للأمة ولما تنيطه به من مسؤوليات[1]، ولعل مما يدعو إلى التساؤل أن المرء يلحظ أن كثيرا من غير المسلمين ولا سيما في وسائل إعلامية دولية متعددة ربما كانوا أكثر التزاما بمبادئهم وقيمهم وأكثر إخلاصا في عملهم لعقيدتهم ولبلدانهم ولقومهم، وهو أمر تجسده كل يوم عدد من مواد وبرامج وسائل الإعلام التي تمتلكها مؤسسات وشخصيات يهودية في كثير من دول العالم في حين أن عدداً من وسائلنا الإعلامية لا تزال تعمل بعيداً عن قيمنا الرافضة للتبرج والسفور..

إنني أوقن أن ثمة نماذج متعددة وكثيرة من العاملين المخلصين في مختلف المجالات تمتلئ بها الساحة الإسلامية وتعكس جوانب من الخير الذي تتمتع به هذه الأمة وأملي أن نسهم جميعا في دعم هذه النماذج الحية وأن نحفز الآخرين لمثل ذلك، وأن نعمل على استثمار إمكانات وسائل الاتصال في دلالة وتحقيق الإخلاص في النفوس[2] وأن نحرص على دعم وجود أولئك في وسائل إعلامنا وأن نكون نحن فيما نتولاه من مسؤوليات في هذه الوسائل صورة مشرقة لما ينبغي أن يكون عليه المسلم فذلك هو أول الخطوات في طريق الإصلاح.

ثانيا: المشاركة الفاعلة عبر وسائل الاتصال

الحديث عن وسائل الاتصال ولاسيما القنوات التلفزيونية الفضائية وعلى أخص القنوات التي تتحدث العربية لا سيما بعد ازدياد عددها وحجم استخدامها يقود إلى تساؤلات مهمة لعل أبرزها، لماذا يغيب كثير من الدعاة المخلصين عن هذا الميدان الرحب والفسيح برغم حضور كل أصحاب الاتجاهات والمصالح الأخرى، وما مدى استثمار الدعاة في أرجاء العالم العربي والإسلامي من الفرص التي أتاحتها وتتيحها هذه القنوات؟، وما الجهود التي بذلت للعمل على إتاحة فرص أخرى عبر مجموعة البرامج التلفزيونية العامة والمتخصصة إبلاغا لدين الله ونشرا لقيمه وآدابه للأمانة التي تحملوها..؟؟.

إننا ينبغي أن نعترف ونحن نتحدث عن تقصير كثير من هذه الوسائل القنوات بأن ما يقدمه كثير من الدعاة في مجال هذه القنوات لا يتجاوز في أغلبه التحذير منها وبرامجها على نحو عام، وعلى الرغم من التسليم بما تشتمل عليه برامج كثير من تلك القنوات من سلوكيات غير محتشمة وممارسات غريبة على قيمنا ومبادئنا إلا أن الدور الأكبر لكثير من الدعاة لا ينبغي أن يقتصر على ذلك خاصة وأن نتائج الدراسات الميدانية تظهر تنامي استخدام هذه

---

(١) انظر محمد خير رمضان يوسف، صفات مقدمي البرامج الإسلامية في الإذاعة والتلفزيونية، (مطابع الفرزدق، الرياض،١٤٠٦) ص ١٩ وما بعدها.

(٢) انظر جوانب للعديد من الوسائل والأساليب التي يمكن عن طريقها توظيف وسائل الاتصال لدى سيد محمد ساداتي الشنقيطي، دور وسائل الإعلام في بناء ملكة التفكير السديد لدى الطلاب،(الرياض، دار المسير، ١٤١٧ه)، ص ٧٤ وما بعدها.

القنوات، الأمر الذي يؤكد ضرورة إعادة المؤسسات الدعوية الرسمية والخيرية في العالم الإسلامي النظر في استراتيجيات سياساتها الدعوية المتخصصة والمجالات التي يمكن أن تسهم بها والميادين التي تطرقها، وبرامج تدريب الكوادر الدعوية والتي ينبغي أن تعد إعدادا علميا ونفسيا وتربويا يتسق والمهمة المناطة بهم وما يأمله الناس منهم، وأحسب أن لهذه الجوانب أثرها الإيجابي الذي ينعكس على المواد الدعوية عبر القنوات الفضائية التلفزيونية خاصة عند ما يصبح الهاجس الأهم لدى الدعاة هو الوصول إلى كيفية جيدة مثلى لحمل الدين عقيدته وشريعته وهديه إلى أرجاء هذه المعمورة التي تزال عطشى للحق وهديه وأهله..و أحسب مع هذا كله أن للدعاة جانبا من المسؤولية في ذلك[1] إذ هم مقصرون رغم كل المسوغات والمعوقات التي يطرحونها، ولعل المنصف منهم يعترف بذلك[2]...

ومع أن ثمة تباينا في طبيعة تلك القنوات والوسائل وأهدافها إلا أن ذلك لا يعفي المسئولين من المسلمين عن هذه القنوات بأي حال من الأحوال من مسؤولياتهم تجاه دين الله وضرورة إسهامهم في نشره وحمل رسالته وآدابه وقيمه من خلال الاستفادة من عدد من الدعاة الموثوقين.

وإذا كان هذا على الأقل من الناحية الواقعية سيبقى متعذرا وبعيد المنال لدى تلك القنوات خلا الإسهامات الواضحة لبعض القنوات ولبرامج معينة في بعض القنوات الأخرى فإن الحاجة تبدو ماسة جدا لقنوات فضائية إسلامية ذات منهج متميز في الأداء لتحمل إلى كل مسلم في أرجاء هذه المعمورة عبر برامج متنوعة حقيقة هذا الدين ويسره وقيمه وأخلاقه وإكرامه للمرأة ورعايته لها، ولتسهم وعلى نحو واضح في طرح أنموذج متميز للمرأة المتحجبة التي تهتم بحجابها وتفتخر به ولا تسمح لنفسها أن ترتدي لباسا غير محتشم .

وذلك دون شك يتطلب مزيدا من العناية بهذه البرامج من خلال الكفاءات الجيدة المتخصصة والمتميزة في الإعداد والإخراج، واختيار الموضوعات الأكثر حاجة وأهمية ومواءمة، واختيار المقدمين والمشاركين الذين يجمعون بين الفهم العام والكافي في العلوم الشرعية والقضايا الدعوية وبين الكفاءة في التقديم إضافة إلى تمتعهم بالقبول لدى الجمهور[3].

---

(١) انظر: محمد عبد العزيز الحيزان، البحوث الإعلامية أسسها وأساليبها ومجالاتها، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ ١٩٩٨م) ص ٢٠-٢١.

(٢) يؤكد الكثير من المهتمين بالإعلام الإسلامي منذ سنوات على أهمية الحضور الجيد في وسائل الاتصال من خلال التغلغل الطبيعي في تلك الوسائل عبر الكفاءات المدربة والجيدة دون الاكتفاء بالمشاركة في برنامج ديني فقط انظر زين العابدين الركابي، الإعلام وقضايا الإسلام، ندوة غير منشورة عقدت في جامعة الرياض الملك سعود حاليا، ص ١١.

(٣) يربط عدد من المهتمين بالإعلام بين السعي الحثيث الذي يمارسه أهل الباطل في نشر باطلهم في حين أن كثيرين من أصحاب الحق والمضمون الجيد لا يزالون يتقاعسون عن القيام بدور في ذلك مؤكدين على مسؤوليتنا أمام الله في القيام بذلك انظر على سبيل المثال مهدي إبراهيم، وسائل الإعلام المعاصرة، محاضرة غير منشورة، ص ١٤.

ثالثا: انتقاء العناصر والكفاءات الجيدة

إن المتأمل في واقع كثير من المحطات التلفزيونية والإذاعية اليوم يلحظ أن المواد الفكرية والثقافية والدينية والإعلامية والسياسية والاقتصادية.. إلخ أخذت تحظى في الآونة الأخيرة بعناية واسعة من لدن مجموعة من تلك المحطات وبنسب متفاوتة فيما بينها، ويعكس هذا الاهتمام جوانب من الإشباعات التي تتطلع إليها فئات كثيرة من جمهور هذه الوسائل[1]، الأمر الذي جعل المحطات التلفزيونية تعنى بما يحقق أكبر قدر من الإشباع لهذه الدوافع. وذلك ما يعرف بالدراسات الإعلامية بنظرية الاستخدام والإشباع[2]، وهو اتجاه أضحت القنوات الفضائية التلفزيونية تضعه من بين أولوياتها التي تحدد وتنظم طبيعة العلاقة بينها وبين جمهورها، لا سيما وأن نتائج الدراسات الإعلامية تؤكد وجود تأثيرات واضحة وجلية وتتمتع بها وسائل الاتصال بشكل عام والمحطات الإذاعية والقنوات التلفزيونية على نحو خاص، وذلك في مجال التأثيرات المعرفية التي أصبحت من أكثر التأثيرات اتفاقا لدى باحثي الاتصال، إذ لم يثر حولها جدل على النحو الذي واجهته التأثيرات السلوكية والعاطفية[3]، وهو أمر تتناوله بعمق الدراسات المتعلقة بنظريات وسائل الاتصال[4] وبما أن طبيعة هذه المواد التي تقدمها تلك الوسائل تتناول سلوكيات ينبغي أن يهتم بها المرء في أسرته وأهل بيته فإن من أبرز ما تتطلبه أن تحظى بحجم مشاركات واسعة من قبل فئات العلماء والمثقفين والمفكرين والشخصيات المقبولة والموثوقة..

---

(١) انظر مزيدا من هذه الصفات لدى محمد خير رمضان يوسف، صفات مقدمي البرامج في الإذاعة والتلفزيونية، مرجع سابق، ص ١٩ وما بعدها.

(٢) انظر تفصيل لهذه النظرية لدى مساعد بن عبد الله المحيا، دوافع استخدام وسائل الاتصال الإلكترونية ومدى الإشباع الذي تحققه. بحث دكتوراه، مرجع سابق، ص ص ٩٤-١٥٦ وانظر عبد الحافظ صلوي مرجع سابق، ص ص ١٣٢-١٣٤ ومحمد الحظيف، مرجع سابق، ص ٢٦،٢٧ وانظر صالح خليل أبو أصبع، الاتصال الجماهيري، (الأردن، دار الشروق، ١٩٩٩) ص ص ٢١٤ — ٢١٧.

(٣) انظر مساعد بن عبد الله المحيا التأثير ونظرياته وأساليبه، بحث غير منشور، ص٧.

(٤) انظر معلومات أوسع حول هذه النظريات لدى عبد الحافظ عواجي صلوي. وتأثير وسائل الإعلام السعودية في ترتيب أولويات اهتمام الجمهور بالقضايا الخارجية. بحث دكتوراه، ص١١١ — ١٣٢،وحمدي حسن مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال، (القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٨٧)ص ص١٣٧-١٥٨، وانظر حسن مكاوي وزميله، المدخل إلى علم الاتصال، (الكويت ذات السلاسل،١٩٩٥)ص٤٣٣ وانظر دنيس مكويل مرجع سابق ص ص١١٥-١٨٥ وانظر ملفين ل.ديفلير، مرجع سابق ص ص٢٩٧-٣١٧، وانظر عبد الرحمن الشبيلي، تحصين الأطفال من التأثيرات السلبية للبث المباشر، إعلام وأعلام، (الرياض، مطبعة سفير،١٤٢٠هـ ص٢٥١وما بعدها. وانظر بسيوني إبراهيم حمادة، وسائل الإعلام والسياسة دراسة في ترتيب الأولويات، (القاهرة، زهراء الشرق،١٩٩٧) ص٢٠٢ وما بعدها.

ومع أن هذا النوع من البرامج حظي بمشاركة فئات كثيرة من هؤلاء إلا أن عددا غير قليل من تلك البرامج لا تزال تحتفي بعناصر يمكن أن توصف بأنها انتقائية تنسجم طبيعتها وتوجهاتها وولاءها ورؤاها مع طبيعة المعايير التي تضعها تلك المحطات للعناصر التي تستضيفها، الأمر الذي يشير إلى تغييب نسبي متعمد على خارطة ذلك النوع من البرامج لكفاءات علمية وفكرية معينة يراد لها أن لا تشارك في طرح رؤى لا ترغب بها هذه المحطة أو تلك ..على الرغم من أن هذه الشخصيات والكفاءات تتسق في رؤاها وقيمها وقناعاتها مع طبيعة الجمهور الذي تتجه إليه غالبية هذه الوسائل والقنوات في كثير من موادها وإعلاناتها وهو أمر تفرضه عليهم الاعتبارات التسويقية والتجارية !!.يضاف إلى هذا أن طبيعة ملكيتها لابد وان تنعكس على نوعية هذا المضمون أو على الأقل غالبيته..

لذا كان لابد وأن يتسق مع هذا التوجه الإعلاني توجه لقادة الرأي والكفاءات والعناصر الفكرية والعلمية والثقافية الفاعلة في المجتمع ممن يحملون رؤى ترتكز على مبادئ هذه الأمة وعقيدتها للمشاركة وتسنم الإشراف على كثير من البرامج الدينية والثقافية والفكرية[1]، إضافة إلى الكفاءات المهنية التي تجمع بين رؤية فكرية سديدة وتدريب وتأهيل كاف[2]، إذ هؤلاء سيسهمون وعلى نحو قوي وجيد وبأساليب مختلفة في طرح وتناول كثير من الجوانب وخاصة واقع المرأة في بيئاتنا الاجتماعية وأهمية العناية بالحجاب الشرعي والتذكير بالآثار التي تترتب على تنامي ظاهرة السلوك غير المحتشم للمرأة المسلمة أو حتى لغير المسلمة في مجتمعات المسلمين والعمل على طرح تجارب إيجابية في هذا الجانب وتقويمها،فضلا عن وجودهم في الوقوف أمام كل مواد لا تخدم ذلك التوجه المحتشم..

ودون شك فإن ذلك سيقود إلى خلق بيئة سليمة في وسط الوسائل بعيدة عن كل ممارسة سلوكية غير مرغوبة خاصة وأننا في ظل عدم الاهتمام بهذا النمط من الكفاءات المؤهلة،وتغييب العناصر العلمية المتميزة في صفاء العقيدة والآراء الفقهية السديدة والمنهجية العلمية الناضجة في التفكير نسهم دون شك في مزيد من الإبراز والتلميع للآخرين ولمرئياتهم وأطروحاتهم ولعل مما يؤكد ضرورة الاهتمام بهذا الجانب، أن ثمة فئات كثيرة من مختلف بيئاتنا الجغرافية وبتأثير هذه

---

(١) إذ ذلك كفيل بإبراز النماذج الحرية بالاقتداء انظر عبد القادر طاش،دور الإعلام في توجيه الشباب، كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ، الرياض شعبان،١٤٠٥ هـ ص١١ وما بعدها وانظر فهمي عمر، دور الإذاعة في مواجهة مشكلة الشباب، ندوة الإعلام والشباب (القاهرة،كلية الإعلام، ١٩٨٣،ص٨٩.

(٢) انظر أهمية الاحتراف والتدريب لدى محمد الرميحي، تفعيل دور الإعلام الخليجي في ظل الواقع الإعلامي والمعلوماتي الحديث (الطرق والوسائل) ورقة مقدمة لندوة الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحادي والعشرين، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، بحث غير منشور ص ص١٧-٢٣.

الوسـائل أصبحت تتجه إلى تلك البرامج وتتفاعل مع الشخصيات التي تبرزها، ولعل الأكثر خطورة أن يقود ذلك إلى ثقة تامة أو شبه تامة بعناصر نحسب أنها ليست حقيقية ولا جديرة بذلك.

رابعا: العمل على صناعة المادة الإعلامية

لم تعـد وسائل الاتصال الجماهيري تتناول مختلف الموضوعات بحياد وموضوعية كما تقول أو تدعـي، إذ تظل وسائل الاتصال الجماهيري مرتبطة بالتوجه الذي تسير في إطاره في كل دولة مهما اتسـعت دائـرة الحرية لديها[1]، بل أصبحت ولا سيما المؤسسات الإعلامية الكبيرة تصنع[2] بطريقة أو [اخرى المادة الإعلامية،فقد تعمل على تضخيم قضية صغيرة فتبدو شيئا ذا بال ينبغي أن يحظى باهـتمام كبير كأن تتناول مشكلة تتعلق بالحجاب وتضخمها ثم تفتعل الكثير من المعوقات والعقبات أمامـه. أو أن تغفـل الاهـتمام بمسـألة الحجـاب على نحو جزئي أو كلي برغم الحاجة الماسة إليه وبـرغم مـا يدعو لذلك فيبدو للمتلقين غير حقيقي بأي اهتمام يذكر،أو أن تنشئ مشكلة وتثير قضية حـول الحجـاب أو الاحتشـام بمفهـومه العـام والشـامل كـل ذلك لتحقيق مقاصد معينة، فهي إذن تصنع أمام جمهورها مادة أو رسالة تريد أن تصل إليه ويصغي إليها..

إن غـياب وسائلنا الإعلامية العربية والإسلامية عن تناول قضايا معينة أو تناولها بالرؤية الـتي تـثيرها الوسـائل الغـربية في حـين تكـون حاضرة وبقوة في تناول قضايا أخرى أقل أهمية جعـل المؤسسـات الإعلامـية العربية تعيش تبعية فكرية ونمطية ستظل تنمو وتستمر ما لم تعمل تلـك الوسـائل أو بعضـها علـى الأقـل على الاستقلال في موضوعاتها وطرحـها مع الاستفادة من مصادر معلوماتية أخرى كالإنترنت[3] والتي أصبحت تحظى باستخدام كبير لما تشتمل عليه من معلومات جديدة وآنية .

لذا فإن وسائلنا ينبغي أن تعمل على صناعة العديد من المواد في عدد من الموضوعات التي يـراد للـناس الاهـتمام بهـا ومـن بيـنـها سـلوك الاحتشام لتكون مصدرا معلوماتيا ومعرفيا مقبولا ولتبقـى فاعلـة ومؤثـرة علـى نحـو إيجابـي،فهل تدرك وسائلنا ذلك وآثاره وتعمل بالتالي على

---

(١) لعل مما يؤكد ذلك ويوضحه مثلا في الجانب الإخباري ذلك التعتيم الشديد على مجريات الأحداث في أفغانستان لدى الإعلام الأمـريكية بـرغم مسـاحة الحرية التي تدعيها تلك الوسائل، وكذلك في الشيشان نتيجة للحظر الذي فرضته الحكومة الروسية علـى السـاحة الشيشـانية وما حولها لكي تظل وكالة الأنباء الروسية والتلفزيون الروسي المصدر الوحيد الذي تصدر عنه الأنباء المتعلقة بالحرب في الشيشان ولآثار التي خلفتها.

(٢) الصـناعة هـنا بطبيعة الحال لا تعني الكذب وإنما العمل على الاهتمام بإثارة قضايا معينة وتضخيمها وتأكيد مكانتها دون أن يكون لهذا بالضرورة سبب يقود إلى ذلك ..

(٣) قـل أن تجـد في وسـائلنا الإعلامـية اعـتمادا على مواقع إلكترونية عبر شبكة الإنترنت ولا سيما الأكثر موثوقية إذ تظل بعض هـذه المواقـع مصـدرا مهمـا مـن مصـادر المعلومة المهمة في ظل تفرد وأحادية مصادر معينة ربما لا تملك القدر نفسه من الصدق والموثوقية فيما تقدمه من أفكار ومعلومات وأخبار..

البدء في صناعة المادة الإعلامية ولا سيما في القضايا التي يتطلع الناس كل الناس إلى معلومات حقيقية حولها، إذ من غير المقبول أن تظل غائبة عنها في حين يكون الحضور لوسائل أخرى لا تقدم الطرح الجيد والمقبول وإنما تعمل على الإثارة والتشكيك في قضايا وموضوعات أساسية مثل عدم ضرورة الحجاب أو مناسبته! ،وأن التقدم الحضاري يتطلب نزعه وجعل المرأة الغربية أنموذجا للمرأة المسلمة!! ،وغير ذلك من القضايا التي يعد الالتزام بها سياجا يحفظ به الله مجتمعاتنا وأسرنا المسلمة من التفكك والرذيلة.

خامسا: إدراك مدى تأثير الصورة التلفزيونية

تظل عدسة الكاميرا التلفزيونية في ظل الاستخدام المتنامي لوسائل الاتصال قادرة على حمل رسائل ومضامين يصعب حملها وبالتأثير نفسه عبر وسيلة أخرى، فقد استطاعت تلك العدسات في تقديري من خلال النقل التلفزيوني الحي والمتابعة اللحظية لمجريات الأحداث مثلا في فلسطين والمواقف البطولية لانتفاضة الأقصى، أن تسجل حضورا أكبر لهذه الانتفاضة في قلوب المسلمين وتؤثر على مشاعرهم، ولذا فقد جاء التعاطف والتفاعل مع هذه الأحداث قويا وشاملا وواسعا من مختلف أرجاء العالم الإسلامي(١).

ونتيجة للأثر الذي تركته هذه اللقطات فقد عملت بعض تلك المحطات على استثمارها في تفعيل أكبر للمقاومة وللتفاعل معها ولذا فقد كان للأداء الإيجابي لتلك القنوات أثر كبير وقوي وعجيب في نفوس جماهير الأمة المسلمة في مختلف الأرجاء(٢).

وإذا كانت صورة تلفزيونية واحدة هزت العالم وعلى نحو خاص الغربي وأبرزت الكثير من التعاطف لدى الكثيرين وعلى جميع المستويات الشعبية والرسمية(٣)، فإنني أتساءل ترى ماذا سيكون الأمر لو استطاع عدد من المصورين تصوير كل مشاهد القتل التي يتعرض لها الشباب الفلسطينيون وعلى نحو خاص الأطفال الذين سقطوا في هذه الانتفاضة..؟؟.

إن ذلك دون شك يؤكد جانبا من الأثر الذي تتركه الصورة التلفزيونية وأنها في كثير من الأحيان أبلغ من ألف كلمة ورسالة وخطبة إذ هي بلاغة جديدة عبر التلفزيون(٤)، لا سيما

---

(١) يكفي أن نتذكر كيف استطاعت اللقطات التي صورت الطفل محمد جمال الدرة يبكي هلعا ووالده المكلوم يستغيث أمام وابل الرصاص الذي انهمر عليه وعلى ابنه وهو ينادي بإيقاف إطلاق النار حتى سقط الطفل في حجر والده مضرجا بدمائه انعقد لسان الأب وراح في غيبوبة، الأمر الذي كان له أثر في نفوس الكثيرين.

(٢) يأتي في مقدمة هذه المحطات التلفزيون السعودي ولا سيما من خلال حملة التبرعات ومثله عدد من المحطات الخليجية والخاصة إضافة إلى التلفزيون الفلسطيني، فقد ظلت بعض هذه القنوات تقدم الكثير من المواد التلفزيونية وتعيد بث عدد من اللقطات المؤثرة الأمر الذي أسهم في تقديري في تأجيج روح التفاعل في الشارع العربي والإسلامي بل وفي فلسطين نفسها.

(٣) الغريب أن رئيس وزراء الحكومة الصهيونية آنذاك "باراك"أظهر أنه قد تأثر بهذه اللقطات! مع أنه مرتكب الجريمة!!؟

(٤) انظر إبراهيم إمام، نحو بلاغة تلفزيونية في البرامج الدينية، (الرياض، جهاز تلفزيون الخليج، ١٤٠٣ هـ)ص٣.

وأنها تحمل للعالم معان يكاد يستحيل اقتناعه بغيرها لا سيما وأن وسائل الإعلامية الغربية تعمل على استثمار ذلك في تشويه صورة المسلمين والرجل الفلسطيني على نحو خاص[1]، إذ كثيرا ما ينجح هذا الإعلام في توظيف عدد من الصور التلفزيونية إن لم يكن يصنعها ابتداء!!، لتحقيق رسائل وأهداف يتطلع إلى الوصول إليها.

إن من الضروري أن نعيد تقويمنا لهذه الوسيلة وأن نتصور على نحو واقعي ودائم أننا بحاجة ماسة لكل معطيات الصورة التلفزيونية سواء في رسائلنا الإعلامية أو التوجيهية أو الدعوية، وأن ندرك أنها قادرة على التسلل إلى عقول كثير من الشباب والفتيات ولا سيما عندما تعمل على نقل وتدعيم أنماط من الصور التي تدغدغ غرائزهم وهو جزء من التوظيف السلبي لهذه الوسيلة، لذا فمن الضروري أن نعمل على استثمار وتوظيف هذه الصورة التلفزيونية على نحو إيجابي في الترغيب بالحجاب عبر صورة الحجاب ومن يرتدينه محبوبة ومحبذة وتتناول موضوعات تتعلق بهذا الجانب.

سادسا: الاهتمام بإقامة مراكز للإنتاج الإعلامي

لعل من أبرز ما ينبغي أن نهتم به بذل مزيد من الخطوات العملية لاستثمار التقنيات والوسائل الإعلامية وخاصة الراديو والتلفزيون لتقديم مواد تسهم في جعل الحجاب ظاهرة تكتسح البرامج التلفزيونية والمواد الصحفية وليصبح سمة من السمات الظاهرة للعلامات في وسائل الاتصال... بيد إن مثل هذه الآراء ظلت دون مجيب أو مجيبين يحملون الراية بحرص يتفق وطبيعة الحاجة وحجمها وتناميها عدا بعض الاهتمامات اليسيرة..

ومن هنا فإن إقامة مراكز للإنتاج الإعلامي[2] في مجتمعاتنا الإسلامية تعد قناة يفترض فيها أن تمد وسائل الاتصال بكثير من المواد المناسبة التي تسهم في تكريس نموذج الاحتشام والسلوك المحتشم في مجتمعاتنا المسلمة، وأن يصبح الاهتمام بإقامة هذه المراكز جزءا لا يتجزأ من كينونتنا الفكرية والثقافية والعملية... ولذا فالمسؤولية تبقى كبيرة على مؤسساتنا الدعوية وشخصياتها إذ لا ينبغي بحال أن تغيب عن هذه الميادين في الوقت التي نجد أنها تحضر وبفاعليه كبيرة ولكن في مجالات أقل أثرا وجمهورا وفائدة..

---

(١) مثلا في أحداث هذه الانتفاضة لا تزال تعمل عدد من المحطات الغربية على تقديم صورة اخرى لمجريات الأحداث في فلسطين مبرزة الكيان الصهيوني على أنه محب للسلام وذو منهج ديموقراطي وأن جنودها يدافعون عن وطنهم في مقابل الفوضويين الذين يرمون الحجارة ويحرقون الإطارات!

(٢) لعل من أبرز المشكلات في هذا الجانب الإحباط إزاء الجدية في إقامة تلك المراكز، فقد قدر لي أعيش منذ مدة ليست بعيدة شعورا بالأمل نتيجة لوجود توجه ورغبة لدى إحدى المؤسسات الوقفية الكبيرة لإقامة مشروع قناة فضائية تلفزيونية مع الاستعداد التام لتقديم كل الدعم والتمويل الذي تتطلبه بيد أن هذا الأمل لم يدم طويلا إذ تبخرت كل تلك الآمال، بمجرد أصبح لدى هؤلاء صورة عامة عن التكلفة التي تتطلبها إنشاء هذه القناة وتجهيزاتها وبرامجها.!

إن ثمة أملا طيبا وشمعة أشعل ضوءها في النفوس مسؤولون[١] أكدوا أن المملكة تعتزم إيجاد قناة فضائية إسلامية متخصصة وأن إنجاز هذا المشروع يجري على قدم وساق[٢]، كما أن ثمة توجهات لإقامة مراكز إعلامية دعوية[٣] تعنى بكل أشكال الإعلام الدعوي من حيث الإنتاج والتدريب ورصد المعلومات وتحليلها..

هذه المراكز دون شك قمينة بمزيد من الدراسات المتأنية ليس فقط لتواكب مراكز الإنتاج الأخرى وإنما لتنافسها وتتفوق عليها، إذ ينبغي الاستفادة في الإعداد لهذا من عدد غير قليل من المتخصصين وأن تعقد لهذا ندوات وحلقات نقاش تشمل موضوعات شتى، كما أن ثمة حاجة رئيسة إلى دراسات تطبيقية وميدانية تقف على تجارب العديد من المؤسسات المشابهة والجيدة ولتخرج برؤى ناضجة تحدد الجدوى العملية لمثل هذه المراكز، وهل من المصلحة المضي في إقامتها أم العدول عن ذلك إلى أفكار قد تكون من حيث التكلفة والجودة والإنتاج الإعلامي الدعوي أفضل مما ستقوم به تلك المراكز...

سابعا: إنشاء وسائل اتصال جماهيرية عبر الوقف

حظي الوقف في الآونة الأخيرة بقدر جيد من الاهتمام ولا سيما من حيث الدراسات والبحث العلمي، إذ عقدت خلال السنوات الأخيرة عدد من الندوات والمؤتمرات العلمية[٤]، قدمت خلالها عدة بحوث أظهرت أن ثمة مجالات وصيغا حديثة يمكن من خلالها استثمار أموال الأوقاف في إنشاء ودعم عدد من الوسائل الإعلامية، لعلي هنا أعرض لما أشارت إليه بعض هذه الدراسات. إذ اقترحت إحدى هذه المؤسسات[٥] أهمية استثمار الوقف نظرا للمزايا التي يحققها، إذ يضمن توفير مورد ثابت للمشاريع والمؤسسات الخيرية ويحفظ لها استمراريتها، وبوصفه من خصائص هذه الشريعة في عدد من مجالات الإعلام لما يتيحه من

---

(١) أكد ذلك على سبيل المثال معالي وزير الشؤون الإسلامية ولأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة الشيخ/صالح بي عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، انظر مجلة الدعوة، العدد١٨٠٥.

(٢) انظر الدراسة التي أعدها عقيل القين، حول القناة الفضائية الإسلامية الخطوة الأولى نحو نشر المعلومات عن العالم الإسلامي، دراسة قدمت لندوة مصادر المعلومات عن العالم الإسلامي، نظمتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد والبنك الإسلامي للتنمية، الرياض رجب١٤٢٠.

(٣) على سبيل المثال تعتزم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة إنشاء مركز إنتاج متميز بحيث يمكن أن يسهم في سد حاجة عدد من وسائل الاتصال للمواد الشرعية والدعوية.

(٤) عقدت وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية وذلك في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، بعد ذلك عقدت الوزارة في مكة المكرمة ندوة أخرى حول مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية.

(٥) هذه الدراسة قدمها الدكتور/محمد بن عبد الله الخرعان حول دور الوقف في دعم وسائل الإعلام الإسلامي وتمويلها. بحث مقدم لندوة "مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية"، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، بحث غير منشور.

فرص اتصاليه وتأثيريه، لذا كان على المؤسسات الخيرية أن تعمل من خلال مشاريعها الوقفية على إقامة ودعم وسائل إعلامية متعددة وتمويلها..

وإذا كانت وسائل الإعلام الإسلامي من حيث حجمها ووظائفها تواجه مشكلات جعلتها قاصرة عن الوفاء بوظائفها على الوجه المطلوب، فإن ذلك يستدعي جهودا كبيرة لتملك ناصية الإعلام وتوجيهه على منهج سلف الأمة، والإنفاق عليه بسخاء. إن من أبرز مشاكل الإعلام الإسلامي اليوم محدودية عددها، واقتصارها على الوسائل الصحفية، وضعف توظيف الوسائل الأخرى"الإذاعة والتلفزيون" واعتمادها على مصادر الأخبار والمعلومات الأجنبية في أكثر أحوالها. وندرة الطاقات البشرية المبدعة في المجال الإعلامي والمشكلات المتعلقة بالتمويل، مبرزا سبل تفعيل وتوثيق العلاقة بين الوقف ومؤسسات رعايته والمؤسسات الخيرية في دعم وسائل الإعلام من قبل تلك المؤسسات مشيرا إلى بعض النماذج التي تستحق العناية والتطوير[1].

ومن خلال آراء الخبراء من ذوي الاختصاص انتهت الدراسة إلى نتائج من أبرزها أهمية دعم الوقف لوسائل الإعلام الإسلامي، وتمويله وأهمية الإنفاق على إنشاء مؤسسات للإنتاج، ووسائل إعلامية، وتطوير الوسائل القائمة، وتأهيل الكفاءات، وتشجيع القدرات والطاقات الإعلامية، والاستفادة من الكوادر العلمية الشرعية والمتخصصة في أقسام الإعلام والطاقات العلمية في العالم الإسلامي، وأن يكون لكل مؤسسة ميزانية خاصة لدعم العمل الإعلامي بحيث تشكل هذه الميزانيات المختلفة ميزانية موحدة يمكن أن يقوم من خلالها عمل إعلامي كبير ومستقل يمثل الأمة بمجموعها، مؤكدة على أهمية تنظيم حملة توعية قوية ومدروسة تبين أهمية هذا المجال. تستخدم فيها كافة الوسائل المشروعة والمكنة، مع استصدار الفتاوى الشرعية من كبار العلماء في هذا المجال وفضله ونشرها بين الناس وأن دعم الإعلام ماديا صورة من صور الإنفاق في سبيل الله "الجهاد". وحيث إن ثمة حاجة ماسة إلى ازدياد وعي الكثير منا إزاء استثمار الوقف في مجالات عديدة تتجاوز الأشكال التقليدية المعروفة إلى عدد واسع من الصيغ الجديدة التي تتفق مع معطيات الواقع وتواكب التحولات التي أضحى العالم يعيشها في كل بيئة جغرافية، فقد أبرزت دراسة أخرى[2] جملة من الصيغ

---

(١) مثل بعض المواقع على شبكة الإنترنت في عدد من دول الخليج. وبعض المجلات والصحف التي تصدر عن بعض المؤسسات والجمعيات في دول الخليج. بالإضافة إلى بعض الإذاعات الجيدة في بعض الدول الإسلامية.

(٢) هذه الدراسة تناولت (الصيغ الحديثة لاستثمار الوقف وأثرها في دعم الاقتصاد) أعدها الدكتور راشد بن أحمد العليوي وشارك فيها في ندوة"مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية" والتي نظمتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية وذلك في مكة المكرمة.

الحديثة لاستثمار المشروعات الوقفية[1]، مشيرة إلى الأدلة الشرعية على جواز تلك الصيغ وآراء العلماء فيها. ولذا فإن من المهم أن نعمل على لفت نظر الناس تجاه جوانب عديدة تتعلق بالوقف منعا للتكرار وكسبا لمزيد من المشروعات الإعلامية التي تعود على الأمة بالخير والفائدة وضمانا لاستمرار عطاء وتوهج هذه المشروعات الموقوفة وحرصا على تحقيق قدر واسع من الفهم والفقه لأولويات مجتمعاتنا المسلمة التعليمية والدعوية والاجتماعية والاقتصادية، لا سيما وأن إقامة هذه المؤسسات والوسائل الإعلامية عبر مشروعات وقفية كفيل بمزيد من الاهتمام بالمضامين التي تنشر الفضيلة وتدعو إليها وتعمل على جعل سلوكيات الاحتشام بمفهومه الواسع سمة من سمات وسائل الاتصال الملتزمة ...

ثامنا: دعم الوسائل والبرامج القائمة في وسائل الاتصال الجماهيرية

ثمة وسائل وبرامج إعلامية استطاعت تقديم مواد وبرامج ذات مستوى طيب ومقبول وعملت على تقديم أنموذج مقبول للمرأة وطرحت صورة جيدة عن اللباس المحتشم للأسرة المسلمة وآثار ذلك على المجتمع والأمة، فهي وإن اكتنفها بعض القصور والأخطاء إلا أنها نجحت في تحقيق إشباعات متعددة لكثير من المسلمين ممن وجدوا في موادها وبرامجها جانبا كبيرا مما تتطلع إليه أنفسهم وأسرهم وأطفالهم[2] ولذا كان من الضروري أن لا تكون عملية تقويم هذه الوسائل وبرامجها مرتبطة بالبيئة المحلية للفرد الذي يقوم بتقويمها، إذ إن ما نراه في كثير من الأحيان يسيرا أو ضعيفا أو أن الناس لا يحتاجون إليه يكون الكثيرون في العالم الإسلامي بحاجة ماسة إليه أو هو جزء مهم مما يتطلعون إليه، بل إن عددا من المسلمين سواء في الدول العربية أم خارجها أصبح أحد أسباب اقتنائهم لجهاز الاستقبال التلفزيوني الفضائي أو متابعتهم للمجلات والصحف ولإذاعات هو حرصهم على متابعة مواد وبرامج هذه القنوات.

ومع أن عددا من الجمهور كانوا يتطلعون إلى أن تواكب هذه الوسائل ذات التوجه الإسلامي الوسائل والقنوات الأخرى وأن تدخل معها في منافسة بل وأن تتفوق عليها، إلا أن الإنتاج الإعلامي والتلفزيوني على نحو خاص عملية تتطلب الكثير من الجهد والوقت والمال، ومن المتعذر أن تنجح اليوم قناة أو وسيلة جادة في منافسة وسائل أخرى تسعى إلى تحقيق قدر

---

(١) هذه الصيغ شملت "الاستصناع على أرض الوقف" و "المشاركة المتناقضة المنتهية بالتمليك" و "الإجارة التمويلية لإعمار الوقف" و "وصكوك المقارضة" و "إبدال الوقف المستقل بوقف مشترك" و "بيع بعض الوقف لإعمار الباقي" و "إقراض الوقف قرضا حسنا لإعمار نفسه" ومع أن بعض تلك الصيغ محل خلاف بين أهل العلم إلا أن الباحث في هذه الدراسة يرى رجحان استخدام تلك الصيغ أما صيغ النقود فتشمل "المرابحة للآمر بالشراء و"البيع بالتقسيط"و"بيع السلم"، وتأسيس الصناديق الوقفية.

(٢) لعل من ابرز الوسائل التي تؤكد ذلك قناة إقرأ الفضائية إذ برغم كل ما يوجه لها من نقد تظل تحمل في كثير من برامجها ومضامينها الكثير من الآثار الإيجابية.

كبير من الربحية عبر مواد وبرامج تستجيب للإشباعات التي يطلبها الجمهور، لا سيما وأن ذلك النمط من البرامج والمواد الترفيهية والرياضية والدرامية وربما الإغرائية أصبحت أحد العوامل المهمة في جذب أكبر قدر من الإعلان، لا سيما وأن هذه القنوات تحتاج إلى كثير من الأموال التي ينفقها المعلن من أجل بقائها واستمرارها على الساحة وهو ما جعل الإعلان التلفزيوني الفضائي في تزايد مستمر[1] وعلى هذا فقد يكون من المستحيل أن نتصور نجاحا لمثل هذه المشروعات الجيدة الجادة دون وجود أحد عاملين مهمين،أولهما دعم حكومي أو خيري كبير وأنفاق سخي على متطلبات الإنتاج الإعلامي والبرامجي الذي تحتاجه هذه الوسيلة أو القناة وثانيهما عوائد ربحية كافية سواء عبر الإعلانات أو الرعاية أو الاشتراك،وبدون هذين العاملين فان من الطبيعي أن تظل تلك البرامج في الإطار المكتبي الذي لا يعايش واقع الناس ولا ينقل مجريات حياتهم ولا يتفاعل مع أتراحهم وأفراحهم ولا يسهم في حل، ومع ذلك فقد استطاعت هذه الوسائل أن تواكب في عدد من موادها وبرامجها بل تنافس ما تقدمه الوسائل والقنوات الأخرى[2] على الرغم من قلة الدعم والكفاءات،حيث نجحت في الاهتمام بالقضايا الحيوية للأمة وفي طرح قضايا الحجاب والإجابة على كل ما يثار نحوه في هذا الصدد كما أن وسائل أخرى حققت نجاحا متميزا في هذا الجانب[3]، فهي إذن سبيل لنشر قيم وأخلاقيات إسلامية تشتد الحاجة إليها ولا سيما فيما يتعلق بالأسرة والمرأة وهي جوانب لم تعد تعني بها كثير من وسائل الاتصال الأخرى على النحو الذي يبني مجتمعا فاضلا ونظيفا.

إن ذلك يتطلب دون شك مزيدا من الدعم لهذه الوسائل إذ إن أي تراجع ولا سيما في هذه المرحلة المبكرة من عمر هذه الوسائل سوف ينعكس سلبيا ليس فقط على مؤسسيها وإداراتها وإنما على مشروعات أخرى كثيرة مماثلة، ويجعل كثيرا من محبي هذا النوع من المواد والبرامج يشعرون بقدر واسع من الإحباط لا سيما والبدائل أمامهم قليلة، كما أن أي تراجع في هذا الصدد يجعل أولئك الذين كانوا يراهنون على فشل هذا النمط من المشروعات وأمثاله ينتشون اليوم بما يجدونه من مصداقية وتوقعاتهم..

ولكي تظل هذه المشروعات قوية ومتميزة فإن من الضروري أن يتواصل دعمها والإنفاق عليها بسخاء بالغ، بل إن هذه الوسائل عندما يعز على مؤسسيها الاستمرار في الإنفاق

---

(١) لا يزال الإعلان يسجل نموا مطردا ولا سيما في دول الخليج،انظر جملة من الإحصائيات والأرقام التي تؤكد هذا النمو في دول الخليج ومقارنتها ببعض الدول ولأخرى لدى عبد الله الحقيل، ومرجع سابق ص١٠.

(٢) لعل من أمثلة ذلك قناة إقرأ الفضائية والتي استطاعت أن يكون لها موطئ قدم لدى المشاهدين،ولا سيما إبان تولي الأستاذ الدكتور عبد القادر طاش وهو الإعلامي الناضج ومعاونيه مسؤولية إدارتها والإشراف عليها لفترة زمنية.

(٣) لعل مجلة الشقائق تعد نموذجا فريدا من بين المجلات الملتزمة التي استطاعت أن يكون لها حضور مناسب في هذا الأمر.

عليهــا فإن ثــمة موارد أخـرى يمكن تفعيلها أو موارد يمكن استثمارها بصيغ تتطلب شيئا من التـنازل عـن الملكـية الـتامة إلى نـوع مـن الملكـية المشـتركة بطريقة تضمن لمؤسسها ما يرغب به وتحقق في الوقت نفسه الأمل المنشود الذي يتطلع إليه الكثيرون.

تاسعا: تطوير وتفعيل المواد الجيدة في وسائل الاتصال الجماهيرية

ثمـة مواد صحفية وبرامج إذاعية وتلفزيونية تمتلك تميزا في طرحها وتسهم في خلق صورة إيجابـية ونموذجـية للمـرأة والفـتاة المسـلمة وتتناول كثيرا من الإشكاليات في هذا الجانب سواء أكانـت مـواد وبـرامج تقدم للكبار أو للأطفال..ولعل مما يتطلع إليه الكثيرون أن تسهم عدد من المـواد والـبرامج الـتي تعد للأطفال[١] في تنمية شعور حب الحجاب لدى الطفلة والفتاة المسلمة، وأن تعمـل علـى حمـل رسـائل تـربوية تسـهم في صياغة ذهنية الطفلة والفتاة على النحو الذي يجـب أن تعيشـه الأسـرة المسلمة، لا سـيما وأن كـثيرا من هذه البرامج التي تقدم للأطفال ولا تراعي ذلك أو تكترث به برغم أهميته..

إن مـن الضـروري أن تجـد هـذه الـبرامج ومـثلها الصـفحات أو المجلات التي تقدم مواد جيدة للطفل أو لغيرة اهتماما وتشجيعا[٢] من وسائلنا الإعلامية وأن تحتفي كثيرا بهذا النمط من البرامج وأن تعمل على تطويرها[٣] وتفعيلها بوصفها تشمل على كثير من المواد والفقرات الموجهة والمنضـبطة والـتي تسـهم في حـب الفـتاة للـنماذج المحتشمة والمؤدبة وتخلق لديها حب اللباس الشـرعي الصحيح وأن نعمل على خدمتها من الناحية الفنية لتسأثر بجمهور واسع وهو أمر قل أن نعنى به عبر برامجنا التلفزيونية.

إن المضمون الجيد في المادة الإعلامية يمكن أن يحظى بمتابعة جيدة عندما نهتم بصناعته علـى نحـو متميـز بـل إن الجمهـور يظـل يترقب ذلك وهو ما نسميه في الإعلام بالانشغال قبل التعرض للبرنامج أثناءه وبعده.

عاشرا: الاهتمام ببرامج الفتوى الموثوقة في وسائل الاتصال الجماهيرية

لعـل مـن أبـرز البرامج التي أصبحت اليوم تجد إقبالا كبيرا لدى فئات الجمهور المختلفة سـواء داخـل بيئاتـنا العـربية أو خارجهـا الـبرامج الخاصـة بالفـتوى ولإجابـة علـى تساؤلات

---

(١) لعـل مـن أمـثلة هذه البرامج الجيدة برنامج مواهب وأفكار الذي يقدمه التلفزيون السعودي وعدد من البرامج التي تقدمها قناة الشارقة وبعض البرامج في بعض وسائل أخرى.

(٢) هـذا التشجيع ينظر إليه على أنه يسهم في خلق بيئة إعلامية وثقافية جيدة انظر محمود سفر،الإعلام موقف،(جدة، تهامة، ١٤٠٢ هـ) ص٧٦٠٧٧.

(٣) العمـل علـى تطويـر الـبرامج القائمـة مجـال تهـتم بـه عدد من الدراسات والمحطات انظر على سبيل المثال ما اشتملت عليه دراسـة محمد معوض،تطوير برامج التلفزيون الكويتي بعد التحرير لماذا وكيف، مجلة التعاون، عدد ٣٤، عام ١٤١٥،ص ص ١٢٤، ١٥١.

الجمهور الشرعية وغيرها، ولذا فهي حرية بمزيد من الاهتمام لدى محطاتنا الإذاعية والتلفزيونية[1]، لا سيما وقد أضحت مصدرا علميا مهما لكثير من المسلمين في المجالات العقدية والفقهية والفكرية..،بل إن مثل هذه البرامج أصبحت مصدرا لا يستهان به تناول قضية الحجاب من زواياها المتعددة وبالتالي فإن غالبية ما يطرح من آراء في هذا الجانب وما يعتد به الجمهور من مواقف وسلوكيات كثيرا ما يكون مصدرها هذه الأنماط من البرامج وذلك بلا شك يعود لاعتبارات متعددة من أبرزها ما يتسم به العلماء الذين يشاركون في هذه البرامج من موثوقية ومرجعية علمية مقبولة لدى المتلقين، ونتيجة لذلك فمن المتوقع أن تكون قد تراجعت مكانة بعض البرامج التي كانت تعد مصدرا ومرجعا لكثير من المتلقين[2] نتيجة ظهور وسائل أكثر تفاعلا وإيجابية كالفضائيات والمحطات الإذاعية والإنترنت التي أصبحت تلبي احتياجات المتلقين على نحو آني وفوري.

وإذا كان ثمة برامج أخرى لاسيما إثر انتشار الفضائيات العربية لا تزال على أسئلة المشاهدين والمستمعين معتمدة على مصادر تطرح رؤى توصف بأنها أكثر تسامحا ولاسيما في قضايا الحجاب...، فإن من الضروري التأكيد على استمرار وتوهج تلك البرامج المتميزة والأكثر موثوقية لتظل مصدرا تتدفق معلوماته الثرة عبر كوكبة من العلماء الذي نفخر بهم وبما يتميزون به دون الكثيرين من صفاء في العقيدة ومنهجية علمية ناضجة في التفكير وسداد في الآراء الفقهية ـ حتى وإن اختلفت فتاواهم وآراؤهم مما يسع فيه الخلاف [3]ـ وهي جوانب أحسب أن البيئة العربية الإسلامية تتوق إليها بشغف تام الأمر الذي يعكس جانبا من الدور الريادي المميز الذي تضطلع به بلادنا إزاء العالم الإسلامي، وأحسب أننا بدون ذلك نسهم دون شك من خلال سلبيتنا وتخلينا بطريق غير مباشر في مزيد من الإبراز والتلميع للآخرين ولمرئياتهم وأطروحاتهم، لا سيما وأن ثمة فئات من هذه البلاد أصبحت تتجه إلى برامج عدد من المحطات التلفزيونية لتسأل وتتفاعل مع الشخصيات التي تبرزها.

---

(١) أكدت على ذلك عدد من الندوات العلمية وحلقات النقاش انظر على سبيل المثال توصيات ندوة تطوير البرامج الدينية في تلفزيونات الخليج. التي نظمتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالتعاون مع جهاز تلفزيون الخليج، في شعبان ١٤٠٧ هـ. التوصية الخامسة..

(٢) لعل من أبرز الأمثلة على ذلك برنامج نور على الدرب الإذاعي الذي يقدم من إذاعة المملكة العربية السعودية منذ أكثر من ثلاثين عاما والذي يعتمد حتى اليوم على الرسائل البريدية التي قد لا يتم عرض بعضها حسب ما يؤكده لي بعض القائمين عليه إلا بعد أشهر قد تصل إلى ستة أو أكثر..

(٣) ثمة آراء فقهية عديدة تطرح عبر كثير من البرامج غير أنها يجب أن تكون مبنية على أدلة شرعية صحيحة ومقيدة بالقواعد الثابتة لأصول الاستنباط انظر سعيد صيني، مدخل إلى الإعلام الإسلامي، (القاهرة، دار الحقيقة للإعلام الدولي، ١٤١١) ص ص ٤٦ ٤٩.

حادي عشر: الاهتمام بالمواقع الدعوية عبر الإنترنت

المتأمل في مضامين بعض المواقع لعدد من المؤسسات الدعوية[1]، على شبكة الإنترنت، يلحظ غيابا لكثير من المضامين والصفحات التي يفترض أن تشتمل عليها مثل هذه المواقع، لاسيما وأن الكثيرين يتطلعون إلى أن تصبح هذه المواقع مرجعا فكريا وعلميا وعقديا... إذ ينبغي أن تشتمل هذه المواقع على مضامين تتسق واحتياجات الناس وتتفاعل مع تساؤلاتهم اليومية والآنية وتتناول القضايا التي تثيرها بعض الوسائل الإعلامية والمواقع الأخرى على الشبكة ولاسيما حول المرأة المسلمة وحجابها عبر مناقشة منضبطة.. وهذا يعني أن يكون لهذا المواقع أهداف شاملة واسعة لا ترتبط بالنطاق المحلي الذي تصدر عنه.

إن هذه المواقع الدعوية أخذت تنمو وتتطور في بيئاتنا الخليجية والعربية والإسلامية حتى أصبح لبعضها تميز لا يقارن[2]، فقد أضحت مرشدا، وهاديا للباحثين عن الحق، ودليلا وعونا للعاملين في حقل الدعوة إلى الله تعالى على أداء رسالتهم، ومصدرا للمسلمين أينما كانوا، تبصرهم بأمور دينهم، وتدحض ما يثار من شبهات وافتراءات تلصق بالإسلام[3]، لذا فإن الأمل كبير أن تسهم على نحو قوي في تفعيل قضية اهتمام الأسرة المسلمة بالحجاب وأن توليها عناية أكبر واهتماما أوسع وأن تعنى برصد الآثار الإيجابية التي تترتب عل اهتمام الأسرة والمرأة والحجاب، وما ستجنيه مجتمعاتنا عندما ينتشر فيها السلوك غير المحتشم، كما إن ذلك يمكن أن يكون ضمن حملة مدعومة وممولة من إحدى المؤسسات أو الشخصيات، لا سيما وأن مما ينبغي الإشادة به بالنسبة لهذه المواقع توجهها في استثمار دعم بعض الأفراد أو مؤسسات القطاع الخاص للأنشطة الدعوية، لذا فلابد وأن يتواصل ذلك عبر استراتيجية تتحقق من خلالها مجموعة من المشروعات الدعوية وفقا للأوليات التي ترى أهميتها، وهذا يحفز في الحقيقة إلى ضرورة اهتمام هذه المواقع بالإنتاج العلمي لكثير من العلماء والدعاة وعلى نحو خاص ما يتعلق بالمرأة وحجابها ليكون في متناول كل مسلم ومسلمة.. وإضافة إلى بعض المحاضرات المهمة في هذا المجال..

إن المسلمين في كل مكان يتطلعون إلى بلداننا وما يصدر عن علمائها ومؤسساتها العلمية والدعوية فينبغي أن تحمل هذه المواقع المتميزة كل ذلك إليهم وأن تكون انتقائية في شخصياتها وموادها أو أن تكون شخصياتها التي تعتمد عليها ليست ممن تتمتع بقبول أو موثوقية لدى الجمهور.

---

(١) لعل من أمثلة ذلك مواقع وزارة الشؤون الإسلامية في عدد من الدول الإسلامية والأزهر.. على اختلاف بينها في مستوى ذلك.

(٢) لعل من الأمثلة البارزة على هذه المواقع القوية موقع الإسلام أون لاين والشبكة الإسلامية من قطر والسلفية من الكويت.

(٣) انظر مزيدا من المعلومات حول أهمية استثمار شبكة الإنترنت في الدعوة إلى الله لدى رضا مطاوع يوسف، شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) وكيفية استثمارها في الدعوة الإسلامية، دراسة ماجستير غير منشورة، قسم الدعوة جامعة الأزهر.

ثاني عشر: الاهتمام بمعايير الالتزام في المواقع الترفيهية

لعل من أبرز المواقع التي تشهد تساهلا بأمر الحجاب وتناميا لظاهرة الملابس غير المحتشمة أو الأقل حشمة الأماكن السياحية الداخلية والخارجية، لا سيما وأنها تشهد اختلاطا يزيد من تأثير ذلك، ومع أن الأماكن السياحية بطبيعة الحال وسيلة اتصال جماهيرية إلا أن استثمار وسائل الإعلام في الدعوة للأماكن السياحية وحفز الناس لزيارة الكثير منها، إضافة إلى أن هذه المواقع أصبحت تعني بتقديم خدمات خاصة من بينها عرض بعض القنوات التلفزيونية المشفرة، جعل من المناسب الإشارة إلى أهمية الحديث عن أهمية توظيف هذا القطاع في جعل السلوك المحتشم أحد المظاهر والظواهر التي ينبغي أن تسود في هذه الميادين، وهو ما يؤكد الحاجة الماسة في كثير من بيئاتنا العربية لمثل تلك التعليمات المتعلقة بالاحتشام التي أصدرتها الشارقة...

بيد أن خصوصية بلادنا تجعل من الضروري أن تتظافر مؤسسات القطاع الخاص على جعل السياحة صناعة تسعى إلى أن تكون منسجمة مع ثوابت مجتمعاتنا وملتزمة بالآداب والقيم الإسلامية[1] ومحققة في الوقت نفسه الأبعاد الاقتصادية، وأن تكون غايتهم الأولى تحقيق أعلى قدر من الربحية حتى ولو ترتب على ذلك وجود مظاهر غريبة على مجتمعنا، إذ البعض من هؤلاء لا يرى مانعا من إدخال البرامج التلفزيونية ذات المضامين الغريبة وربما الشاذة التي تقدمها بعض المحطات التلفزيونية ولاسيما المشفرة في مواقعهم الترفيهية ضمن ما تقدمه من خدمات برغم ما تشتمل عليه من مواد فاضحة وسيئة....

لذا فإن من المهم أن تمارس الجهات المعنية دورا أكثر فاعلية في تنظيم هذه الأماكن الترفيهية والسياحية وما يتم فيها من ممارسات وسلوكيات غير محتشمة، وأن يكون أصحاب تلك المشروعات في مستوى المسؤولية..

إن ثمة نماذج حية من تلك المواقع الترفيهية أظهرت عبر برامجها المتنوعة أنها من الممكن أن تتحول إلى مراكز تربوية وتعليمية وترفيهية وتثقيفية، لا سيما عندما تستقطب تلك الأماكن الترفيهية عناصر متميزة ذات خبرة في إقامة تلك الأنشطة والبرامج رجالية ونسائية.... ولذا فقد حظيت أنشطتها باهتمام لدى كافة الفئات نظرا لتنوعها...

الفصل الثاني: واقع اهتمام وسائل الاتصال في نشر سلوك الاحتشام

ربما كان موضوع الاحتشام من الموضوعات التي قل أن تحظى بدراسة أو حتى بمحور من دراسة عدا دراسات قليلة جدا، تصف واقع هذه الوسائل من حيث مدى اهتمامها بالحجاب

---

(١) ثمة مقترحات تتعلق بالكيفية المثلى لممارسة الترفيه تطرحها عدد من الدراسات المتخصصة، انظر على سبيل المثال، محمد السيد الوكيل، الترويح في المجتمع الإسلامي، (دار أسامة، ١٩٨٤) ص ١٠٠ وما بعدها.

وتنمية سلوك الاحتشام من خلال المضامين والبرامج التي تقدمها أو ما تعيشه من سلبية في هذا الجانب[1]. ولعل لذلك أسبابا عدة لا يسمح المقام بتناولها، غير أن ثمة جوانب حري أن نتناولها في هذا النطاق تكشف جانبا من طبيعة اهتمام تلك الوسائل بالاحتشام، وهل يسير ذلك بالاتجاه الإيجابي أم السلبي وذلك وفق ما يلي...

أولا: متاجرة الإعلان والحملات الإعلانية بجسد المرأة!!.

نتيجة لما يسمى في دراسات الإقناع بالارتباط الذي يعد أحد وسائل التأثير القوية نظرا لأنه يحدث في الغالب بطريقة لا شعورية، فإن كثيرين ممن يريدون التأثير على الناس يحرصون على استثمار هذا الارتباط بين منتجاتهم ومصنوعاتهم ومبيعاتهم ومؤسساتهم وبين ما تميل إليه بعض النفوس وتفضله وذلك من خلال تنشيط واستغلال بعض الغرائز الإنسانية، ولذا نجدها تركز كثيرا على المرأة ومفاتنها[2]، بل قل أن تجد اليوم إعلانا يخلو من فتاة جميلة، كاسية عارية، تم اختيارها بعناية فائقة! لتضفي على المادة الإعلانية جوانب مما تتسم به من نضارة وجمال، بل قد تحرص كثير من الشركات الإعلانية والتسويقية على استغلال المرأة وجسدها حتى بالنسبة للمنتجات التي لا علاقة لها بالمرأة... كل ذلك لأن تلك الشركات الإعلانية والمؤسسات الدعائية تؤمن أن المتلقي سيستجيب لهذا المنتج بالقدر الذي تتطلع فيه بعض النفوس لمثل تلك الفتاة!

ولذا كما يقول "شيالديني"[3] فالشيء المهم بالنسبة للمعلن هو تأصيل الارتباط ولا يتطلب الأمر أن يكون الارتباط منطقيا وإنما يكفيه أن يكون إيجابيا بالنسبة له، وعلى هذا فقد أصبح ذوو الصناعة يحرصون على نحو مستمر على ربط منتجاتهم بالمواسم والأنشطة الرياضية والفنية والمشاهير في تلك المجالات ممن يستأثرون باهتمام عدد من الجماهير ذات تكلفة عالية معهم في ترويج منتجاتهم وبذلك ينشأ لدى المتلقي ارتباط مستمر بين هذه الشخصية وبين المنتج، وذلك ما نشهده اليوم في كثير من الحملات الإعلانية الصحفية والإذاعية والتلفزيونية واللوحات الإعلانية..

إن من أبرز ما تؤكده الدراسات الإعلامية حول الإعلانات في وسائل الإعلام العربية ذلك الاستخدام المفرط للمرأة وجسدها ومفاتنها وبأشكال متعددة في مختلف أنماط الإعلانات، على

---

(١) انظر مثلا أسامة محمد مشغل، الصحافة النسائية العربية، رسالة دكتوراة، بحث غير منشور ص ٣.

(٢) هذا الاهتمام باستخدام المرأة في وسائل الاتصال برغم أنه ظاهرة عالمية إلا أن هناك شعورا لدى البعض بأن المرأة في المجتمع المسلم هي الطريق الأقرب للوصول إلى تحقيق أهداف معينة، يؤكد هنا مقولة غير مسلمة لليهودي فروبرجر يصف المرأة المسلمة لكنها في الوقت نفسه تعكس جانبا من رؤية هؤلاء للمرأة المسلمة إذ يقول".. إن المرأة المسلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين وأقدرهم على جر المجتمع كله بعيدا عن الدين" من كتابه العالم العربي اليوم، مجلة المنهل، عدد ٤٩٥.

(٣) انظر روبرت شيالديني، التأثير وسائل الإقناع، ترجمة سعد جلال (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٨) ص ص٦٩-٧٨.

النحو الذي تمارسه وسائل الإعلام الغربية، الأمر الذي يقود إلى القول بأن ذلك يعد جزءا من التغريب الثقافي والخلقي الذي مارسته ولا تزال وسائل الاتصال الغربية على وسائلنا المحلية[١] حتى لم يعد هناك ما يمكن أن نجعله فاضلا بين أشكال ومضامين عدد كبير من البرامج والمواد الصحفية في عدد من الوسائل الغربية وبين ما تشتمل عليه الوسائل الغربية[٢] مع أنها حرية بنوع من الاستقلالية الفكرية والثقافية الإعلامية[٣].

ثانيا: غثائية المواد في القنوات الفضائية ووسائل الاتصال؟

لا تزال وسائل الاتصال الجماهيرية وعلى نحو خاص القنوات الفضائية التلفزيونية برغم كل ما قدمته المقالات والمحاضرات والدروس والدراسات والبحوث تمارس في كثير من برامجها أنماطا متباينة من العبث الذي لا يمكن السكوت إزاءه سواء كان ذلك موجها إلى عقيدة الأمة وأخلاقياتها أو رموزها العلمية والسياسية والفكرية...

وإذا كان من يملك هذه القنوات ووسائل الاتصال الأخرى لا يفكر إلا بالمنطق التجاري وهو الأمر الذي قاد في تقديري إلى كل تلك الممارسات اللاأخلاقية والسيئة التي تشهدها صباح مساء على خريطة موادها وبرامجها[٤] فإن المؤسف أن واقع كثير من الغيورين لم يتجاوز الأمل والطموح والرجاء، في حين أن آخرين لا يزالون يكتفون بالتحذير والنقد، والقليل الذي يطرح صيغا عملية تستطيع الأمة أفرادا أو مؤسسات القيام به...

إن مما يؤكده عدد من الباحثين أن وسائل الاتصال والقنوات الفضائية على نحو خاص رغبة منها في السعي وراء المنافسة التجارية عملت على الاهتمام بغلبة المواد الإعلامية الاستهلاكية التي تتسم بالسطحية والرداءة[٥]، ولذا فقد أربكت هذه الوسائل كما يؤكد ذلك سعد لبيب الإعلام العام في الوطن العربي وقادته للدخول في منافسة مع المؤسسات الخاصة

---

(١) انظر عبد القادر طاش، الإعلام والتغريب الثقافي، (الرياض، مؤسسة آسام، ١٤١٣) ص ص ٢٢ — ٢٦.

(٢) انظر قراءات هادفة... في القنوات الفضائية، قراءة في التأثيرات مجلة البيان عدد رقم ١٤٣.

(٣) التبعية الظاهرة التي تعيشها كثير من الوسائل الاتصال الغربية تحدث دون شك آثارا سيئة في المجتمع يقول د. سيد ساداتي الشنقيطي" فالثقافة التي يبثها الإعلام الوافد ثقافة المجتمعات الكافرة بشقيها الغربي والشرقي وهي تحمل خصائص تلك المجتمعات التاريخية والثقافية بالإضافة إلى الأنماط السلوكية الشائعة فيها وهي في الحقيقة ثقافة غازية تريد الهيمنة والاستعلاء "دراسات إعلامية في فكر ابن تيمية، (الرياض، دار المسلم، ١٤١٦) ص ٢٠٧.

(٤) منذ بداية دخول الصحافة للبلاد العربية وعدد من الصحف تحرص على اقتفاء أثر الممارسات التي تقوم بها بعض الصحف غير الإنسانية بل إن عددا من الصحف العربية كانت تتفوق في تبذلها ونشرها للصور غير المحتشمة على بعض الصحف غير المسلمة رغبة في الاستحواذ على أكثر قدر من القراء ولا سيما الشباب والفتيات انظر محمد قطب، قضية تحرير المرأة، (الرياض، دار الوطن، ١٤١٠) ص ٦٥.

(٥) انظر عبد القادر طاش، واقع الإعلام الخليجي في ظل ثورة التكنولوجيا والمعلومات، نحو رؤية إسلامية، ورقة مقدمة لندوة الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحادي والعشرين، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، بحث غير منشور، ص ١٤.

حتى تحافظ على قدر من جماهيرها وتأثيرها فتنازلت نسبيا عن توجهاتها الثقافية والتوجيهية رغبة في الوصول إلى الجماهيرية التي تؤهلها للمنافسة.."[1] الأمر الذي يشير إلى "خطورة هذه القنوات التي تترع نحو النظرة الذاتية الضيقة في تخطيطها الإعلامي والاستراتيجي، ولعل هذا يتضح جليا عند مقارنتها بإعلام متزن ومتحفظ يتكئ في أهدافه واستراتيجياته على أفكار ومفاهيم تنبع من خصوصيته الاجتماعية والثقافية والتنموية"[2].

لقد أحيت هذه القنوات سوق الفن والفنانين وأصبح الكثيرون من سقط المتاع ممن لا قيمة لهم في الحياة، الذين فشلوا في التعليم، أو الذين لا ثقافة لديهم أو يملكون انتماءات مشبوهة وعقائد باطلة أو منحرفة، أصبحوا يجدون أنفسهم في مقدمة من تحتفي بهم ضيوفا ومشاركين أو يعملون داخل أروقة هذه المحطات!!.

ونتيجة لذلك فإن من الطبيعي أن يكون عدد من برامجها يطرح مضامين لا تتسق والقيم الأخلاقية التي تعيشها مجتمعاتنا المسلمة، فقد عملت بعض القنوات في برامج معينة على الترويج للشذوذ الجنسي[3]، وأخرى لا تفتأ تناقش العلاقة بين المرأة والرجل قبل الزواج وأنه يجب أن نرفض كل القيود التي تمنع العلاقة بينهما وأن من حقهما ممارسة حريتهما والاستمتاع بهذه العلاقة، وفي قنوات عدة أصبح من الطبيعي أن تجد كل يوم الكثير من رموز الحداثة أو أصحاب الأفكار المنحرفة والشاذة... سواء من المفكرين أو الأدباء الذين مارسوا الكثير من التهكم والسخرية في ذات الله تعالى أو على نبيه أو على عقيدة وقيم الإسلام وآدابه، وعلى نحو خاص أولئك الذين يسخرون ليل نهار من حجاب المرأة المسلمة ويفتخرون أو يفتخرن بالسلوك غير المحتشم[4]،

---

(١) عبد القادر طاش، المرجع السابق، ص ١٤.

(٢) عبد الله الخليل، مرجع سابق ص ١٢- ١١.

(٣) خصصت إحدى الحلقات في أحد برامج تلك القنوات لاستضافة بعض الغربيين من الشاذين جنسيا وكان واضحا أن البرنامج عبر تقرير داخل المحطة يتبنى بعض آراء أولئك الشاذين ويبرر سلوكياتهم فقد أبرز الشذوذ على أنه أمر طبيعي وأن النفس تميل إلى جنسها وأن العالم اليوم أخذ يعيد نظرته إلى الشذوذ إذ إن الدول المتحضرة أخذت شعوبها الواعية!! والمتحضرة!! تتفهم طبيعة هذه الظاهرة وترفض النظر إليها على أنها مرض أو مشكلة أو شذوذ... ثم تحدث طبيب نصراني وزعم أن الميل إلى جنس الإنسان ظاهرة توجد كل إنسان حتى لو أنكر ذلك!؟؟ بمستويات متباينة، ثم تحدث الشاذون عن تجربتهم الشخصية وكيف أصبحوا من هذه الفئة وذلك عبر تفاصيل يستحي المرء من ذكرها!!؟، وتستمر المذيعة في حوارها معهم لتستزيدهم وتحصل على تفاصيل أكثر حول علاقتهم بالرجال والنساء!!! ثم يبدي الطبيب النصراني رأيه في تجربتهم وأن المجتمع والأسرة مطالبون بتفهم الظاهرة وحسن التعامل مع أصحابها وأن رفضها لن يقود إلى نبذ أصحابها لها، بل إن الشذوذ- كما يزعم الطبيب- له جذور موجودة في جينات كل فرد الأمر الذي يعني أن التفكير أو إيقاع العقاب على الشاذين هو عقاب على أمر خلقي.. إلخ قدمت هذا البرنامج إحدى القنوات العربية التي تبث من إحدى العواصم العربية في ١٩٩٩/٩/١٢م.

(٤) إحدى العاملات في الحقل الفني كانت تتحدث عبر إحدى القنوات وهي ترتدي ملابس فاضحة عارية وتقول بأن اللواتي يتحدثن عن قناعتهن باللباس المحتشم يقلن ذلك لأنهن لا يتمتعن بجسد جميل أما هي فلأنها تتمتع بذلك فهي تحب التعري وعدم الاحتشام!.. وإذا لم تستح فاصنع ما شئت...

والمؤسف أن هذه القنوات وكذلك الوسائل الأخرى تحتفي كثيرا بهذه النماذج لا لمناقشتهم ومساءلتهم وإنما لتمجيدهم وشكرهم على مواقفهم وآرائهم الأمر الذي يقود إلى تضليل الآراء حولهم..، فهم لدى تلك القنوات المناضلون والشعراء والمفكرون الكبار والنماذج الجيدة والقدوة والرموز الوطنية والإنسانية، كما أن هذه القنوات أصبحت تتيح لكثير من الشركات أن تعلن لديها عن بعض الأجهزة الرياضية وفي مساحات زمنية واسعة قد تمتد إلى ساعات طويلة وعبر نساء يرتدين ملابس رياضية فاضحة؟؟

ومثل ذلك بعض البرامج الرياضية التي يراد منها تعليم المشاهد بعض التمرينات التي يحتاجها، من خلال عناصر نسائية بحيث يكون اللباس الذي ترتديه المرأة أشبه بورقة التوت التي لا تستر السوءة أما الرجال فيلبسون لباسا ساترا، ولا أخال المقام مناسبا لوصف ما تقوم به الكاميرا التلفزيونية من تصوير لهؤلاء النساء وهن بهذه الملابس وفي حالات مختلفة ومتعددة من الحركات التي أحسب أن ليس لها غاية سوى تهييج الشباب ودفعهم للوقوع في الرذيلة...

ومثل ذلك البرامج التي يراد منها تعليم الرقص وتشجيع الفتيات عليه بملابس عارية مع الموسيقى أو الغناء أو عرض مسابقات ملكات الجمال وهن أشبه ما يكن عواري بأساليب فنية تحبب هذه المناظر السيئة للنفوس فتكون أشبه بالبرامج التي تنقل ما يجري داخل الكباريهات إلى عامة الناس. بل إن ما تقدمه يفوق دون شك في تأثيره وأثره على كل ما يجده مرتادو تلك الأماكن في مواقعها الأصلية إذ إن الكاميرا التلفزيونية والإضاءة يقدمان تفصيلات ربما يصعب مشاهدتها أو الحصول عليها في الواقع!

ومثل ذلك ما تشتمل عليه كثير من الأفلام العربية من رقص أو تقبيل أو ضم أو تقلب على الفراش وفي غرف النوم وبملابس عارية أو شبه عارية فضلا عما قد يشتمل عليه ذلك من دعوة غير صريحة إلى الخيانة الزوجية...!!

ومثله ما تطرحه كثير من تلك الأعمال الدرامية من مضامين ومشاهد تعكس جانبا من القيم الغربية[1] التي تدعو الفتاة إلى التمرد على القيم والأخلاق..

هذه أمثله فقط مما تعمل بعض تلك القنوات والوسائل على نشره والدعوة إليه، وهي جوانب تنجح كثيرا في كسب حجم اكبر من المتابعين لما تشتمل عليه من دغدغة للغرائز، بل إن ما تملكه وسيلة التلفزيون من خصائص ومؤثرات مرئية وصوتية تظل قادرة على التسلل إلى عقول الكثيرين عبر تصوير تلك الجوانب وتنميقها لتصبح الأنموذج الممتلئ جمالاً، وبهاء،

(١) انظر ما يؤكد رفض الجمهور للقيم الغربية في الأعمال التمثيلية، صالح أبو أصبع وتوفيق يعقوب، استخدامات مشاهدة التلفزيون، دراسة حالة لاستخدام طالبات جامعة الإمارات للتلفزيون على ضوء نظرية الاستخدامات والإشباعات، (مجلة كلية الآداب، جامعة الإمارات، عدد ٢-١٤٠٦) ص ٢٣٠، ٢٢١.

ليجتذبه الآخرون، ولعل من الغريب حقا أن تجد الكثير من الأعمال التمثيلية العربية لا تجسد نمط حياة الفرد المسلم بكل جوانبها العقدية والفكرية الاجتماعية... وإنما تظل انتقائية في موضوعاتها، ولذا قل أن تجد عملا تمثيليا يصور جوانب العبادة لدى الفرد وعلى نحو خاص الصلاة لدى الشباب والفتاة...

هذه فقط نماذج وأحسب أن من يتابع هذه القنوات[1] والوسائل الأخرى قادر على أن يسجل في كل أسبوع بل في كل يوم الكثير والكثير مما يؤذي العين والأذن والقلب.

ثالثا: تغييب العلماء والدعاة عن البرامج والصفحات الثقافية

المتأمل في عدد من البرامج الحوارية ذات السمة الثقافية عبر مختلف المحطات الإذاعية والتلفزيونية ومن خلال كثير من الصفحات الثقافية يلحظ أن ثمة مفهوما أو مفاهيم معينة تلح على طرحها برغم كل ما تثيره من جدليات وآثار..

لعل من أبرز هذه الجوانب ما يتعلق بماهية الثقافة ومن هو المثقف وما هو المضمون الثقافي...؟ إذ كثيرا ما تطرح هذه البرامج وهذه الصفحات مفاهيم ومقومات للمثقف في مجتمعنا، تخرج العلماء والدعاة وطلاب العلم والمتعلمين من أن يكونوا مثقفين ! وذلك أحد السمات العامة لكثير من الأنماط والبرامج الثقافية، الأمر الذي يعكس رؤية للثقافة يراد لها أن لا تتصل بهوية الأمة ولا بثقافتها..

إنني أدرك أن من الطبيعي أن تتباين وجهات النظر حول كثير من الأمور بما فيها الثقافة وما يتعلق بها، كما أنني أؤمن أن كثيرا من الآراء والأفكار التي تطرح ينبغي أن تجد لدى الآخرين الاحترام والتقدير حتى وإن اختلفوا معها إذ ذلك من أبسط ما ينبغي أن تمنحه الآخرين لا سيما ونحن نطالب بذلك ما دامت هذه الآراء في إطار المباح. غير أن الذي أتحدث عنه هنا لا يمكن أن ينظر إليه على أنه من الآراء التي يمكن لأي إنسان أن يعبر عنها كما يشاء، إذ في هذه الآراء والأفكار دون شك تهميش لذلك الكم المعرفي الهائل وهذه المعرفة النوعية السديدة والرشيدة والتي أضاء سناها دياجير ظلام البشرية فأخرجتهم من الظلمات إلى النور ومن الحيرة والضلالة إلى الهدى ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام...

إن المثقف لدى كثير من هؤلاء هو الذي يدرك على نحو شامل وواسع ما تطرحه الدراسات الأدبية والنقدية الغربية ! !، ويعرف أولئك المفكرين الغربيين ! !، ويقرأ لهم ويتابع

(١) انظر حمزة أحمد بيت المال ومحمد قاري سمرقندي، تحليل مضمون المواد التلفزيونية بمحطات تلفزيون دول مجلس التعاون الخليجي. دراسة حالة لتلفزيونات المملكة العربية السعودية والكويت وعمان وأبوظبي، ورقة مقدمة لندوة الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحادي والعشرين، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، بحث غير منشور ص ص ١٢-٢٠ وانظر حمود البدر، مرجع سابق ص ص ٧-٢١.

إنتاجهم الفكري والثقافي أو أن يطرح مضامين ذات طبيعة محلية غير أنها في التوجه لا تخرج عن ذلك النسق!!.. وهو أمر تؤكده كثير من صفحات تلك الملاحق أو الصفحات والبرامج الثقافية من هذا النمط، فهي لا تستكتب ولا تلتق يوما واحدا من العلماء أو الدعاة أو طلاب العلم ولم تستكتب أحدا منهم بل هي تصر على أن ترتبط بفئة معينة ربما كان غالبيتهم من الأدباء برغم حرصهم على إلباس ذلك التوجه الأدبي لباسا ثقافيا أحادي الرؤية..

الغريب أن هؤلاء الذين يتحدثون هن هذا المفهوم للثقافة يؤكدون على أن من أبرز المعايير التي يجب أن يتصف بها المثقف أن يعمل على استثمار ما يحصل عليه من معلومات وفكر لخدمة مجتمعه وأفراد هذا المجتمع..، فهل هناك أفضل أو أعظم علما من العلوم التي تعرف الناس بالله عز وجل ودينه وما يجب عليهم تجاهه..؟؟، وهل هناك خدمة للناس أعظم من حمل هذه العلوم إليهم وإخراجهم بها من الظلمات إلى النور؟، وبالتالي أليس هؤلاء العلماء والدعاة وفق مفهوم أولئك هم الحقيقيون بتسلم الريادة الثقافية؟، ثم إذا لم يكن هؤلاء العلماء والدعاة وطلاب العلم هم كبار المثقفين وهم ممن يتعلم منهم الناس بما فيهم أولئك الذين يدعون الهيمنة على عرش الثقافة دون غيرهم..؟؟ فمن هو المثقف؟، ثم إذا لم يكن العلم بكتاب الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبتراثنا العلمي الذي ورثناه عن سلفنا الصالح في علوم القرآن والسنة والعقيدة والفقه والأخلاق .. هو الأساس الذي تنطلق منه ثقافتنا وتبنى عليه مضاميننا الثقافية وأشكالها فهل يمكن تصور أي هوية ثقافية خاصة بنا حينئذ؟؟..

لست هنا بطبيعة الحال أقلل من أي تخصص آخر ولست هنا أهون من حاجة الأمة إلى كثير من التخصصات في مختلف الحاجات، غير أن من الضروري أن ندرك أن العلم هو أساس الثقافة وأن شرف العلم يبقى مرتبطا بشرف المعلوم .. وبالتالي فالعلماء والدعاة هم مصدر الثقافة وأساسها، وهم المرجعية العلمية والثقافية لكل ما يجده الناس من مشكلات وأخطاء[١]، فهل سيكف هؤلاء عن هذا النمط من الطرح ويعودون إلى الاعتراف بمرجعيتهم الثقافية المنطلقة من الإسلام وهديه للوصول إلى هوية واضحة ترتكز على تلك المرجعية؟! لا سيما وان كثيراً من الشخصيات التي تحتفي بها هذه الوسائل هي ممن يعج إنتاجها الأدبي والثقافي باطروحات تتوجه بها إلى المرأة داعية إياها إلى التمرد على حجابها الذي تصفه بالقيود البالية والتعاليم المتخلفة وان تستمتع بالحياة وان تخرج وتشارك وتزاحم الآخرين ..

---

(١) ينظر عدد من المهتمين في الثقافة الإسلامية إلى أن من أبرز مظاهر الغزو الفكري في المجتمعات الإسلامية هو إبعاد العلماء عن مراكز التوجيه انظر ما يؤكد ذلك لدى أحمد السايح، في الغزو الفكري، (قطر، سلسلة كتاب الأمة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر ١٤١٤) ص ٦٨، ٦٩.

الفصل الثالث: الآثار السلبية لمضامين ومواد وبرامج وسائل الاتصال على الجمهور

برغم ما أشرت إليه سابقا حول ضعف تأثير وسائل الاتصال الجماهيري وصعوبة التعرف عليه ولا سيما في الجوانب السلوكية[1]. فان ثمة تأثيرات لا تزال الدراسات الميدانية تؤكدها إضافة إلى التأثيرات التراكمية التي يتركها استخدام أنماط معينة من البرامج وخاصة عندما تكون هذه البرامج تتوجه لاستثارة غرائز لدى الجمهور، وخلال هذا الفصل سأعرض لأبرز الآثار والجوانب السلبية المترتبة على تقديم برامج ومواد عبر وسائل الاتصال لا تلتزم بالسلوك المحتشم أو تقدم مواد ذات طبيعة متبرجة وهو ما اصبح كثير من المعنيين يلحظونه على مواد هذه الوسائل ..

أولا: ضعف الاهتمام بالحجاب

لعل من اكثر وابرز الموضوعات التي حظيت ولا تزال تحظى باهتمام كثير من الدعاة والخطباء والمربين، تلك الممارسات الخاطئة التي أخذت تنمو بين العديد من النساء والفتيات نتيجة للانفتاح الثقافي والاجتماعي الذي تشهده كثير إن لم يكن كل المجتمعات الإسلامية عبر وسائل إعلامية ومعلوماتية نتيجة للتدفق المعلوماتي التي تمطر بها وسائل الاتصال العالمية وسائلنا العربية[2] أو من خلال أشكال الاتصال الإنساني الاجتماعية والثقافية المختلفة، لا سيما وأن ثمة مواد وبرامج كثيرة تشتمل عليها وسائل الاتصال كلها تحرض على هذا النمط وترغب فيه وبالتالي فهي لدى الكثيرين تظل المتهم الأول في انتشار تلك السلوكيات والظواهر في بيئاتنا الاجتماعية[3] فالحجاب الشرعي مثلا وأهمية الالتزام به، عملت عدد من هذه الوسائل ولا تزال على إثارة الكثير من الجوانب التي تقود في نهاية المطاف إلى التشكيك في مشروعيته أو اصلاحيته، مع تغييب للرأي الصحيح أو محاولة لإبرازه بصورة يبدو فيها غير قادر على مواجهة ما يثار حوله من إشكالات وهو نمط من أنماط التشكيك في ثوابت الأمة لا تزال تمارسه

---

(١) ثمة انتقادات لا تزال توجه إلى هذه النظريات وأساليب التأثير انظر مزيدا من التفصيل حول هذه الأساليب والانتقادات الموجه لنظريات التاثير لدى مساعد بن عبد الله المحيا، التأثير نظرياته وأساليبه، بحث غير منشور، ولدى محمد البشر، شواهد القصور في النظرية الإعلامية، وهي دراسة نقدية لنظريات الإعلام، بحث غير منشور.

(٢) انظر نتائج دراسة ايمن محمد حبيب، تأثير الشبكات والقنوات الفضائية التلفزيونية التي تستقبلها منطقة الخليج العربي على تطوير الخدمة الإخبارية في التلفزيون السعودي، دراسة دكتوراة غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ص ص ٢٢٧-٢٤٢، وانظر عبد الله الحقيل، مرجع سابق، ص ص ٣٧-٥٦.

(٣) انظر جوانب متعددة من هذه التأثيرات لدى عاطف عدلي العبد وزميلته، دراسات في الإعلام الفضائي (القاهرة دار الفكر العربي ط ١، ١٤١٦) ٩٧-٩٨،وانظر سنان سعيد، خصائص وسائل الإعلام في الاتصال الثقافي (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، علم تعليم الكبار، ٤٧/٣، وانظر حمد بن عبد العزيز البدر. القنوات الفضائية إيجابيات مشاهدتها وسلبياتها، ورقة مقدمة لندوة الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحادي والعشرين. معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، بحث غير منشور ص ص ٨-١١ وانظر سيد محمد ساداتي الشنقيطي، القنوات الفضائية المآخذ والإيجابيات، (الرياض، مركز البحوث والدراسات الإسلامية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠) ص ص ٢١-٣٤.

تلك الوسائل بكفاءة واحتراف وهو ما يصفه البعض بالتغلغل الثقافي الهادئ نحو كيانها[١]، تؤكد ذلك نتائج عدد من الدراسات الميدانية[٢]، والتحليلية[٣].

هذه الممارسات تشمل ما يتعلق بوجود وانتشار كثير من الملابس الغريبة وغير المحتشمة التي تظهر كثيرا من مفاتن المرأة وتبدي زينتها لغير بعولتها ومحارمها أو تظهر جوانب من جسدها على نحو لم تكن بيئاتنا بما تمتاز به من محافظة وحرص على الالتزام بهدي الإسلام وآدابه وقيمه تعرفه بأي شكل من الأشكال... كما تشمل بعض المظاهر التي تعكس جوانب من ضعف الحياء لدى فئات غير قليلة من النساء وعبر صور متعددة لا تفرضها حاجة ضرورية على نحو تظهر فيه المرأة وكأنها رجل يخالط ويتحدث إلى رجال...ولذا كان من الضروري أن تعمل وسائل الاتصال على زرع حب الحجاب لدى المرأة وإيجاد القناعة بـه إذ بدون هذه القناعة يظل شكلا من أشكال الاحتشام التي تقوم به المرأة في ظروف معينة، أما عندما تتغير هذه الظروف تذهب كل الملابس المحتشمة أدراج الرياح ...

إن المستقبل يؤذن في ظل الانفجار المعلوماتي والإعلامي الهائل الذي لا يمكن السيطرة عليه بمزيد من الممارسات الغريبة من لدن كثير من الفتيات ولم يعد الدور مناطا بالخطيب أو الداعية أو حتى ولي الأمر للوقوف أمام ذلك وإنما لا بد أن تتظافر كل المؤسسات التعليمية والاجتماعية والإعلامية وفق استراتيجية واضحة تسعى للمحافظة على خصوصية مجتمعاتنا، غير إن ولي الأمر الأب أو ألام يظل كل منهما أو هما معا مرتكزا أساسيا في أي عملية تربوية، إذ أن غيابهم الحسي أو المعنوي يعني أن كل جهد تبذله المؤسسات والوسائل الأخرى سيظل غير قادر على تحقيق الصورة الصحيحة للأخلاق والقيم التي ينبغي أن تتسم بها الفتاة لا سيما وهي تمثل المحضن الذي سينشأ بين يديها الجيل القادم وفاقد الشي لا يعطيه ...

ثانيا: تكريس الاهتمامات الهامشية وإضاعة الأوقات

يربط البعض بين هامشية الاهتمامات لدى كثير من الشباب والفتيات وإضاعتهم لأوقاتهم وأخلاقهم وضعف إنتاجيتهم وبين وسائل الاتصال بوصفها المؤثر في ذلك ..، وبرغم إن من

---

(١) انظر فايق فهيم، الإعلام المعاصر قضايا وآراء (الرياض، دار الوطن ١٤٠٦) ص ٤٣.

(٢) انظر نتائج دراسة كدسة (١٩٩٢) ودراسة شيخ (١٩٨٩) ودراسة مرداد(١٩٩٣) ودراسة العوفي(١٩٩٣) وذلك لدى عبد اللطيف العوفي، الهوية الثقافية الوطنية والقنوات الفضائية، دراسة في آثار القنوات التلفزيونية الفضائية على الشباب في المملكة العربية السعودية، ورقة مقدمة لندوة البث والاستقبال التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في منطقة الخليج العربي ١٩٩٤، العين، الإمارات العربية المتحدة. ص ٩٠٨.

(٣) انظر مساعد بن عبد الله المحيا، القيم في المسلسلات التلفازية، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٦)ص ١٦٥-٣٠٨ وانظر محمد منير حجاب، المحتوى الثقافي للفلم المصري، (طنطا، مؤسسة سعيد للطباعة، ١٩٨٦،) ص ص ٦٧-١١٠ ن وانظر عدلي سيد محمد رضا، صورة الأب وألام في المسلسلات العربية بالتلفزيون(القاهرة، دار الفكر العربي،)ص ص ٣٧-٩٢.

الخطأ القول بان وسائل الاتصال هي السبب الوحيد في ذلك إلا أن من المؤكد أن لها قصب السبق لا سيما وان من المتعذر اليوم تصور إمكانية الاستغناء عن وسائل الاتصال الجماهيري بحال[1]، وبالتالي فلا ينبغي إنكار ممارسات هذه.

بيد أن الوسائل التي أصبحت تسير في اتجاه معاكس للاحتياجات الحقيقة للفرد في مجتمعاتنا العربية والإسلامية[2]، إذ أن من ابرز ما يواجه الشاب اليوم ذلك التدفق الهائل للمطبوعات ذات الاهتمامات الهامشية وكذلك الكم الكبير للبرامج التلفزيون الفنية والترفيهية، لا سيما بعد تعدد وانتشار القنوات التلفزيونية الفضائية العربية وغير العربية، إذ تؤكد العديد من الدراسات الميدانية تنامي وارتفاع حجم استخدامها من قبل كثير من الشباب على نحو أصبحت فيه اهتماماتها الهامشية محور اهتمامات أولئك الشباب ولاسيما الأقل ثقافة[3]، ويكفي أن يجري المرء دراسة مسحية على غالبية مواد تلك المطبوعات وبرامج تلك القنوات ونوعية اهتماماتها ليدرك أنها تعمل على إعادة ترتيب اهتمامات أولئك الشباب لتصبح الاهتمامات الثقافية والفكرية والعلمية في مؤخرة تلك الاهتمامات، وتلك نتيجة طبيعية للاهتمامات التجارية عندما تغيب عنها مراقبة الله وحب الخير للآخرين والمسؤولية الذاتية والاجتماعية، وذلك يعكس شعوراً لدى الكثيرين بان عددا من وسائل الاتصال العربية أضحت تتفوق على الوسائل الغربية في ممارسة الترغيب الثقافي والإغراق في الاهتمامات الهامشية[4].

ثالثا : الإثارة الجنسية

الدراسات العلمية لا تزال تظهر صعوبة في الحصول على قياس محدد لمدى وحجم تأثير وسائل الاتصال في جانب السلوك، وبما أن الممارسات غير الأخلاقية تعد جزءا من السلوك

---

(١) تؤكد نتائج عدد من الدراسات تنامي الإقبال على هذه الوسائل انظر على سبيل المثال، حمزة احمد بيت المال، استقبال القنوات التلفزيونية الفضائية في المملكة العربية السعودية، دراسة حالة عن مدينة الرياض، ورقة مقدمة لندوة البث والاستقبال التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في منطقة الخليج العربي ١٩٩٤، العين، الإمارات العربية المتحدة، ص ص ٥٠-٥٣. وانظر جوانب من إيجابيات بعضها لدى سيد محمد الشقيطي، مرجع سابق، ص ص ٣٩-٥٢.

(٢) من المهم الإشارة هنا إلى دراسات تدعو إلى إلغاء التلفزيون والبعد عن استخدامه حتى في البيئة الغربية ن انظر ما اشتمل عليه كتاب حيري ماندر، أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون، ترجمة سهيل منيمنة(دار الكلمة الطيبة، ١٤١٠)، وانظر عرضا للعديد من الجوانب المسفة التي أصبحت تهتم بها عدد من الفضائيات التلفزيونية العربية لدى، احمد عبد الملك، توصيف عام للقنوات التلفزيونية الفضائية في العالم العربي/دول مجلس التعاون، ورقة مقدمة لندوة الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحادي والعشرين، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، بحث غير منشور ص ص ٤-١٧.

(٣) تظهر الدراسات الميدانية أن درجة رضا المشاهدين عن هذه الأنماط من البرامج تتناسب مع ضعف الثقافة تناسبا طرديا بمعنى انه كلما ارتفع الوعي والمستوى الثقافي كلما قل تقبلهم للمستويات الرديئة من البرامج والعكس صحيح، انظر بحث تقييم برامج التلفزيون عام ١٩٨٣م، اتحاد الإذاعة والتلفزيون المصري، ، صدر في أكتوبر ١٩٨٣ص١٩.

(٤) انظر ما يؤكد جوانب من ذلك لدى إبراهيم الشامسي، تأثيرات البث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية على الموروث الثقافي والاجتماعي في دولة الإمارات العربية المتحدة، ورقة مقدمة لندوة البث والاستقبال التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في منطقة الخليج العربي ١٩٩٤ ،العين،الإمارات العربية المتحدة،ص٥، ١٣.

فيمكن القول بأنه لا توجد أدلة علمية قاطعة حول اثر وسائل الاتصال وخاصة التلفزيون في خلقها لدى الشاب أو الفتاة، إلا أن ذلك لا يعني بحال القول بعدم تأثير وسائل الاتصال لا سيما وان الناس يشعرون أن لوسائل الاتصال عامة والتلفزيون على نحو خاص تأثيرات جلية وواضحة على سلوكيات وأفكار واتجاهات الأفراد[1] إذ يؤكد البعض أن برامج ومواد وسائل الاتصال الجماهيري تعد المؤثر الأول في كثير من الحوادث والممارسات اللاأخلاقية التي تقع في بعض المجتمعات الإسلامية[2]، وأنها تغذي الشباب والفتيات ببعض المثيرات الجنسية[3] وتقدم لهم صنوف مقبلات العلاقات غير المشروعة بأرقي تقنيات العصر..الخ..

وبرغم أن كثيرا من التربويين والإعلاميين يرون أن افتراض كون وسائل الإعلام هي التي تقود إلى الممارسات غير الأخلاقية يعد خطأ من الناحية المنهجية لأنه يقوم على أساس أحادية السبب إلا أنهم لا ينكرون في الوقت نفسه ما لهذه الوسائل من ممارسات تسير في اتجاه معاكس للقيم والأخلاقيات في مجتمعاتنا العربية والإسلامية[4]، لا سيما وأنها تشتمل على كثير من المواد التي تشتغل غريزة الجنس[5] لدى الرجل والمرأة، لا سيما بعد تعدد وانتشار وسائل الاتصال وعلى نحو خاص القنوات التلفزيونية، ولذا فمن الضروري أن تعنى وسائل الاتصال بالبعد عن كل المواد التي تشتمل على مثيرات جنسية[6]..

الفصل الرابع: الآفاق المستقبلية للسلوك المحتشم عبر وسائل الاتصال

على الرغم من أن عدداً من الجوانب التي تتعلق بهذا الموضوع سبق وان عرضت لها بين ثنايا الفصول السابقة إلا أن من الضروري التأكيد على جوانب من الصورة المثلى التي ينبغي أن تعمل وسائل الاتصال على الاهتمام بها لتنسجم موادها مع قيم المجتمع المسلم وصورته المثلى

---

(١) انظر حول جوانب من هذه التأثيرات السلبية لدى محي الدين عبد الحليم، الدراما التلفزيونية والشباب الجامعي(القاهرة، دار الفكر العربي ١٤٠٤،)ص١٥٤، ١٥٥ لدى سعود دهلوي، تأثيرات القنوات التلفزيونية الفضائية على البنية والعلاقات الاجتماعية: التأثيرات الأمنية على المجتمع، ورقة مقدمة لندوة الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحادي والعشرين، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، بحث غير منشور ص ص ٧-١٤.

(٢) انظر على سبيل المثال ما أشارت إليه دراسة محمد معوض إبراهيم، برامج الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال عبر القنوات التلفزيونية الفضائية لدول الخليج العربي، الواقع والمستقبل،ورقة مقدمة لندوة البث والاستقبال التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في منطقة الخليج العربي١٩٩٤،العين، الإمارات العربية المتحدة، ص١٩،١٦.

(٣) انظر زين العابدين الركابي،أهمية الإعلام في الحفاظ على قيم الأمم، محاضرة غير منشورة،ص،٩،٨.

(٤) انظر عمر بن عبد الله العمر،دور التلفزيون في التنشئة الاجتماعية،رسالة دكتوراة غير منشورة،ص٤٩٣،٤٩٤.

(٥) انظر محمد موفق الغلاييني، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة(جدة دار المنارة،١٤٠٥)ص ٢٦٢،٢٦٣ وانظر يوسف العظم رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر(دار السعودية للنشر،١٤٠٠)ص٧٥.

(٦) انظر جملة من التوجيهات المتعلقة بكيفية تناول هذا النمط من المواد لدى محمد فريد عزت، توجيهات إسلامية لنشر أخبار الجنس في الصحافة، بحوث في الإعلام الإسلامي،(دار الشروق،جدة،١٤٠٣هـ)ص ١٢٧ وما بعدها.

في الاحتشام وكيف ينبغي أن يتكامل دور تلك الوسائل مع دور المربين والمؤسسات التعليمية والدعوية وذلك من خلال الجوانب التالية..

أولا: استشعار المسؤولية لإصلاح الخلل

ثمة حاجة ماسة اليوم إلى أن يستشعر القائمون على وسائل الاتصال مسؤوليتهم[1] إزاء الآثار التي تترتب كل يوم على هامشية اهتماماتها البرامجية ومضامينها الغربية عن قيمنا وأخلاقياتنا، إذ ذلك سبيل لمارسة فاعلية اكبر في وضع الإجراءات والتنظيمات التي تقود إلى الحفاظ على هوية الأمة وعقيدتها وقيمها ومبادئها لا سيما وان هذه الوسائل وهي تعدد وتنمو على نحو كبير تشير إلى أنها قامت لخدمة الأغراض الإعلامية والتربوية والثقافية العربية..

وإذا كان كل مثقف أو معني بالثقافة والتربية والتعليم أصبح يرى أن كثيرا من تلك الوسائل أضحت تسير باتجاه معاكس لثوابت الأمة وقيمها وخاصة في جانب استغلالها للمرأة والمتاجرة بجسدها وطرح ما لا يتقبل الذوق العام طرحه،من خلال مقدمات الرذيلة والعري والتفسخ وكل أشكال الحياة البهيمية، وهي جوانب ستظل تنمو وتعدد في ظل غياب الدور الرقابي سواء داخل تلك القنوات أم خارجها، لذا فإن ثمة حاجة ماسة لوجود قدر من الاستشعار للمسؤولية، كما إن المسؤولية في تقديري تقع على كثير من الشركات والمؤسسات التي تقدم الرعاية لبعض تلك البرامج السيئة أو تبحث عن هذه البرامج لتعلن فيها عن منتجاتها وخدماتها...

أما عندما يقل هذا الشعور أو ينعدم ! !نتيجة تباين المعايير القيمية فإن ممارسة القطاعات الرقابية والرسمية لدورها يبقى مطلبا ملحا للقضاء على كل التجاوزات والممارسات الغريبة،وهو دور اضطلعت به ولا تزال في كثير من الأحيان..

ثانيا: تغيير كثير من العناصر الإدارية والفنية

ثمة تناقض بين الصورة الذهنية التي يطرحها القائمون على عدد من وسائل الاتصال وبين الواقع المهني والبرامجي الذي تعيشه،إذ يحاول هؤلاء وضع صورة مثالية عن طبيعة الأهداف الجيدة التي يبتغونها من إنشاء هذه الوسيلة في حين إن ذلك لا يمت إلى الحقيقة بصلة، إذ أن بيئة الإنتاج في كثير من هذه الوسائل تختلف تماما عن تلك الصورة المثالية التي يتحدث عنها أولئك المسؤولون، إذ يزداد عدد العاملين غير المسلمين في تلك الوسائل والقنوات.سواء في الإخراج أو الإعداد أو المونتاج أو الهندسة الصوتية أو الإلكترونية أو الديكور..وهؤلاء هم المعنيون أكثر من غيرهم بالشكل والمضمون البرامجي الذي يقدم

---

(١) انظر عبد القادر طاش، الإعلام العربي بين الواقع والأمل، دراسات إعلامية، (الرياض،دار الضافي،١٤٠٩هـ) ص١٠١.

للمشاهد..، أما المسلمون فكثير منهم بعيد في سلوكه وممارساته وأخلاقه عن قيم الإسلام، وقليل منهم من يدرك ما يجب عليه فيقوم به على خير وجه وهؤلاء غالبا ما يكون وجودهم داخل المحطة محدودا بوقت يسير جدا ومرتبطا بالبرنامج الذي يشاركون فيه دون تأثير يذكر[1]... إن من المتعذر أن نتصور أن هذه الوسائل قادرة على تقديم شيء يدعم سلوك الاحتشام نظرا إلى أن من الأبجديات الإعلامية التي يتعلمها طالب الإعلام أن حارس البوابة هو الذي يصنع المادة الإعلامية ويأذن لها بالمرور...فهل نتوقع لدى كثير من أولئك العاملين في تلك القنوات أن يقوموا بهذا الدور وهم فاقدوه!؟،

لذا فإن من المهم العمل على إحداث تغييرات مهمة وجذرية في العناصر العاملة داخل تلك الوسائل لنستطيع أن نجد مواد وبرامج تتناول الاحتياجات الحقيقية لمجتمعاتنا وفي مقدمتها الاحتشام ومظاهره والوسائل الكفيلة بانتشاره، بيد أن ذلك يتطلب إعداد الكوادر الإعلامية والفنية على نحو يحقق الآمال[2]...

ثالثا: الاهتمام بما يبعث التفاؤل في النفوس

نظرا إلى أن الحديث عن وسائل الاتصال ودورها السلبي في دعم سلوك الاحتشام قد يقود في كثير من الأحيان إلى اليأس والقنوط فإن من الضروري العمل على ما يبعث ويجدد الأمل في النفوس ويحيي روح التفاؤل ثقة بإمكانية تحسن واقع هذه الوسائل، لا سيما وأن جوانب عدة تدعو إلى التفاؤل..، لا سيما وأن عدداً من وسائل الاتصال تحرص من خلال عدد من المواد والشخصيات على الاهتمام بتنمية السلوك المحتشم أو تهتم بإثارته من زاوية تدعم قضية الحجاب والسلوك الاحتشامي في المجتمع المسلم.. وأحسب أن العناية بهذا الأسلوب وتغليبه والاهتمام به سيكون له من الآثار الإيجابية مالا يمكن حصره..

رابعا: إقامة العديد من المحطات الإذاعية والتلفزيونية

نتيجة للأداء السلبي لعدد من وسائل الاتصال وخاصة الإذاعية والتلفزيونية في جانب نشر سلوكيات الاحتشام فإن من الضروري أن نعمل على إقامة مجموعة من المحطات الإذاعية والتلفزيونية في مختلف الأرجاء الإسلامية[3] لا سيما وأن المدن الحرة التي بدأت تنشأ في بعض الدول العربية وغيرها ستسهم في إتاحة ذلك، هذه المحطات يفترض فيها أن تنطلق من رؤية

---

(١) لا توجد معلومات علمية تؤكد ذلك نظرا لأن هذا الأمر لم ينل اهتماما بحثيا غير أنني أؤكد وجود ذلك لدى كثير من الوسائل من خلال زيارتي لها في عدد من الدول.

(٢) انظر محمود، سفر، مرجع سابق، ص٧٨، ٧٩.

(٣) ثمة دعوات مستمرة لإقامة محطات إذاعية وتلفزيونية تتوجه إلى العالم الإسلامي، انظر ماجي الحلواني، الإعلام الإسلامي التحديات والمواجهة (مكتبة مصباح، جدة، ١٤١١هـ)ص٣٢ وما بعدها.

فكرية سديدة وتعمل على تحقيق رسالة الإسلام السامية ومنهجها المتميز متجاوزة كل مظاهر القصور الحالية في الوسائل الأخرى التي لا يزال يتحدث عنها الكثيرون ولا سيما في المضامين التي لا تتفق مع قيم المجتمع المسلم[١]... كما أن هذه الوسائل ستعمل على الاهتمام بطرح القضايا التي تشغل بال المسلمين وتناول موضوعات جديرة بمزيد من الاهتمام وفي مقدمتها الحجاب وأهمية السلوك المحتشم في المجتمع المسلم لتبلغ القصد وتحقق الأهداف..

خامسا: تنظيم حملات توعية لنشر السلوك المحتشم

ثمة تأثيرات مهمة وواضحة لوسائل الاتصال وعلى نحو خاص التلفزيون عندما يستثمر على نحو قوي وواسع في تدعيم رأي أو قضية ،و ذلك يؤكد إمكانية القيام بحملات قوية للتذكير بأهمية الحجاب والآثار الإيجابية المترتبة على السلوك الاحتشامي وما يترتب على عدم الاهتمام به..،إذ يتوقع أن يكون لهذه الحملة أثر متميز ولا سيما عندما يتم الإعداد والتخطيط لها بشكل جيد ويتم تنفيذها على نحو دقيق.. إن التلفزيون يعد أحد الوسائل المؤثرة في نجاح تلك الحملات[٢]، ولذا يقول زين العابدين الركابي[٣] حول نجاح التلفزيون في الحملات الانتخابية (لقد كان الإعلام والتلفزيون على وجه التخصيص–هو:الناخب الذي اقترع علنا، وفي وقت مبكر جدا..أننا في عصر قوة رهيبة يمكن تسميتها بـ"قوة الصور والكلمات"... وأن هذه القوة تستطيع تثبيت مواقف الناس وآراءهم أو تعديلها أو تغييرها...النتيجة العملية.. أن نجيد التعامل مع هذه القوة العصرية الضاربة أو الفعالة..امتلاك المزيد من وسائل الإعلام في كل موقع موات، التخطيط لـ "القضايا" و "المضامين" التي ينبغي أن تخدمها وسائل الإعلام.. إعداد جيل ذكي ومخلص يحسن استخدام وسائل الإعلام كما يجيد خدمة القضايا، فهذا أجدى من التلبس بالتفرج أو التطير أو النواح).

خلاصة البحث والخاتمة

ينظر إلى وسائل الاتصال على أنها من ابرز الوسائل التي ينبغي استثمارها في تعليم الجمهور كثيرا من السلوكيات والممارسات الجيدة والصحيحة.. كما أن آخرين ينظرون إليها في هذا الجانب بالذات على أنها من أكثر الوسائل التي أسهمت في تعليم الجماهير كثيرا من الممارسات السلوكية غير المرغوبة..

---

(١) إضافة إلى ما سبق في هذا الصدد انظر نتائج دراسة عمر عبد الله العمر، مرجع سابق،ص٤٨٤ وما بعدها وانظر نتائج وتوصيات الندوة التي عقدها قسم الإعلام بجامعة الملك سعود حول وسائل الإعلام والطفل،١٤١٢هـ، غير منشورة.

(٢) مما يؤكد أن التلفزيون أحد أهم الأسباب في نجاح الحملات الانتخابية ما أشار إليه الرئيس الأسبق"جيمي كارتر"عندما سئل عن أسباب فوزه قال بأن التلفزيون من أهم الأسباب،ومن الطبيعي أن يكون بوش ثم كلينتون ثم بوش قد عملا على استثمار ذلك.

(٣) هو أحد الأساتذة الإعلاميين ولأكاديميين الذين يملكون خبرة إعلامية جيدة وقد قال ذلك في مقال نشره في زاويته الأسبوعية في مجلة اليمامة السعودية معلقا على نتائج انتخابات أمريكية سابقة.

وقد جاء هذا البحث–بعد الإشارة للدراسات السابقة وتحديد المشكلة البحثية والتساؤلات التي يطرحها ونوع البحث ومنهجه–ليبرز جوانب مما تتقاطع فيه كثير من مضامين وسائل الاتصال مع قيم وأخلاقيات المجتمع المسلم ولا سيما في جانب الحجاب الشرعي للمرأة والسلوك المحتشم، مشيرا إلى طبيعة التأثيرات التي تنجح في تحقيقها هذه الوسائل، وحيث إن وسائل الاتصال الجماهيرية إحدى أهم الوسائل التي ينبغي استثمارها وتفعيلها لتسهم في نشر سلوك الاحتشام مبرزا الجوانب التي ينبغي الاهتمام بها واستثمارها لكي تنجح وسائل الاتصال في حمل جمهورها على الاقتناع بأهمية الحجاب الشرعي للمرأة وضرورة محافظتها عليه في كل المجتمعات وفي الفصل الثاني تناولت واقع اهتمام وسائل الاتصال في نشر سلوك الاحتشام وقد تضمن ذلك وصف واقع كثير من وسائل الاتصال ومدى اهتمامها بسلوك الاحتشام من خلال المضامين والبرامج التي تقدمها أما في الفصل الثالث فعرضت لأبرز الآثار السلبية لمضامين ومواد وبرامج وسائل الاتصال على الجمهور وقد اشتمل ذلك وصف أبرز الآثار والجوانب السلبية المترتبة على تقديم برامج ومواد عبر وسائل الاتصال لا تلتزم بالسلوك المحتشم أو مواد ذات طبيعة متبرجة وفي الفصل الرابع أشرت إلى الآفاق المستقبلية للسلوك المحتشم عبر وسائل الاتصال وشمل ذلك الصورة المثلى التي ينبغي أن تعمل وسائل الاتصال على الاهتمام بها لتنسجم موادها مع قيم المجتمع المسلم وكيف ينبغي أن يتكامل دورها مع دور المربين والمؤسسات التعليمية والدعوية، ومع أن هذه الجوانب تمثل توصيات هذا البحث إلا أنني أؤكد هنا على ضرورة التدرج في تطبيق التعليمات المتعلقة بالاحتشام والحرص على غرس القناعة بها، والعمل على عولتها والبدء في رصد آثارها الإيجابية من النواحي الأمنية والاجتماعية وصدى الارتياح لها مع الاهتمام بإعداد دراسات تطرح العديد من الصيغ العملية والآليات التي تفيد الأسرة والمؤسسات التعليمية ولإعلامية في كيفية تطبيق ذلك مؤكدا على ضرورة الاستفادة من تجربة المملكة العربية السعودية في مجال الاحتشام التي أضحت واقعا حيا يعيشه كل فرد أو مقيم إذ هي جديرة بأن يفاد منها على نحو واسع وشامل ولا سيما في جانب كيفية تحويل هذه التعليمات إلى قناعات مستقرة لدى المعنيين أو أكثرهم..كما أن مفهوم الاحتشام حري به أن يكون أكثر اتساعا ليشمل الرجل والمرأة وكذلك الاحتشام في الفكر والثقافة والأدب، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين ..

المصادر والمراجع

– احمد السايح. في الغزو الفكري، (قطر، سلسلة كتاب الأمة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في قطر ١٤١٤).

- أسامة محمد مشعل، الصحافة النسائية العربية، رسالة دكتوراة، بحث غير منشور.
- أيمن محمد حبيب، تأثير الشبكات والقنوات الفضائية التلفزيونية التي تستقبلها منطقة الخليج العربي على تطوير الخدمة الإخبارية في التلفزيون السعودي، دراسة دكتوراة غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.
- إبراهيم إمام، نحو بلاغة تلفزيونية في البرامج الدينية، (الرياض، جهاز تلفزيون الخليج، ١٤٠٣هـ).
- إبراهيم الشامسي، تأثيرات البث التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية على الموروث الثقافي والاجتماعي في دولة الإمارات العربية المتحدة، ورقة مقدمة لندوة البث والاستقبال التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في منطقة الخليج العربي ١٩٩٤، العين، الإمارات العربية المتحدة.
- احمد عبد الملك، توصيف عام للقنوات التلفزيونية الفضائية في العالم العربي/دول مجلس التعاون، ورقة مقدمة لندوة الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحادي والعشرين، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، بحث غير منشور.
- بسيوني إبراهيم حمادة، وسائل الإعلام والسياسة دراسة في ترتيب الأولويات، (القاهرة، زهراء الشرق، ١٩٩٧).
- تقييم برامج التلفزيون عام ١٩٨٣م، اتحاد الإذاعة والتلفزيون المصري، ، صدر في أكتوبر ١٩٨٣.
- توصيات ندوة تطوير البرامج الدينية في تلفزيونات الخليج، التي نظمتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالتعاون مع جهاز تلفزيون الخليج، في شعبان ١٤٠٧هـ.
- جيري ماندر، أربع مناقشات لإلغاء التلفزيون، ترجمة سهيل منيمنة(دار الكلمة الطيبة، ١٤١٠).
- حسن مكاوي وزميله، المدخل إلى علم الاتصال، (الكويت ذات السلاسل، ١٩٩٥).
- حمدي حسن مقدمة في دراسة وسائل وأساليب الاتصال، (القاهرة، دار الفكر العربي ١٩٨٧).
- حمزة احمد بيت المال، استقبال القنوات التلفزيونية الفضائية في المملكة العربية السعودية، دراسة حالة عن مدينة الرياض، ورقة مقدمة لندوة البث والاستقبال التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في منطقة الخليج العربي ١٩٩٤، العين، الإمارات العربية المتحدة.

- حمزة احمد بيت المال ومحمد قاري سمرقندي، تحليل مضمون المواد التلفزيونية بمحطات تلفزيون دول مجلس التعاون الخليجي، دراسة حالة لتلفزيونات المملكة العربية السعودية والكويت وعمان وأبوظبي، ورقة مقدمة لندوة الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحادي والعشرين، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، بحث غير منشور.
- حمود عبد العزيز البدر، القنوات الفضائية إيجابيات مشاهدتها وسلبياتها، ورقة مقدمة لندوة الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحادي والعشرين، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، بحث غير منشور.
- دنيس مكويـل، الإعلام وتأثيراته دراسة في بناء النظرية الإعلامية، تعريب عثمان العربي، (الرياض، دار الشبل للنشر والتوزيع، ١٤١٢).
- راشد بن أحمد العليوي} الصيغ الحديثة لاستثمار الوقف وأثرها في دعم الاقتصاد { ندوة "مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية "والتي نظمتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية وذلك في مكة المكرمة.
- رضا مطاوع يوسف، شبكة المعلومات العالمية(الإنترنت) وكيفية استثمارها في الدعوة الإسلامية، دراسة ماجستير غير منشورة، قسم الدعوة جامعة الأزهر..
- روبرت شيالديني، الأثير وسائل الإقناع، ترجمة سعد جلال (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٨).
- زين العابدين الركابي، أهمية الإعلام في الحفاظ على قيم الأمم، محاضرة غير منشورة
- زين العابدين الركابي، الإعلام وقضايا الإسلام، ندوة غير منشورة عقدت في جامعة الرياض الملك سعود حاليا.
- سعود دهلوي. تأثيرات القنوات التلفزيونية الفضائية على البنية والعلاقات الاجتماعية: التأثيرات الأمنية على المجتمع، ورقة مقدمة لندوة الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحادي والعشرين، معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض، بحث غير منشور.
- سعيد صيني. مدخل إلى الإعلام الإسلامي، (القاهرة، دار الحقيقة للإعلام الدولي، ١٤١١).
- سنان سعيد، خصائص وسائل الإعلام في الاتصال الثقافي(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، علم تعليم الكبار، ٤٧/٣ .
- سهيلة زين العابدين حمادة، مسيرة المرأة السعودية إلى أين (جدة، الدار السعودية، ١٤٠٢).

- سيد ساداتي الشنقيطي "دراسات إعلامية في فكر ابن تيمية"، (الرياض، دار المسلم، ١٤١٦).
- سيد ساداتي الشنقيطي،القنوات الفضائية المآخذ والإيجابيات، (الرياض، مركز البحوث والدراسات الإسلامية وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠).
- سيد ساداتي الشنقيطي، دور وسائل الإعلام في بناء ملكة التفكير السديد لدى الطلاب، ،(الرياض،دار المسير، ١٤١٧هـ).
- شاكر سالم الدولة، الشباب دوره ومشكلاته،(الرياض،إدارة الثقافة والنشر في جامعة الإمام، ١٤٠٤).
- صالح أبو اصبغ وتوفيق يعقوب، استخدامات مشاهدة التلفزيون،دراسة حالة لاستخدام طالبات جامعة الإمارات للتلفزيون على ضوء نظرية الاستخدامات والإشباعات، (مجلة كلية الآداب،جامعة الإمارات، عدد ٢، ١٤٠٦.
- صالح ابو اصبغ، الاتصال الجماهيري،(الأردن، دار الشروق، ١٩٩٩).
- عاطف عدلي العبد وزميلته، دراسات في الإعلام الفضائي (القاهرة دار الفكر العربي، ط١، ١٤١٦).
- عبد الحافظ عواجي صلوي، تأثير وسائل الإعلام السعودية في ترتيب أولويات اهتمام الجمهور بالقضايا الخارجية،بحث دكتوراه.
- عبد الرحمن الشبيلي، تحصين الأطفال من التأثيرات لسلبية للبث المباشر،إعلام وأعلام، (الرياض،مطبعة السفير، ١٤٢٠ هـ).
- عبد العزيز بن باز،التبرج وخطر مشاركة المرأة للرجل في ميدان عمله،(الرياض،مكتبة دار اليقين،بدون تاريخ).
- عبد القادر طاش،الإعلام العربي بين الواقع والأمل، دراسات إعلامية، (الرياض، دار الصافي،١٤٠٩هـ).
- عبد القادر طاش،الإعلام والترغيب الثقافي،(الرياض،مؤسسة آسام،١٤١٣).
- عبد القادر طاش،دور الإعلام في توجيه الشباب، ندوة توجيه الشباب،كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض شعبان، ١٤٠٥هـ.
- عبد القادر طاش،واقع الإعلام الخليجي في ظل ثورة التكنولوجيا والمعلومات، نحو رؤية إسلامية،ورقة مقدمة لندوة الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحادي والعشرين،معهد الدراسات الدبلوماسية،الرياض، بحث غير منشور.

- عبد اللطيف العوفي،الهوية الثقافية الوطنية والقنوات الفضائية، دراسة في آثار القنوات التلفزيونية الفضائية على الشباب في المملكة العربية السعودية، ورقة مقدمة لندوة البث والاستقبال التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في منطقة الخليج العربي ١٩٩٤، العين، الإمارات العربية المتحدة.
- عبد الله الحقيل،تأثير مشاهدة القنوات الفضائية على متابعة الإعلام السعودي، ١٤١٨ بحث غير منشور.
- عدلي سيد محمد رضا،صورة الأب والأم في المسلسلات العربية بالتلفزيون (القاهرة، دار الفكر العربي).
- عقيل القين،القناة الفضائية الإسلامية الخطوة الأولى نحو نشر المعلومات عن العالم الإسلامي، دراسة قدمت لندوة مصادر المعلومات عن العام الإسلامي، نظمتها مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد والبنك الإسلامي للتنمية، الرياض رجب ١٤٢٠.
- عمر عبد الله العمر، دور التلفزيون في التنشئة الاجتماعية، رسالة دكتوراة غير منشورة.
- فايق فهيم، الإعلام المعاصر قضايا وآراء (الرياض،دار الوطن ١٤٠٦).
- فهمي عمر، دور الإذاعة في مواجهة مشكلة الشباب، ندوة الإعلام والشباب (القاهرة كلية الإعلام، ١٩٨٣).
- قراءات هادفة ...في القنوات الفضائية،قراءة في التأثيرات مجلة البيان عدد رقم ١٤٣
- ماجي الحلواني، الإعلام الإسلامي التحديات والمواجهة(مكتبة مصباح، جدة، ١٤١١هـ).
- مجلة الدعوة، العدد ١٨٠٥.
- مجلة المنهل،عدد ٤٩٥.
- مجلة اليمامة السعودية.
- محمد البشر، شواهد القصور في النظرية الإعلامية، وهي دراسة نقدية لنظريات الإعلام. بحث غير منشور.
- محمد الرميحي، تفعيل دور الإعلام الخليجي في ظل الواقع الإعلامي والمعلوماتي الحديث (الطرق والوسائل) ورقة مقدمة لندوة الإعلام والمعلوماتية وتحديات القرن الحادي والعشرين،معهد الدراسات الدبلوماسية، الرياض،بحث غير منشور.
- محمد السيد الوكيل، الترويح في المجتمع الإسلامي، (دار أسامة، ١٩٨٤).

- محمد بن عبد العزيز الحيزان، البحوث الإعلامية أسسها وأساليبها ومجالاتها (الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٨م).
- محمد بن عبد الله الخرعان دور الوقف في دعم وسائل الإعلام الإسلامي وتمويلها، بحث مقدم لندوة "مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية"، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكة المكرمة، بحث غير منشور.
- محمد خير رمضان يوسف، صفات مقدمي البرامج الإسلامية في الإذاعة والتلفزيونية، (مطابع الفرزدق، الرياض، ١٤٠٦).
- محمد عبد الرحمن الحظيف، كيف تؤثر وسائل الإعلام في النظريات والأساليب، (الرياض مكتبة العبيكان، ١٤١٥).
- محمد فريد عزت، توجيهات إسلامية لنشر أخبار الجنس في الصحافة، بحوث في الإعلام الإسلامي، (دار الشروق، جدة، ١٤٠٣هـ).
- محمد قطب، قضية المرأة، (الرياض، دار الوطن ١٤١٠).
- محمد معوض، تطوير برامج التلفزيون الكويتي بعد التحرير لماذا وكيف، مجلة التعاون، عدد ٣٤، عام ١٤١٥.
- محمد معوض إبراهيم، برامج الرسوم المتحركة الموجهة للأطفال عبر القنوات الفضائية لدول الخليج العربي، الواقع والمستقبل، ورقة مقدمة لندوة البث والاستقبال التلفزيوني المباشر عبر الأقمار الصناعية في منطقة الخليج العربي ١٩٩٤، العين، الإمارات العربية المتحدة.
- محمد منير حجاب، المحتوى الثقافي للفيلم المصري، (طنطا، مؤسسة سعيد للطباعة، ١٩٨٦).
- محمد موفق الغلاييني، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة (جدة دار المنارة، ١٤٠٥).
- محمد ناصر الدين الألباني، حجاب المرأة المسلمة.
- محمود سفر. الإعلام موقف. (جدة، تهامة، ١٤٠٢ هـ).
- محي الدين عبد الحليم، الدراما التلفزيونية والشباب الجامعي (القاهرة، دار الفكر العربي ١٤٠٤).
- مساعد بن عبد الله المحيا التأثير نظرياته وأساليبه، بحث غير منشور.
- مساعد بن عبد الله المحيا دوافع استخدام وسائل الاتصال الإلكترونية ومدى الإشباع الذي تحققه، بحث دكتوراه غير منشور.

- مساعد بن عبد الله المحيا، القيم في المسلسلات التلفازية، (الرياض، دار العاصمة، ١٤١٦).
- ملفين ل.ديفلير، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف (القاهرة، الدار الدولية للنشر والتوزيع،١٩٩٣).
- مهدي إبراهيم، وسائل الإعلام المعاصرة، محاضرة غير منشورة.
- نتائج وتوصيات الندوة التي عقدها قسم الإعلام بجامعة الملك سعود حول وسائل الإعلام والطفل، ١٤١٢هـ، غير منشورة.
- يوسف العظم رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر (الدار السعودية للنشر، ١٤٠٠).

المحتويات